

دراسات

# في علم العقيدة

## الجزء الثالث

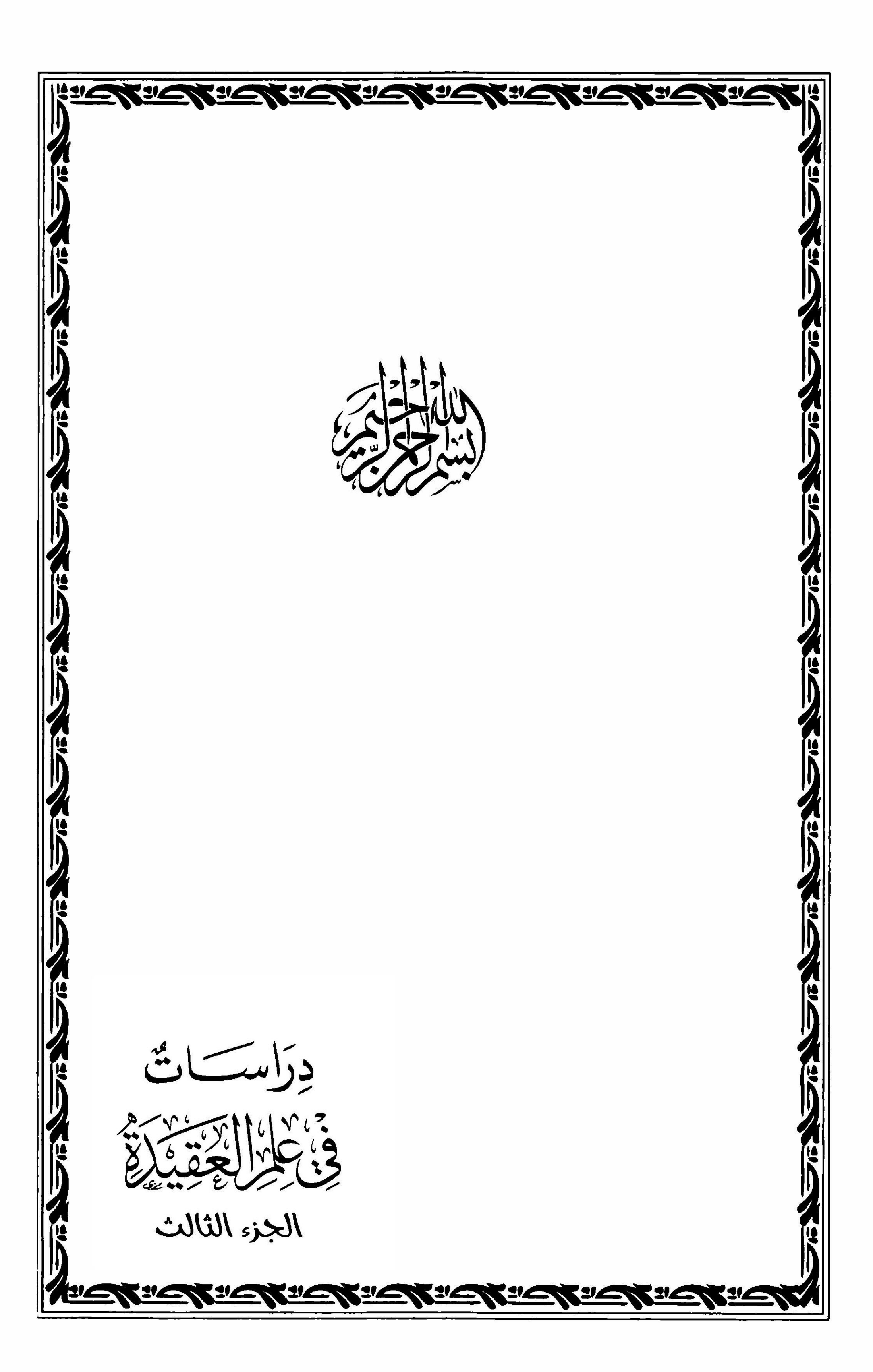
## الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر

تأليف

أ. د. ناصر بن عبد الله القفاري

جامعة القصيم كليّة الشّريعة والدّراسات الإسلاميّة




بسم الله الرحمن الرحيم
دراسات
في علم العقيدة
الجزء الثالث




فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القفاري، ناصر بن عبد الله.

دراسات في علم العقيدة/ ناصر بن عبد الله القفاري - الرياض، ١٤٤٢هـ.

٤ مج.

ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)

١- العقيدة الإسلامية. أ- العنوان.

ديوي: ٢٤٠ ١٤٤٢/٦٩٦٩

رقم الإيداع: ١٤٤٢/٦٩٦٩ ردمك: ٣-٤-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

ردمك: ٠-٥-٩١٥٩٦-٦٠٣-٩٧٨ (ج ١)



١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

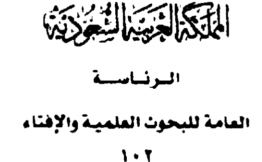



دار العقيدة للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية - الرياض

هاتف 0503310067

المملكة العربية السعودية
الرئاسة
العامة للبحوث العلمية والإفتاء
١٠٢



الرقم : ...............
التاريخ : ...............
المشفوعات : ...............
الموضوع : ...............

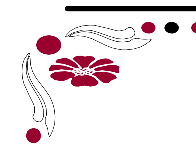
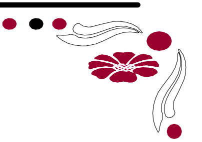
الحمد لله . والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وبعد : فقد اطلعت على كتاب ( دراسات في علم العقيدة ) بأجزائه الأربعة لفضيلة الدكتور : ناصر بن عبدالله القفاري الأستاذ بجامعة القصيم . فوجدته كتابا جيدا مفيدا في موضوعه يجدر بكل طالب علم الاطلاع عليه . فجزاه الله خير الجزاء ونفع بعلمه . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

كتبه

صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

عضو هيئة كبار العلماء

٢/٦/١٤٤١هـ

# المقدمة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا. **وبعد:**

فهذا هو الجزء الثالث من سلسلة «دراسات في علم العقيدة»[١] وُضِعَ وَفْق الخطة الدراسية لتخصص الشريعة والدراسات الإسلامية الموافقة للمعايير الأكاديمية لمحتوى برامج الشريعة في مؤسسات التعليم العالي المعتمد في الهيئة الوطنية للتقويم والاعتماد الأكاديمي.

وهذه الدراسة -كسابقاتها- تعتمد في نصوصها ومادتها - أولًا - على الكتاب والسنة؛ لأن الاعتقاد لا يؤخذ إلا عن الله ورسوله ﷺ، ثم الرجوع إلى ما قرره سلف الأمة وأئمتها؛ لأن علمهم قبسٌ من مشكاة النبوة، فهم أقرب لعصر التنزيل، وأعلم الأمة بالتأويل، وقد عمدت إلى نقل نصوصهم بحروفها؛ ليتعود الطالب على فهم كلامهم، ولأن كلام السابقين قليل اللفظ كثير البركة.

وقد أكرر النقل عن أهل العلم في المسألة الواحدة؛ ليكون أدعى إلى تصورها وتثبيتها من خلال تعدد أقوال الأئمة في المعنى الواحد بألفاظ

---

(١) وقد طبع سابقًا باسم (محاضرات في العقيدة).

مختلفة.

وهذه الدراسة مقصورة على مسائل عقدية مهمة، تتعلق ببعض أركان الإيمان الستة، **وهي**: الإيمان بالملائكة، والكتب، والرسل، واليوم الآخر.

وكان من أهداف هذا المقرر بيان حقيقة الإيمان بهذه الأركان، ودراسة أهم المسائل المتعلقة بها، مع الاعتماد على الدليل من الكتاب والسنة، لتثبيت الإيمان في القلوب، وتقريره في النفوس، بعيدًا عن لوثات أهل الكلام، مع نقل كلام أئمة أهل السنة المحققين، والتعرض لمقالات وعقائد المخالفين، مع بيان بطلانها.

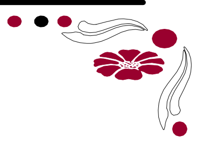
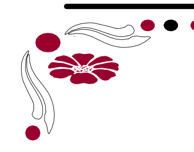
والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل لوجهه خالصًا، ولسنة نبيه موافقًا، ولعباده نافعًا.

أ.د. ناصر بن عبد الله القفاري
n0380@hotmail.com



# الفصل الأول

# الإيمان بالملائكة

# الفصل الأول

❁ **ويشتمل على ما يلي:**

١- تعريف الملائكة، ومفهوم الإيمان بهم.

٢- حكم الإيمان بالملائكة، وحكم إنكارهم.

٣- الأدلة على الإيمان بالملائكة.

٤- أصناف الملائكة ووظائفهم.

٥- صفات الملائكة وأدلة ذلك.

٦- ثمرات الإيمان بالملائكة.





# المبحث الأول

## تعريف الملائكة، ومفهوم الإيمان بهم

### ۞ أولًا: تعريف الملائكة:

**الملائكة لغة:** جمع ملك، وأصله من: ألك بمعنى: أرسل، وألكني: أرسلني، وهو مشتق من الألوكة، والمألُكة، وهي: الرسالة، وألَكه يألِكه ألْكًا: أبلغه الألُوك؛ أي: الرسالة[(١)].

**والملائكة اصطلاحًا:** هم رسل الله في تنفيذ أمره الكوني، وتبليغ أمره الديني، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «اسم (الملائكة)، و(الملَك) يتضمن أنهم رسل الله، كما قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾ [فاطر: ١]، وكما قال: ﴿وَٱلْمُرْسَلَـٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١]؛ فالملائكة: رسل الله في تنفيذ أمره الكوني؛ الذي يدبر به السموات والأرض، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، وكما قال: ﴿بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]، وأمره الديني[(٢)]؛ الذي تنزل به الملائكة، فإنه قال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا

---

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور (١٠/ ٣٩٣)، النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (١/ ٦١)، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية (١/ ٢٤).

(٢) أي: وتبليغ أمره الديني.

فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]»[(١)].

واختار هذا التعريف الإمام ابن أبي العز الحنفي، فقال: «لفظ الملَك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر مرسِله، فليس لهم من الأمر شيء، بل الأمر كله للواحد القهار، وهم ينفذون أمره ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: ٢٧، ٢٨]»[(٢)].

## ❁ ثانيًا: مفهوم الإيمان بالملائكة:

**مفهوم الإيمان بالملائكة يشمل أمورًا أربعة، وهي:** الإيمان بوجودهم، وأسمائهم، وصفاتهم، وأعمالهم[(٣)]، **وبيانها كما يلي[(٤)]:**

### الأول: الإيمان بوجودهم:

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع، كما سيأتي.

فنؤمن بوجودهم وأن عددهم لا يعلمه إلا الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر: ٣١]، وفي حديث الإسراء: «...**فرفع لي البيت المعمور يصلي فيه كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم...**» متفق عليه. وفي الحديث: «**إنِّي أرَى ما لا ترَونَ، وأسمعُ ما لا تسمَعون، أَطَّتِ السماءُ وحق لها أن تَئِطَّ؛ ما فيها موضِعُ أربعِ أصابعَ إلا ومَلَكٌ واضِعٌ جبهَتَهُ لله ساجدًا**»[(٥)].

---

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ١١٩).

(٢) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٤٠٧)، وانظر: إغاثة اللهفان، لابن القيم (٢/ ١٢٧)، معارج القبول، لحافظ حكمي (٢/ ٦٥٦).

(٣) انظر: تعظيم قدر الصلاة، لمحمد بن نصر المروزي (١/ ٣٩٣)، شعب الإيمان، للبيهقي (١/ ٢٩٦).

(٤) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية، لابن عثيمين (ص٤٢) ضمن كتاب: الصيد الثمين في رسائل ابن عثيمين.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح٢١٥١٦)، والترمذي في سننه (ح٢٣١٢) وحسَّنه، =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الذي في الكتاب والسنة من ذكر الملائكة وكثرتهم أمر لا يحصر»[(١)].

**الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه:**

كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك، ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالًا.

**فأما أسماء من علمنا من الملائكة فهم:**

**١- جبريل:**

**ومعنى جبريل:** عبد الله[(٢)]، وقد وصفه الله جل جلاله بأنه ﴿شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥]؛ أي: شديد القوة الظاهرة والباطنة، ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦﴾ [النجم: ٦]؛ أي: قوة وخلق حسن وجمال ظاهر وباطن.

**ووصفه الله بأنه:** ﴿رَسُولٌ كَرِيمٌ ۝١٩ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ١٩ - ٢١]، فوصفه الله بالكريم لكرم أخلاقه، فهو أفضل الملائكة، وأعظمهم رتبة عند ربه، وأنه ذو قوة على ما أمره الله به، ومن قوته: أنه قلب ديار قوم لوط بهم فأهلكهم. ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ﴾؛ أي: مقرب عند الله له منزلة رفيعة. ﴿مَكِينٍ﴾؛ أي: له مكانة ومنزلة فوق منازل الملائكة كلهم. ﴿مُّطَاعٍ﴾؛ أي: مطاع في الملأ الأعلى لديه من الملائكة المقربين جنود. ﴿أَمِينٍ﴾؛ أي: ذي أمانة، فيقوم بما أمره الله به، ولا يتعدى ما أمر به[(٣)].

ويسمى أيضًا (الروح)، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا﴾ [مريم: ١٧] يعني: جبريل عليه السلام[(٤)]، وقال سبحانه: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾ [القدر: ٤].

= والحاكم في المستدرك (ح٨٧٢٦) وصححه، ووافقه الذهبي.

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٢٠).

(٢) انظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي (١/ ١١٩).

(٣) انظر: تفسير السعدي (ص٩١٢).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢١٩).

### ٢- ميكائيل:

**ومعنى ميكائيل:** عبيد الله[١].

وقد ورد ذكره في كتاب الله تعالى في قوله سبحانه: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ۝٩٨﴾ [البقرة: ٩٨].

❑ وفي السنة من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل افتتح صلاته فقال: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض...**»[٢]، كما ورد ذكره في أحاديث أخر.

### ٣- إسرافيل:

لم يرد ذكر (إسرافيل) في القرآن، وإنما جاء ذكره في السنة من حديث عائشة السابق: «**اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»[٣].

قال ابن القيم: «فتوسل إليه سبحانه بربوبيته العامة والخاصة لهؤلاء الأملاك الثلاثة الموكلين بالحياة؛ فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب والأرواح، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم[٤]، فسأله رسوله بربوبيته لهؤلاء أن يهديه لما اختلف فيه من الحق بإذنه؛ لما في ذلك من الحياة النافعة»[٥].

❊ ❊ ❊

---

(١) انظر: زاد المسير في علم التفسير (١/ ١١٩).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ح٧٧٠).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) سيأتي الكلام عن هذه المسألة في فصل (الإيمان باليوم الآخر).

(٥) إغاثة اللهفان (٢/ ١٢٨).

### ٤- مالك:

وهو اسم خازن النار، وقد ورد ذكره في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ٧٧﴾ [الزخرف: ٧٧].

وفي السنة من حديث سمرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال النبي ﷺ: «**رأيتُ الليلةَ رجلينِ أتياني، قالا: والذي يُوقِدُ النارَ مالكٌ خازنُ النارِ، وأنا جبريلُ، وهذا ميكائيلُ**»[١].

### ٥- هاروت وماروت:

وقد ورد ذكرهما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقد اختلف العلماء فيهما: هل هما بشران؟ أم ملكان؟

قال الحافظ ابن كثير: «وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان»[٢].

وقال العلامة ابن باز: «والأظهر: أنهما ملكان نزلا ابتلاءً وامتحانًا، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾، وقال بعض أهل العلم: إنهما مَلِكان من بني آدم ابتُلِيَ الناس بهما، والقول الأول هو الأظهر، والقراءة على هذا في القول الأول بفتح اللام، وعلى القول الثاني بكسرها»[٣].

### ٦- منكر ونكير:

جاء في «الصحيح» عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**العبدُ إذا وضعَ في قبرِهِ وتَوَلَّى وذهبَ أصحابهُ، حتى إنه ليسمعُ قرعَ نِعالِهِم، أتاهُ ملكانِ فأقعداهُ...**» الحديث[٤]. ولم يذكر فيه اسم الملَكين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٣٦).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٢).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٨/ ١١٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (ح١٣٣٨)، ومسلم في صحيحه (ح٢٨٧٠).

لكن وردت تسمية الملكين الموكلين بسؤال القبر بأن أحدهما منكر والآخر نكير في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قُبِرَ الميتُ** (أو قال: **أحدكم) أتاهُ ملكانِ أسودانِ أزرقانِ، يقال لأحدهما: المنْكرُ، والآخر: النكِيرُ**...» الحديث[1]، وهو حديث حسن كما قال الألباني[2].

وهما منكران؛ لأن الميت لا يعرفهما، لا لأنهما منكران في ذواتهما، كما نبه عليه المُنَاوي[3]، والمباركفوري[4].

**وللملائكة ألقاب عامة، منها:**

١- **الملأ الأعلى:** قال تعالى: ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الصافات: ٨]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [ص: ٦٩]، قال القرطبي: «الملأ الأعلى هم الملائكة»[5].

٢- **جنود الرب:** قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، «يعني من الملائكة الذين خلقهم لتعذيب أهل النار، لا يعلم عدتهم إلا الله»[6]، وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الأحزاب: ٩]، قال الشوكاني: «والمراد بقوله: ﴿وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾: الملائكة. قال المفسرون: بعث الله عليهم الملائكة فقلعت الأوتاد، وقطعت أطناب الفساطيط، وأطفأت النيران، وأكفأت القدور، وجالت الخيل بعضها في بعض، وأرسل الله عليهم الرعب»[7].

٣- **الأشهاد:** قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (ح١٠٧١)، وحسنه.
(٢) صحيح الترمذي (ح١٠٧١).
(٣) انظر: فيض القدير، للمناوي (٢/ ٣٧٢).
(٤) انظر: تحفة الأحوذي، للمباركفوري (٤/ ١٥٥).
(٥) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٢٦).
(٦) تفسير البغوي (٨/ ٢٧١).
(٧) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٠٥).

ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]، قال مجاهد: «الأشهاد: الملائكة»[(١)]، ويشاركهم في هذا الاسم غيرهم، كما قال سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَـٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١].

### الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم:

وللملائكة صفات كثيرة في الكتاب والسنة، تدل على عِظَم خلقهم وجليل منزلتهم، كما سيأتي في المبحث الرابع.

### الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى:

وللملائكة أعمال كثيرة في الكتاب والسنة، منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم، وسيأتي الحديث تفصيلًا عن وظائفهم وأعمالهم في المبحث الرابع.



(١) تفسير مجاهد (ص٣٨٦)، وقيل: الأشهاد: الخلائق، وقيل: الأنبياء. انظر: تفسير الطبري (١٢/ ٣٦٧).



# المبحث الثاني

## حكم الإيمان بالملائكة، وحكم إنكارهم

❊ الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، فلا يصح إيمان العبد إلا به، فمن أنكر وجود الملائكة بعد قيام الحجة؛ كفر، فقد قرن الله الكفر بالملائكة بالكفر به، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

❊ والإيمان بالملائكة من البر، كما قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

❊ والإيمان بهم من صفات المؤمنين، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

❊ والكفر بهم من الضلال البعيد، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾.

❊ والتعرض لهم، أو التنقص من مقامهم لا يصدر إلا ممن لا يؤمن بالآخرة، قال - جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٢٧].

❊ وكل من عاداهم أو عادى أحدًا منهم، فقد عادى الله - جل وعلا: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [البقرة: ٩٨].



# المبحث الثالث

## الأدلة على الإيمان بالملائكة

كل آية ذُكر فيها الملائكة، فهي دليل على وجوب الإيمان بهم.

قال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال سبحانه: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب: ٤٣]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [غافر: ٧]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٦]، وقال: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾ [فصلت: ٣٨].

قال ابن القيم: «لا تخلو سورة من سور القرآن عن ذكر الملائكة تصريحًا، أو تلويحًا، أو إشارة»[١].

وقال ابن أبي العز: «والقرآن مملوء بذكر الملائكة وأصنافهم ومراتبهم، فتارة يقرن الله تعالى اسمه باسمهم، وصلاته بصلاتهم، ويضيفهم إليه في مواضع التشريف، وتارة يذكر حفهم بالعرش وحملهم له، وبراءتهم من

(١) إغاثة اللهفان (٢/ ١٣١).

الذنوب، وتارة يصفهم بالإكرام والكرم، والتقريب والعلو، والطهارة والقوة والإخلاص»[(١)].

وكما جاءت الآيات في ذكر الملائكة، فقد استفاض مثله في السنة المطهرة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما في القرآن والأحاديث وكلام السلف من ذكر الملائكة وأحوالهم يفوق الإحصاء»[(٢)].

وأجمع المسلمون على أن الإيمان بالملائكة أصل من أصول الإيمان، وأن «الملائكة من الأعيان لا من الأعراض، فهي من المخلوقات باتفاق المسلمين، وليس بين أهل الملل خلاف في أن الملائكة جميعهم مخلوقون»[(٣)].



(١) شرح الطحاوية (٢/ ٤٠٩-٤١٩)، وانظر: إغاثة اللهفان (٢/ ١٣١).
(٢) الرد على المنطقيين، لابن تيمية (ص٤٩٨).
(٣) انظر: بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية، لابن تيمية (ص٢٣٢).



# المبحث الرابع

## أصناف الملائكة ووظائفهم

### أولًا: أصناف الملائكة:

١- **الزبانية:** وهم ملائكة العذاب[(١)]، قال تعالى: ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق: ١٨]، مأخوذ من الزَّبْن وهو الدفع، قال ابن عباس: يريد زبانية جهنم، سموا بها؛ لأنهم يدفعون أهل النار إليها[(٢)].

٢- **المعقبات:** قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]؛ وذلك لأنهم يتعاقبون في الليل والنهار على العبد. قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: للعبد ملائكة يتعاقبون عليه؛ حرس بالليل، وحرس بالنهار، يحفظونه من الأسواء والحادثات»[(٣)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم، فيسألهم، وهو أعلم بهم: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون**»[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٨).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٨/ ٤٨١).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٧).

(٤) سبق تخريجه.

٣- **الحفظة:** كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]؛ لأنهم يحفظون بني آدم بأمر الله.

٤- **السفرة:** كما قال تعالى: ﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ [عبس: ١٥]، «وهم الملائكة الذين هم السفراء بين الله وبين عباده»(١).

٥- **الكروبيون:** وهو وإن لم يرد في الكتاب والسنة، لكنه مشهور لدى أهل العلم، والأصل فيه ما ورد عن ابن عباس موقوفًا: «... ثم يأتي الربُّ -تبارك وتعالى- في الكُرُوبِيِّينَ، وهم أكثرُ من أهلِ السماواتِ والأرضِ»(٢)، وسموا بذلك: إما لقربهم من الله بالعبادة؛ لأنه مشتق من (كرب) بمعنى: (قرب)(٣)، أو لقوتهم وشدتهم؛ لأنه مشتق من (كرب) بمعنى: اشتد وقوي، ويحتمل المعنيين معًا، والله أعلم(٤).

## ❁ ثانيًا: وظائف الملائكة:

للملائكة وظائف وأعمال كثيرة في الكتاب والسنة، منها ما نعلم ومنها ما لا نعلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن المعلوم: أن الملائكة لهم من العلوم والأحوال والإرادات والأعمال ما لا يحصيه إلا ذو الجلال»(٥).

**فمما علمناه من أعمالهم ووظائفهم(٦):**

١- **أن منهم الموكل بالوحي** من الله تعالى إلى رسله- عليهم الصلاة

---

(١) تفسير السعدي (ص٩١١).

(٢) أخرجه الدارمي في: الرد على بشر المريسي (ص٥٣)، والحاكم في المستدرك (ح٨٦٩٩)، وقال الذهبي: «إسناده قوي»، وقال ابن كثير: «مداره على علي بن زيد بن جدعان، وفيه ضعف، وفي سياقاته غالبًا نكارة شديدة». تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٧).

(٣) انظر: بغية المرتاد، لابن تيمية (ص٢٣٠).

(٤) انظر: محاضرات في الإيمان بالملائكة (ص٣٤) وما بعدها.

(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ١٢١).

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ١٢١-١٢٧)، البداية والنهاية، لابن كثير (١/ ٤١) وما بعدها، معارج القبول (٢/ ٦٥٨).

والسلام- وهو جبريل عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ - ١٩٥].

**٢- ومنهم الموكل بالقطر والنبات،** وهو ميكائيل عليه السلام، على المشهور عند أهل العلم.

**٣- ومنهم الموكل بالنفخ في الصُّور،** وقد ورد في بعض الأحاديث أنه إسرافيل عليه السلام، وكلها لا تخلو من ضعف[1]، ولكن قال القرطبي: «الأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام»[2]، فإن كان الإجماع ثابتًا فيصار إليه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه، ينظر متى يؤمر**»، قال المسلمون: يا رسول الله، فما نقول؟! قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا**»[3].

**٤- ومنهم الموكل بقبض الأرواح؛** وهو ملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١١]، وشاع لدى كثير من الناس أن اسمه «عزرائيل» ولم يثبت، وإنما ورد في بعض الإسرائيليات، ولذا فالصواب أنه لا يسمى إلا «ملك الموت»، كما جاء في القرآن. قال الحافظ ابن كثير: «وأما ملك الموت فليس بمصرح باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل، والله أعلم»[4].

**٥- ومنهم الموكل بالجبال؛ وهو ملك الجبال،** وقد ورد ذكره في حديث

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٧-٢٨٨)، فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٦٨-٣٦٩).
(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، للقرطبي (ص٤٨٨).
(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح١١٠٣٩)، والترمذي في السنن (ح٣٢٤٣) وحسنه.
(٤) البداية والنهاية (١/ ٤٩).

خروج النبي ﷺ إلى أهل الطائف في بداية البعثة ودعوته إياهم وعدم استجابتهم له، وفيه يقول النبي ﷺ: «...**فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال. فسلم عليّ ثم قال: يا محمد! فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا**»(١).

والأخشبان: هما جبلا مكةَ: أبو قبيس والذي يقابله.

٦- **ومنهم الملك الموكل بالرحم**، على ما دل عليه حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الله عز وجل وكَّل ملكًا يقول: يا ربِّ! نطفة؟ يا ربِّ! علقة؟ يا ربِّ، مضغة؟ فإذا أراد أن يقضي خلقه، قال: أذكر أم أنثى؟ شقي أم سعيد؟ فما الرزق والأجل؟ فيكتب في بطن أمه**»(٢).

٧- **ومنهم حملة العرش**، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]. قال بعض المفسرين: الذين حول العرش هم الملائكة (الكروبيون)(٣).

٨- **ومنهم خزنة الجنة**، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾﴾ [الرعد: ٢٣]، وقد اشتهر أن خازن الجنة اسمه (رضوان)، ولم ترد هذه التسمية في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة، وإنما جاء ذكره في بعض الأحاديث التي في ثبوتها

---

(١) صحيح البخاري (ح٣٢٣١)، وصحيح مسلم (ح١٧٩٥).

(٢) صحيح البخاري (ح٣١٨)، صحيح مسلم (ح٢٦٤٦).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٢).

نظر[١].

**٩- ومنهم خزنة النار**- عياذًا بالله منها- وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر[٢]، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾﴾ [غافر: ٤٩]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٧، ١٨].

وفي حديث سَمُرَة بن جُنْدُب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**رأيت الليلة رجلين أتياني فقالا: الذي يوقد النار مالك خازن النار، وأنا جبريل، وهذا ميكائيل**»[٣].

**١٠- ومنهم زوار البيت المعمور:** يدخل في كل يوم منهم البيت المعمور سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، على ما ثبت من حديث مالك بن صعصعة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «... **ثم رُفع لي البيت المعمور، فقلت: يا جبريل! ما هذا؟ قال: هذا البيت المعمور، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا منه لم يعودوا فيه آخر ما عليهم**»[٤].

**١١- ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر،** ففي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادَوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**»[٥].

وقد ثبت أيضًا أنهم يبلغون النبي ﷺ من أمته السلام، فعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله عَزَّ وَجَلَّ ملائكة سياحين في الأرض،**

(١) انظر: فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٣٥٣).
ومع ذلك فقد أثبته بعض العلماء. انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم (ص١٠٩)، البداية والنهاية (١/ ١١٣).

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٠٧)، ومسلم في صحيحه (ح١٦٤) واللفظ لمسلم.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٦٤٠٨)، ومسلم في صحيحه (ح٢٦٨٩) واللفظ للبخاري.

**يلغوني من أمتي السلام»**(١).

**١٢- ومنهم الحفظة الكرام الكاتبون**، وعملهم كتابة أعمال الخلق وإحصاؤها عليهم، وحفظ المؤمنين ونصرهم، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢]، وقال سبحانه: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١]، قال ابن عباس: «ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خلوا عنه»(٢)، وقال مجاهد: «مع كل إنسان حفظة يحفظونه من أمر الله»(٣).

وعن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والتعري؛ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لَا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَى أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ**»(٤).

قال ابن كثير: «فاثنان عن اليمين وعن الشمال يكتبان الأعمال، صاحب اليمين يكتب الحسنات، وصاحب الشمال يكتب السيئات»(٥).

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٧، ١٨].

قال الإمام النووي: «اختلف السلف والعلماء في أنه: هل يكتب جميع ما يلفظ به العبد وإن كان مباحًا لا ثواب فيه ولا عقاب لعموم الآية؟ أم لا يكتب إلا ما فيه جزاء من ثواب أو عقاب؟ وإلى الثاني ذهب ابن عباس رضي الله عنهما وغيره من العلماء، وعلى هذا تكون الآية مخصوصة، أي: ما يلفظ من قول يترتب عليه جزاء»(٦).

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح٣٦٦٦)، والترمذي في السنن (ح٣٦٠٠) وحسنه، والنسائي في سننه (ح١٢٨٢)، وصححه الألباني.

(٢) تفسير الطبري (١٣/ ٤٥٨). (٣) تفسير الطبري (١٣/ ٤٥٨).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٢٨٠٠)، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح٢١٩٤).

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٣٧).

(٦) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٩)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٩٨).

«ثم قد ثبت بالنصوص المذكورة أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية؛ لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٢]، ويشهد لذلك قوله ﷺ: «**قَالَ اللهُ ﷻ: إِذَا هَمَّ عَبْدِي بِسَيِّئَة فَلَا تَكْتُبُوهَا عَلَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَلَيْهِ سَيِّئَة، وَإِذَا هَمَّ عَبْدِي بِحَسَنَة فَلَمْ يَعْمَلْهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَة، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا عَشْرًا**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**قَالَتِ الْمَلَائِكَة: ذَاكَ عَبْدٌ يُرِيدُ أَنْ يَعْمَلَ سَيِّئَة، وَهُوَ أَبْصَرُ بِهِ، فَقَالَ: ارْقُبُوه، فَإِنْ عَمِلَهَا فَاكْتُبُوهَا بِمِثْلِهَا، وَإِنْ تَرَكَهَا فَاكْتُبُوهَا لَهُ حَسَنَة، إِنَّمَا تَرَكَهَا مِنْ جَرَّائِي**»(٢)»(٣).

قال الحافظ ابن حجر: «وفيه دليل على أن الملك يطلع على ما في قلب الآدمي؛ إما بإطلاع الله إياه، أو بأن يخلق له علمًا يدرك به ذلك»(٤).

**١٣- ومنهم الموكلون بسؤال العباد في قبورهم**، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن العبد إذا وُضِع في قبره وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ لمحمد ﷺ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة، فيراهما جميعًا**»(٥).



---

(١) أخرجه مسلم (ح١٢٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٥٠١)، ومسلم (ح١٢٩).
(٣) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٦١).
(٤) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٢٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٣).
(٥) أخرجه البخاري (ح١٣٧٤)، ومسلم (ح٢٨٧٠)، واللفظ للبخاري.



# المبحث الخامس

## صفات الملائكة وأدلة ذلك

**للملائكة صفات كثيرة، منها:**

**١- أنهم مخلوقون من نور:** لحديث: «**خُلقت الملائكة من نور**»(١).

**٢- القدرة على التشكُّل بقدرة الله:** كمجيء جبريل في صورة رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرَى عليه أثر السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة، فلما انصرف قال النبي ﷺ: «**يا عمر! أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل؛ أتاكم يعلمكم دينكم**»(٢).

وإبراهيم جاءته الملائكة في صورة بشر، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٦٩، ٧٠]. وفي قصة مريم حينما أرسل الله لها جبريل قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧].

**٣- القدرات الخارقة التي خصهم الله بها:** قال جل وعلا: ﴿فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الحجر: ٧٤]، قال السدي: «لما أصبحوا

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٩٦).
(٢) أخرجه مسلم (ح٨).

-يعني: قوم لوط- نزل جبرائيل، فاقتلع الأرض من سبع أرضين، فحملها حتى بلغ السماء الدنيا، حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات ديوكهم، ثم قلبها فقتلهم، فذلك حين يقول: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾﴾ [النجم: ٥٣] المنقلبة حين أهوى بها جبرائيل الأرض فاقتلعها بجناحه، فمن لم يمت حين أسقط الأرض أمطر الله عليه، وهو تحت الأرض الحجارة، ومن كان منهم شاذًّا في الأرض، وهو قول الله: ﴿فَجَعَلْنَا عَـٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الحجر: ٧٤]، ثم تتبعهم في القرى، فكان الرجل يأتيه الحجر فيقتله، وذلك قول الله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَـارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾ [هود: ٨٢]»[١].

وجاء في حديث خروج النبي ﷺ إلى الطائف: «... **فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي، ثم قال: يا محمد، فقال، ذلك فيما شئت؛ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين؟**» فقال النبي ﷺ: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئًا**»[٢].

٤- **أن لهم أجنحة:** قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ﴾ [فاطر: ١]، وقد رأى النبي ﷺ جبريل، وله ستمائة جناح[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى**

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٣٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٣١)، ومسلم في الصحيح (ح١٧٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٣٢٣٢).

**حاجتكم**»، قال: «**فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا**»[(١)].

٥- **لا يأكلون ولا يشربون:** قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُواْ سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَآءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾﴾ [هود: ٦٩، ٧٠].

قال الحافظ ابن حجر: «وفي قصة الملائكة مع إبراهيم وسارة ما يؤيد أنهم لا يأكلون، وأما ما وقع في قصة الأكل من الشجرة؛ أنها شجرة الخلد التي تأكل منها الملائكة، فليس بثابت»[(٢)].

وقد ورد أن الذِّكْر والتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير يغنيهم عن الطعام والشراب. عن عائشة، أن رسول الله ﷺ ذكر جهدًا شديدًا يكون بين يدي الدجال، فقلت: يا رسول الله، فأين العرب يومئذٍ؟ قال: «**يا عائشة، العرب يومئذٍ قليل**»، فقلت: ما يجزئ المؤمنين يومئذٍ من الطعام؟ قال: «**ما يجزئ الملائكة: التسبيح، والتكبير، والتحميد، والتهليل**»[(٣)].

٦- **أنهم ليسوا إناثًا:** قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩]، وقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات: ١٤٩ - ١٥٧].

٧- **أنهم يمكن رؤيتهم:** فقد يراهم الأنبياء في صورهم الحقيقية. وأما غير

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٦٤٠٨).

(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر (٦/ ٣٠٦).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤١/ ٤١٩)، والطبراني في الكبير (٢٤/ ١٥٩)، وصححه الألباني في (السلسلة الصحيحة ح٣٠٧٩).

الأنبياء فلا يرونهم إلا في حال تمثلهم بصورة أخرى، كما دلت على ذلك الأدلة، وقد ثبت أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام في صورته التي خُلق عليها مرتين[1]، رآه مرة بالأفق من ناحية المشرق، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير: ٢٣]، ورآه مرة ثانية ليلة الإسراء في السماء، وهذا ما أخبر الله عنه بقوله: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وعن عائشة رضي الله عنها، أنها سألت النبي ﷺ عن تفسير الآيتين المتقدمتين، فقال: «**إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خُلق عليها غير هاتين المرتين، رأيته منهبطًا من السماء سادًّا عِظَمُ خَلْقِه ما بين السماء إلى الأرض**»[2].

وقال الله تعالى عن مريم - عليها السلام: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ١٧]، وعن سعد رضي الله عنه، قال: رأيت بشمال النبي ﷺ ويمينه رجلين، عليهما ثياب بيض يوم أحد، ما رأيتهما قبلُ ولا بعدُ[3]. قال ابن بطال: «الرجلان اللذان كانا يوم أحد عن يمين النبي وعن شماله كانا ملَكين، والله أعلم»[4].

٨- **أنهم يموتون:** قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]، قال الحافظ ابن كثير: «فهو تعالى وحده هو الحي الذي لا يموت، والإنس والجن يموتون، وكذلك الملائكة وحملة العرش، وينفرد الواحد الأحد القهار بالديمومة والبقاء، فيكون آخِرًا كما كان أولًا»[5].

---

(١) انظر: صحيح البخاري (ح٤٨٥٥)، وصحيح مسلم (ح١٧٧).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٧٧).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (ح٥٨٢٦).
(٤) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٩/ ١٠٤).
(٥) تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٧).



# المبحث السادس

## ثمرات الإيمان بالملائكة

### ۞ من ثمرات الإيمان بالملائكة ما يلي:

١- الاستجابة لأمر الله بالإيمان بهم، كما في قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

٢- الإيمان بعظمة الله تعالى وكمال قدرته وسلطانه؛ حيث خلق هذه المخلوقات العظيمة.

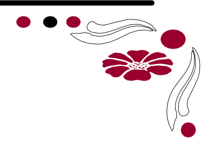
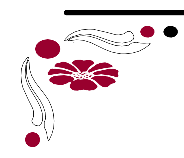
٣- محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين.

٤- الطمأنينة والراحة والثقة بوجود ملائكة الرحمن مع العبد يحفظونه.

٥- شكر الله تعالى أن وكل بعباده ملائكة تقوم بحفظهم والاستغفار لهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۖ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٧﴾ [غافر: ٧][١].



(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين (ص٣٢).

## ملخص الفصل الأول

❊ **الملائكة اصطلاحًا:** هم رسل الله في تنفيذ أمره الكوني، وتبليغ أمره الديني، ومفهوم الإيمان بالملائكة يشمل أمورًا أربعة، وهي: الإيمان بوجودهم، وأسمائهم، وصفاتهم، وأعمالهم.

❊ من الإيمان بالملائكة: الإيمان بوجودهم وأن عددهم لا يعلمه إلا الله، والإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه؛ كجبريل وميكائيل وإسرافيل ومالك، ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالًا.

❊ **للملائكة ألقاب عامة، منها:** الملأ الأعلى، وجنود الرب، والأشهاد.

❊ الإيمان بالملائكة هو الركن الثاني من أركان الإيمان الستة، فلا يصح إيمان العبد إلا به، فمن أنكر وجود الملائكة بعد قيام الحجة كفر، وكل آية ذكر فيها الملائكة، فهي دليل على وجوب الإيمان بهم.

❊ **الملائكة أصناف كثيرة، منها:** (١) الزبانية: وهم ملائكة العذاب. (٢) المعقبات: الذين يتعاقبون في الليل والنهار على العبد. (٣) الحفظة: الذين يحفظون بني آدم بأمر الله. (٤) السفرة: وهم السفراء بين الله وبين عباده. (٥) الكروبيون: وسموا بذلك: إما لقربهم من الله بالعبادة، أو لقوتهم وشدتهم.

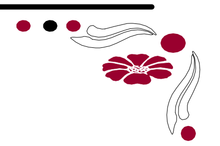
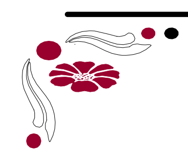
❊ **للملائكة وظائف وأعمال كثيرة ورد ذكر جملة منها في الكتاب والسنة، ومنها:** (١) أن منهم الموكل بالوحي وهو جبريل عليه السلام. (٢) ومنهم الموكل بالقطر والنبات، وهو ميكائيل عليه السلام، على المشهور عند أهل العلم. (٣) ومنهم الموكل بالنفخ في الصُّور، وهو إسرافيل عليه السلام على المشهور. (٤) ومنهم الموكل بقبض الأرواح، وهو ملك الموت. (٥) ومنهم الموكل

بالجبال، وهو ملك الجبال. (٦) ومنهم الملك الموكل بالرحم. (٧) ومنهم حملة العرش. (٨) ومنهم خزنة الجنة. (٩) ومنهم خزنة النار-عياذًا بالله منها- وهم الزبانية. (١٠) ومنهم زوار البيت المعمور. (١١) ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر. (١٢) ومنهم الحفظة الكرام الكاتبون. (١٣) ومنهم الموكلون بسؤال العباد في قبورهم.

❊ **للملائكة صفات كثيرة، منها:** (١) أنهم مخلوقون من نور. (٢) القدرة على التشكل بقدرة الله. (٣) القدرات الخارقة التي خصهم الله بها. (٤) أن لهم أجنحة. (٥) لا يأكلون ولا يشربون. (٦) أنهم ليسوا إناثًا. (٧) أنهم يمكن رؤيتهم، فقد يراهم الأنبياء في صورهم الحقيقية، وأما غير الأنبياء فلا يرونهم إلا في حال تمثلهم بصورة أخرى. (٨) أنهم يموتون.

❊ **من ثمرات الإيمان بالملائكة ما يلي:** (١) الاستجابة لأمر الله بالإيمان بهم. (٢) الإيمان بعظمة الله تعالى وكمال قدرته وسلطانه؛ حيث خلق هذه المخلوقات العظيمة. (٣) محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين. (٤) الطمأنينة والراحة والثقة بوجود ملائكة الرحمن مع العبد يحفظونه. (٥) شكر الله تعالى أن وكل بعباده ملائكة تقوم بحفظهم والاستغفار لهم.



## أسئلة تطبيقيـة

**س١:** عَرِّف الملائكة لغة واصطلاحًا.

**س٢:** الإيمان بالملائكة من أركان الإيمان الستة، وضح ذلك مع ذكر الأدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

**س٣:** الإيمان بالملائكة يشمل أمورًا أربعة، اذكرها، مع ذكر الأدلة في كلٍّ باختصار.

**س٤:** للملائكة صفات كثيرة في الكتاب والسنة، اذكرها باختصار مع الاستدلال عليها.

**س٥:** للملائكة أعمال كثيرة في الكتاب والسنة، اذكرها باختصار مع الاستدلال عليها.

**س٦:** من ألقاب الملائكة: الزبانية، المعقبات، الكروبيون. استدل على ذلك، مع بيان معناها.

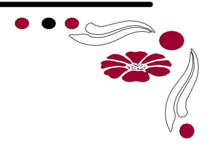
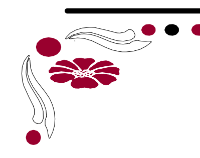
**س٧:** اذكر أهم ثمرات الإيمان بالملائكة.





# الفصل الثاني

# الإيمان بالكتب

## الفصل الثاني

۞ **ويشتمل على ما يلي:**

١- الكتب؛ تعريفها، ومفهوم الإيمان بها.

٢- حكم الإيمان بالكتب، وأدلة ذلك.

٣- الحكمة من إنزال الكتب.

٤- الكتب المنزلة، أشهرها، وما حصل لأكثرها من تحريف، وموقف المسلم من كتب أهل الكتاب.

٥- معنى الإيمان بالقرآن وخصائصه.

٦- ثمرات الإيمان بالكتب.

٧- مقالات المخالفين في الإيمان بالكتب.





# المبحث الأول

## الكتب

### تعريفها، ومفهوم الإيمان بها

### ۞ أولًا: تعريف الكتب الإلهية:

**الكتب لغة:** جمع كتاب، بمعنى مكتوب[(١)].

**وشرعًا:** هي الكتب التي أنزلها الله على رسله رحمة بعباده وهداية لهم؛ ليصلوا بها إلى تحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة[(٢)].

### ۞ ثانيًا: مفهوم الإيمان بالكتب:

**مفهوم الإيمان بكتب الله ﷻ يتضمن أربعة أمور[(٣)]:**

**الأول:** الإيمان بأن جميعها منزل من عند الله ﷻ، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد؛ فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها ما يسمعه الرسول الملكي ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشري، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [الشورى: ٥١]، وقال

(١) وهذا جارٍ في لغة العرب، حيث تأتي (فعال) بمعنى: (مفعول)، مثل: إله بمعنى: مألوه، وغراس بمعنى: مغروس، وفراش بمعنى: مفروش.

(٢) انظر: مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٥/ ١٢٠)، (٦/ ٩١).

(٣) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية، لابن عثيمين (ص٤٦-٤٧)، معارج القبول (٢/ ٦٧٢-٦٧٥).

تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال سبحانه: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف: ١٤٤]، وقال تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ١٠﴾ [النجم: ١٠]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال: ﴿يُنَزِّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢]، وقال: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ١٠٦﴾ [الإسراء: ١٠٦].

**ومنها:** ما خطه الله بيده جل وعلا، كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

**الثاني:** الإيمان بكل كتاب أنزله الله، حيث نؤمن بما علمنا منها باسمه، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالًا، حيث نؤمن بأن الله أنزل سوى هذه الكتب المنصوص عليها بأسمائها في القرآن، كتبًا أخرى أنزلها على أنبيائه لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها، قال تعالى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ [الشورى: ١٥]؛ يعني: كل الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله، ما علمناه منها بأسمائها، وما لم نعلمه.

**الثالث:** تصديق ما صح من أخبارها، وطريق معرفة ما صح من أخبار الكتب السابقة هو القرآن أو السنة.

**الرابع:** العمل بأحكام ما لم ينسخ منها(١)، وهو القرآن الذي يختص دون

(١) اتفق الأصوليون على أن شرع من قبلنا يكون شرعًا لنا إذا ثبت أنه كان شرعًا لمن قبلنا، ثم ثبت بشرعنا أنه شرع لنا، كالقصاص؛ فإنه ثبت بشرعنا أنه كان لمن قبلنا في قوله تعالى: ﴿وَكَتَبۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ...﴾ الآية [المائدة: ٤٥]. ثم صرح لنا في شرعنا بأنه شرع لنا في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٨].

**واتفقوا على أنه لا يكون شرعًا لنا في حالتين:**

**أحدهما:** ما لم يثبت بشرعنا أصلًا، كالمأخوذ من الإسرائيليات.

**الثانية:** ما ثبت بشرعنا أنه كان شرعًا لهم، وصرح في شرعنا بنسخه، كالإصر والأغلال =

غيره من الكتب بوجوب اتباعه على هذه الأمة تصديقًا لأخباره وعملًا بأحكامه؛ لأن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ أي: حاكمًا عليه، وهي أيضًا لم تسلم من التحريف والتغيير، قال جل وعلا: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ [البقرة: ٧٥].

قال الإمام محمد بن نصر المروزي في تعليقه على حديث جبريل: «وأما قوله: ﴿وَكُتُبِهِۦ﴾ فأن تؤمن بما سمى الله من كتبه في كتابه، من التوراة، والإنجيل، والزبور خاصة، وتؤمن بأن لله سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الذي أنزلها، وتؤمن بالفرقان، وإيمانك به غير إيمانك بسائر الكتب، إيمانك بغيره من الكتب إقرارك به بالقلب واللسان، وإيمانك بالفرقان إقرارك به، واتباعك ما فيه»[١].

وقال الإمام ابن أبي العز: «وأما الإيمان بالكتب المنزلة على المرسلين: فنؤمن بما سمى الله تعالى منها في كتابه، من التوراة والإنجيل والزبور، ونؤمن بأن لله تعالى سوى ذلك كتبًا أنزلها على أنبيائه، لا يعرف أسماءها وعددها إلا الله تعالى؛ وأما الإيمان بالقرآن، فالإقرار به، واتباع ما فيه، وذلك أمر زائد على الإيمان بغيره من الكتب»[٢].

---

= التي كانت عليهم كما في قوله تعالى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

ومحل الخلاف هو فيما ثبت بشرعنا أنه شرع لمن قبلنا، ولم يصرَّح بنسخه في شرعنا، هل يكون شرعًا لنا؟ فذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنه شرع لنا، وذهب الشافعي في المشهور عنه إلى أنه ليس شرعًا لنا، والقولان روايتان عن الإمام أحمد. ينظر: روضة الناظر، لابن قدامة (١/ ٤٥٩)، مذكرة في أصول الفقه، للشنقيطي (ص١٩٣).

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٣)، وانظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣١٢).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٤٢٤-٤٢٥).



# المبحث الثاني

## حكم الإيمان بالكتب، وأدلة ذلك

الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله هو الركن الثالث من أركان الإيمان، قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وأمر الله نبيه ﷺ بالإيمان بها، والأمر له ﷺ أمر لأمته، قال جل وعلا: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وأمر الله المؤمنين بالإيمان بجميع ما أنزل الله من كتب على رسله، فقال سبحانه: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

فمن كذب بواحد منها فقد كذب بها جميعًا؛ لأنها كلها من عند الله، وجحد شيء منها كفر وضلال، قال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

قال ابن القيم: «من لم يؤمن بهذه الخمسة، لم يدخل في باب الإيمان، ولا يستحق اسم المؤمن»(١).

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ١٣٤-١٣٥).

**ومن السنة:** حديث جبريل: لما سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر...**» الحديث[(١)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الإيمان بالكتب والرسل هو عمود الإيمان وقاعدته وجماعه»[(٢)].



(١) أخرجه مسلم (ح٨).

(٢) الجواب الصحيح (٥/ ٩٤).



# المبحث الثالث

## الحكمة من إنزال الكتب

### الحكمة من إنزال الكتب ما يلي:

١- الهداية إلى الطريق الموصل للسعادة في الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤].

٢- الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

٣- إقامة الحجة على الخلق، قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء: ١٦٥]، قال الإمام ابن قدامة: «يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل»[(١)].

٤- تأييد الرسل وإظهار صدقهم، كما قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾﴾ [آل عمران: ١٨٤].

٥- الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، قال سبحانه: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً

---

(١) لمعة الاعتقاد (ص٢٤).

فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

٦- إقامة العدل بين الناس، قال جل وعلا: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

٧- هداية الناس وإنقاذهم من الضلال، قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: «**تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به، كتاب الله**»[(١)].

٨- «العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به»[(٢)].

٩- «ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم هذه الكتب - القرآن العظيم - مناسبًا لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة»[(٣)].



(١) أخرجه مسلم (ح١٢١٨).
(٢) عقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين (ص٣٢).
(٣) عقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين (ص٣٢-٣٣).



# المبحث الرابع

## الكتب المنزلة

### أشهرها، وما حصل لأكثرها من تحريف، وموقف المسلم من كتب أهل الكتاب

### ۞ أولًا: أشهر الكتب المنزلة:

١- **القرآن** المنزل على محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

٢- **التوراة** المنزلة على موسى عليه السلام، قال سبحانه: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۚ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ۝٩٣﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝٣٦﴾ [النجم: ٣٦]، وصحف موسى هي نفسها التوراة، على الصحيح، وقيل: هي كتاب أنزل على موسى قبل التوراة[١].

٣- **الإنجيل** المنزل على عيسى عليه السلام، قال جل وعلا: ﴿وَقَفَّيۡنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡإِنجِيلَ فِيهِ هُدٗى وَنُورٞ وَمُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٗ لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٤٦﴾ [المائدة: ٤٦].

---

(١) انظر: بحر العلوم، للسمرقندي (٣/ ٣٦٥)، التفسير البسيط، للواحدي (٢٣/ ٤٥١).

وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨].

٤- **الزبور** الذي أوتيه داود عليه السلام، قال جل وعلا: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

٥- **صحف** إبراهيم عليه السلام، قال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٨، ١٩].

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**أنزلت صحف إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من رمضان، وأنزلت التوراة لستٍّ مضين من رمضان، والإنجيل لثلاث عشرة خلت من رمضان، وأنزل الفرقان لأربع وعشرين خلت من رمضان**»(١).

## ثانيًا: ما حصل لأكثرها من تحريف:

أخبرنا الله جل وعلا عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم، فقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [البقرة: ٧٥]، وقال سبحانه: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء: ٤٦]، وقال جل وعلا: قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، والتحريف يتضمن «**خمسة أمور:**

**أحدها:** لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به، بحيث لا يتميز الحق من الباطل.

**الثاني:** كتمان الحق.

**الثالث:** إخفاؤه وهو قريب من كتمانه.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ١٩١)، والطبراني في الأوسط (٤/ ١١١)، وقال الهيثمي: «فيه عمران بن داود القطان، ضعفه يحيى، ووثقه ابن حبان، وقال أحمد: أرجو أن يكون صالح الحديث. وبقية رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ١/ ١٩٧)، وقال الألباني: «هذا إسناد حسن، رجاله ثقات» (سلسلة الأحاديث الصحيحة ٤/ ١٠٤).

**الرابع:** تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه.

**الخامس:** ليُّ اللسان به؛ ليلتبس على السامع اللفظ المنزل بغيره»[(١)].

وقد وكل الله حفظ الكتب السابقة إلى أهلها فحرفوها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل الكتاب -اليهود والنصارى- مع المسلمين متفقون على أن الكتب المتقدمة وقع التحريف بها، إما عمدًا، وإما خطأ في ترجمتها، وفي تفسيرها، وشرحها وتأويلها»[(٢)].

وقال الإمام ابن القيم: «واليهود تقر أن السبعين كاهنًا اجتمعوا على اتفاق من جميعهم على تبديل ثلاثة عشر حرفًا من التوراة... واليهود تقر أن السامرة حرفوا مواضع في التوراة وبدلوها تبديلًا ظاهرًا وزادوا ونقصوا، والسامرة تدعي ذلك عليهم»[(٣)].

والتوراة الحالية ليست نسخة واحدة مجمعًا عليها من اليهود والنصارى، إنما هي ثلاث نسخ مختلفة: التوراة السامرية، والتوراة العبرية، والتوراة اليونانية، فالتوراة السامرية تؤمن بها فرقة السامرة من اليهود، والتوراة العبرية يؤمن بها جمهور اليهود وفرقة البروتستانت من النصارى، والتوراة اليونانية تعترف بها فرقة الكاثوليك من النصارى، وكل فرقة لا تعترف بالنسخة التي عند غيرها، وتوجد بين النسخ الثلاث اختلافات وتناقضات كثيرة[(٤)].

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لابن القيم (ص٣١٢).
(٢) الجواب الصحيح (٥/ ١٢٣).
(٣) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٤١٦).
(٤) للتفصيل والاستزادة يراجع: إظهار الحق، لرحمت الله الهندي (٢/ ٤٢٩).

كما أن النصارى يعترفون بأن هذه الأناجيل التي بأيديهم ليست منزلة من عند الله، بل هي من وضع أربعة أشخاص وضعوها في أزمنة مختلفة؛ ولهذا قال الإمام ابن حزم: «وأما النصارى فقد كفونا هذه المؤونة كلها[(١)]؛ لأنهم لا يدَّعون أن الأناجيل منزلة من عند الله على المسيح، ولا أن المسيح أتاهم بها، بل كلهم أولهم عن آخرهم... لا يختلفون في أنها أربعة تواريخ ألفها أربعة رجال معروفون في أزمان مختلفة»[(٢)].

## ۞ ثالثًا: موقف المسلم من كتب أهل الكتاب:

**موقف المسلم من كتب أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:**

**أحدها:** ما يجب الإيمان بصدقه، وهو ما علمنا صحته من الكتاب أو السنة.

**والثاني:** ما يجب الإيمان بكذبه، وهو ما علمنا كذبه من الكتاب أو السنة.

**والثالث:** ما يجب التوقف فيه، فلا يصدق، ولا يكذب، وهو المسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته للاستشهاد لا للاعتضاد، وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ما أخبرونا به عن الأنبياء؛ إن علمنا صدقهم فيه صدقناهم فيه، وإن علمنا كذبهم فيه كذبناهم فيه، وإن لم نعلم صدقه ولا كذبه لم نصدقه ولم نكذبه، بل نقول: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]»[(٤)].

### والأمثلة على ذلك كالتالي:

**فمثال الأول:** عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى

(١) يعني: مؤونة إثبات أن أناجيلهم ليست من عند الله.

(٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٩).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (٣/ ٩٥).

رسول الله ﷺ فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقًا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧][١].

**ومثال الثاني:** عن جابر رضي الله عنه قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا۟ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣][٢].

**ومثال الثالث:** عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان أهل الكتاب يقرؤون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم،** ﴿وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦]»[٣].

والتحدُّث بهذا النوع جائز إذا لم يُخْش محذور، عن عبد الله بن عمرو، أن النبي ﷺ قال: «**بلغوا عني ولو آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار**»[٤].



(١) أخرجه البخاري (ح٤٨١١)، ومسلم (ح٢٧٦٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٥٢٨)، ومسلم (ح١٤٣٥).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٤٨٥).
(٤) أخرجه البخاري (ح٣٤٦١).



# المبحث الخامس

## معنى الإيمان بالقرآن وخصائصه

### ۞ أولًا: معنى الإيمان بالقرآن:

قال الإمام البيهقي: «**الإيمان بالقرآن يتشعب شعبًا:**

**فأولاها:** الإيمان بأنه كلام الله تبارك وتعالى، وليس من وضع محمد ﷺ، ولا من وضع جبريل عليه السلام.

**والثانية:** الاعتراف بأنه معجز النظم، لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا عليه.

**والثالثة:** اعتقاد أن جميع القرآن الذي توفي النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين، لم يفت منه شيء، ولم يضع بنسيان ناس ولا ضلال صحيفة، ولا موت قارئ، ولا كتمان كاتم، ولم يحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف»[(١)].

**ويشمل أيضًا:** تصديق أخباره، والعمل بأحكامه، وتلاوته وتدبره.

### ۞ ثانيًا: خصائص القرآن:

اختص الله سبحانه القرآن العظيم باعتباره آخر الكتب المنزلة بمزايا وخصائص عما سبقه من الكتب، **فمن خصائص القرآن التي انفرد بها عن الكتب**

(١) شعب الإيمان (١/ ٣٢٦).

**السابقة، ما يلي:**

**١- أن الله سبحانه تعهد بحفظه،** قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف مطلقًا، يقول القاضي عياض: «وقد أجمع المسلمون أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين مما جمعه الدفتان من أول ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [سورة الفاتحة] إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [سورة الناس] أنه كلام الله ووحيه المنزل على نبيه محمد ﷺ، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفًا قاصدًا لذلك، أو بدّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفًا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع الإجماع عليه، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامدًا لكل هذا؛ أنه كافر»(١).

**٢- أنه مهيمن على جميع الكتب السابقة،** كما قال سبحانه: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فالسلف كلهم متفقون على أن القرآن هو المهيمن المؤتمن الشاهد على ما بين يديه من الكتب، ومعلوم أن المهيمن على الشيء أعلى منه مرتبة»(٢)، ومن وجوه هيمنة القرآن على الكتب السابقة أنه بين كل ما جاءت به النبوات بأحسن الشرائع والمناهج، فصارت له الهيمنة على ما بين يديه من الكتب من وجوه متعددة، فهو شاهد بصدقها، وشاهد بكذب ما حرف منها، وهو حاكم بإقرار ما أقره الله، ونسخ ما نسخه، فهو شاهد في الخبريات، حاكم في الأمريات(٣).

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (٢/ ٣٠٤-٣٠٥)، وانظر: لمعة الاعتقاد، لابن قدامة المقدسي (ص٢٠)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٥/ ٢٢)، تفسير الرازي (١٩/ ١٦٠ -١٦١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٧/ ٤٤).

**٣-** أنه «الكتاب الذي **لا يصير منسوخًا** البتة»[١].

**٤- أنه المتعبد بتلاوته،** قال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]، وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف**»[٢].

**٥- أن الله يسره للذكر،** قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧].

**٦- أنه معجز بألفاظه ومعانيه،** قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨].

**٧- أنه شفاء لأمراض القلوب والأبدان،** قال جل وعلا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

**٨-** أنه **قرر** ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد ذلك بيانًا وتفصيلًا، وبين الأدلة والبراهين على ذلك، قال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَـٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [يونس: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَـٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

**٩- أنه بين ما حرف وبدل،** وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه.



(١) مفاتيح الغيب، للرازي (١٢/ ٣٧١).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٩١٠)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٦٤٦٩).



# المبحث السادس

## ثمرات الإيمان بالكتب

❁ **الإيمان بالكتب له ثمرات جليلة، منها**(١) :

١- **الوصول لمقام العبودية لله وحده، وهو أشرف المقامات**؛ لأن الكتب المنزلة من عند الله إنما جاءت بتقرير هذا التوحيد وبيانه؛ «فإن الله إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد وحده، ولا يدعى معه إله آخر»(٢)، وهي الغاية من خلق الجن والإنس.

٢- **الهداية لأقوم طريق وأكمل سبيل في حياة الأفراد والجماعات**، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

٣- **الوصول للحياة الحقيقية التي تزكو بها النفوس وتسعد بها القلوب**، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

---

(١) انظر: نبذة في العقيدة الإسلامية (ص٤٦-٤٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، لسليمان بن عبد الله (ص١٨٨).

٤- **الحصول على المنهج الأكمل في الأخلاق**، ولذا كان النبي ﷺ خلقه القرآن، وبالأخلاق بقاء الأمم ورقيها.

٥- **الهداية إلى الشريعة التي إليها يتحاكم الناس**، وبها يتحقق العدل بينهم، ويسود الأمن في حياتهم؛ لأنها من الخالق جل وعلا الذي خلق الإنسان وهو أعلم بما يصلحه ويسعده، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

٦- **العلم برحمة الله تعالى بعباده**، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

٧- **العلم بحكمة الله تعالى في شرعه**، حيث شرع لكل قوم أو أمة ما يناسب أحوالهم، كما قال الله ﷻ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

٨- **حمد الله ﷻ على نعمته**، حيث أنزل علينا كتابًا يبين لنا طريق سعادتنا في دنيانا وأخرانا.





# المبحث السابع

## مقالات المخالفين في الإيمان بالكتب

**أولًا: المكذبون بالكتب كلها**، وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين، ومن سلك سبيلهم؛ كالذين قالوا: إنها أساطير الأولين.

**ثانيًا: الذين آمنوا ببعض الكتب**، وكفروا بالبعض الآخر، وقالوا -كما حكى القرآن: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٩١]؛ كاليهود والنصارى الذين كذبوا بالقرآن، وتكذيبهم بالقرآن هو تكذيب لجميع الكتب التي أنزلها الله.

**ثالثًا: الذين آمنوا بها ظاهرًا وكفروا بها باطنًا، ومنهم:** غلاة الصوفية الذين اتخذوا من وساوس شياطينهم وحيًا، وتفاخروا بهذا الكفر والضلال حتى صار أحدهم يقول: «حدثني قلبي عن ربي»، قال ابن القيم نقلًا عن شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ما يقوله كثير من أصحاب الخيالات والجهالات: «حدثني قلبي عن ربي» فصحيح أن قلبه حدثه، ولكن عمن؟ عن شيطانه أو عن ربه؟ فإذا قال: حدثني قلبي عن ربي، كان مسند الحديث إلى من لم يعلم أنه حدثه به، وذلك كذب»(١).

وكحال آخرين أيضًا من غلاة الصوفية -وهم زنادقة التيجانية وأتباعهم- الذين يفضلون قراءة ما يسمونه: «صلاة الفاتح لما أغلق» على قراءة القرآن

---

(١) مدارج السالكين، لابن القيم (١/ ٦٤).

العظيم، ويزعمون أن المرة الواحدة منها تعدل من القرآن ستة آلاف مرة[١].

**رابعًا: الذين يفضلون أحكام البشر على شريعة رب العالمين** ممن وضعوا الدساتير الوضعية والقوانين البشرية، وفضلوها على شريعة الله وفرضوها على الناس، ونحَّوا شريعة رب العالمين ظلمًا وعدوانًا. قال الشيخ محمد بن إبراهيم: «الحاكم بغير ما أنزل الله كافر؛ إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة، وإما كفر عمل، لا ينقل عن الملة؛ **أما الأول: وهو كفر الاعتقاد، فهو أنواع:**

**أحدها:** أن يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله أحقية حكم الله ورسوله.

**الثاني:** أن لا يجحد الحاكم بغير ما أنزل الله كون حكم الله ورسوله حقًّا، لكن اعتقد أن حكم غير الرسول ﷺ أحسن من حكمه، وأتم وأشمل.

**الثالث:** أن لا يعتقد كونه أحسن من حكم الله ورسوله، لكن اعتقد أنه مثله.

**الرابع:** أن يعتقد جواز الحكم بما يخالف حكم الله ورسوله.

**الخامس:** وهو أعظمها وأشملها وأظهرها معاندة للشرع، ومكابرة لأحكامه، ومشاقة لله ولرسوله، ومضاهاة بالمحاكم الشرعية، إعدادًا وإمدادًا، وإرصادًا وتأصيلًا وتفريعًا، وتشكيلًا وتنويعًا، وحكمًا وإلزامًا، ومراجع مستمدات، فكما أن للمحاكم الشرعية مراجع مستمدات، مرجعها كلها إلى كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، فلهذه المحاكم مراجع هي القانون الملفق من شرائع شتى، وقوانين كثيرة؛ كالقانون الفرنسي، والقانون الأمريكي، والقانون البريطاني، وغيرها من القوانين، ومن مذاهب بعض البدعيين المنتسبين إلى الشريعة وغير ذلك.

**السادس:** ما يحكم به كثير من رؤساء العشائر والقبائل، من البوادي ونحوهم، من حكايات آبائهم وأجدادهم، وعاداتهم»[٢].

---

(١) انظر: جواهر المعاني وبلوغ الأماني، لعلي حرازم (١/ ١٠٠).

(٢) تحكيم القوانين، لمحمد بن إبراهيم، ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٢٠٦)، بتصرف واختصار.

**خامسًا: الفرق الباطنية؛** الذين سلكوا مسالك شتى في جحد ما أنزل الله على نبيه، **ومن ذلك:**

- **أولًا: التأويل الباطني لآيات القرآن وصرفها عن ظاهرها**، فقالوا: إن الرسول ﷺ بعث بالتنزيل، وعلي رضي الله عنه بعث بالتأويل، فجاؤوا بشريعة اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين باسم التأويل، وقد جعلوا التأويل الباطني رسالة جديدة حملها الأئمة بعد قيام الرسول ﷺ بتبليغ الظاهر، فقد جاء في أحد الرسائل الإسماعيلية أنه «لما كان الدين ظاهرًا وباطنًا قام النبي ﷺ بتبليغ الظاهر، وصرف إلى وصيه نصف الدين، وهو الباطن»(١).

وعلم التأويل هو معجزة الأئمة كما أن التنزيل -أي القرآن- معجزة الرسول ﷺ(٢)، وهم يحاولون بهذه الوسيلة هدم كل النصوص التي قام عليها كيان الإسلام.

- **ثانيًا: دعاوى تنزل كتب إلهية على أئمتهم، ومن ذلك:**

❊ **الدروز:** الذين وضعوا كتابًا سموه «المنفرد بذاته» يضاهئون به القرآن العظيم.

❊ **والبابية:** -وهم منبثقون عن الإثني عشرية- وضعوا كتابًا سموه «البيان».

❊ **والبهائية:** -وهم منبثقون عن الإثني عشرية أيضًا- وضعوا كتابًا سموه «الأقدس».

❊ **والإثنا عشرية** التي تسمى في عصرنا بالشيعة، وقد توسعوا في الافتراء، وأتوا بما تصطك منه أسماع العقلاء، وتقشعر منه جلود المؤمنين.

**فمن مفترياتهم أو مصاحفهم المفتراة التي يدعون أنها من الوحي المنزل على أئمتهم(٣):**

---

(١) أربع رسائل إسماعيلية: الرسالة الأولى: مسائل مجموعة من الحقائق والأسرار (ص٣٠).

(٢) انظر: تأويل الدعائم، للنعمان بن محمد المغربي (١/ ٦١).

(٣) وهذه الافتراءات ثابتة في مصادرهم المعتمدة لديهم والمنصوص على اعتمادها في دستور =

**أ- مصحف فاطمة:**

حيث يزعمون نزول مصحف على فاطمة بعد وفاة رسول الله ﷺ، حتى قالوا: «مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات، ما فيه من قرآنكم حرف واحد»[(١)].

**ب- كتاب أنزل على الرسول قبل أن يأتيه الموت - كما يفترون:**

يقولون: «إن الله تعالى أنزل على نبيه كتابًا قبل أن يأتيه الموت، فقال: يا محمد، هذا الكتاب وصيتك إلى النجيب من أهل بيتك، فقال: ومن النجيب من أهلي يا جبرائيل؟ فقال: علي بن أبي طالب عليه السلام»[(٢)].

**جـ- لوح فاطمة:**

نسبوا إلى فاطمة أنها قالت في وصفه: «هذا لوح أهداه الله تعالى إلى رسوله-صلى الله عليه وآله- فيه اسم أبي، واسم بعلي، واسم ابني، واسم الأوصياء من ولدي، وأعطانيه أبي ليبشرني بذلك»[(٣)].

**د- اثنتا عشرة صحيفة من السماء تتضمن صفات الأئمة:**

يقولون: إن رسول الله ﷺ قال- كما يفترون: «إن الله تبارك وتعالى أنزل عليَّ اثني عشر خاتمًا، واثنتي عشر صحيفة، اسم كل إمام على خاتمه وصفته في صحيفته»[(٤)].

**هـ- الجامعة:**

يقولون: «. . . وإن عندنا الجامعة، وما يدريهم ما الجامعة؟ . . . صحيفة طولها سبعون ذراعًا بذراع رسول الله -صلى الله عليه وآله- وإملائه من فلق

= دولتهم (إيران)، ويسمونها سنة المعصومين.

(١) أصول الكافي، للكليني (١/ ٢٣٩).

(٢) بحار الأنوار، للمجلسي (٣٦/ ١٩٢-١٩٣)، وانظر: إكمال الدين وإتمام النعمة، للصدوق (ص٣٧٦)، أمالي الصدوق (ص٢٤٠)، أمالي الشيخ (ص٢٨٢)، أصول الكافي (١/ ٢٨٠).

(٣) الكافي (١/ ٥٢٧-٥٢٨)، الوافي، للفيض الكاشاني، (٢/ ٧٢).

(٤) إكمال الدين، للصدوق (ص٢٦٣).

فيه، وخط علي بيمينه فيها كل حلال وحرام، وكل شيء يحتاج الناس إليه، حتى الأرش في الخدش...»[(١)].

وهي رواية طويلة يكذب أولُها آخرَها، وآخرها أولها، ومضامينها لا يصدق بها إلا البلهاء.

**و- الجفر:**

تقول رواياتهم في صفته بأنه: «وعاء من أدم فيه علم النبيين والوصيين، وعلم العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل»[(٢)]، ومرة تنعته بأنه: «جلد ثور ملئ علمًا»[(٣)]، وفيه -كما يفترون: «زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم، والحلال والحرام، ومصحف فاطمة، وفيه ما يحتاج الناس؛ حتى إن فيه الجلدة، ونصف الجلدة، وثلث الجلدة، وربع الجلدة، وأرش الخدش»[(٤)].

**ز- ديوان الشيعة:**

ومن الكتب التي عند أئمتهم- كما يزعمون- كتاب يسمى: «ديوان الشيعة»، أو «الناموس»، أو«السمط» على اختلاف رواياتهم في تسميته، قد سُجل فيه الشيعة بأسمائهم وأسماء آبائهم، وكان أتباع الأئمة- كما تقول أخبارهم التي نسبوها كذبًا لبعض آل البيت- يذهبون إلى الأئمة ليقفوا على أسمائهم في هذا الديوان؛ لأن وجود الاسم فيه هو برهان النجاة[(٥)].

ومزاعمهم في هذا الباب كثيرة[(٦)].

(١) الكافي (١/ ٢٣٨- ٢٤٠).
(٢) أصول الكافي (١/ ٢٣٩).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٤١).
(٤) بحار الأنوار (٢٦/ ٣٧)، بصائر الدرجات، للصفّار (ص٤١).
(٥) انظر رواياتهم في هذا في: بحار الأنوار (٢٦/ ١١٧-١٣٢).
(٦) وهناك كتب أخرى غير ما ذكر؛ كصحيفة فاطمة، وهي كما يزعمون «صحيفة بيضاء من درة.. فيها أسماء الأئمة» ومحظور لمسها على سائر الناس «قد نهي أن يمسها إلا نبي، أو وصي نبي، أو أهل بيت نبي»، ثم ذكروا بعض نصوصها ومنها: «أبو القاسم محمد بن عبد الله =

وهي كتب موهومة لا وجود لها، لكنهم أرادوا من خلال هذه المزاعم والافتراءات إقناع أتباعهم بأحقية مذهبهم الذي لم يجدوا له سندًا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فوضعوا هذه الأساطير، وعلقوا وجودها على منتظرهم المعدوم، فصارت فضيحة كبرى، وعارًا يلاحقهم أبد الدهر ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٩٣].

**سادسًا:** الحداثيون والعلمانيون الذين قالوا بتاريخية النص القرآني، والمراد به: إخضاع النص القرآني لأثر الزمان والمكان والمخاطب مطلقًا، وغايته: التنصل من سلطة النص القرآني وقدسيته، فالقرآن في زعمهم مرتبط بظروف تاريخية وسياسية واجتماعية، وليست أحكامه مطلقة لكل زمان[١].

يقول حسن حنفي: «نصوص الوحي ليست كتابًا أنزل مرة واحدة مفروضًا من عقل إلهي ليتقبله جميع البشر، بل مجموعة من الحلول لبعض المشكلات اليومية التي تزخر بها حياة الفرد والجماعة، وكثير من هذه الحلول قد تغيرت وتبدلت حسب التجربة على مقدار الإنسان وقدرته على التحمل، وكثير من الحلول لم تكن كذلك في بادئ الأمر معطاة من الوحي، بل كانت مقترحات من الفرد أو الجماعة، ثم أيدها الوحي»[٢].

ويقول محمد أركون: «ينبغي أن يستيقظ المسلمون، أن يفتحوا عيونهم، أن يقرؤوا القرآن بعيون جديدة، أن يتموضعوا في عصره وبيئته لكي يفهموه على حقيقته، وعندئذ لا يعودون يُسقطون عليه أفكار عصرهم وهمومه»[٣].

---

= المصطفى، أمه آمنة، أبو الحسن علي بن أبي طالب المرتضى أمه فاطمة بنت أسد...»، ثم ذكر بقية الاثني عشر بذكر اسمه واسم أمه. انظر: بحار الأنوار (٣٦/ ١٩٣-١٩٤)، إكمال الدين (ص١٧٨)، عيون أخبار الرضا، للصدوق (ص٢٤-٢٥).

(١) انظر: العلمانيون القرآن (ص٣٣٢-٣٣٣).

(٢) التراث والتجديد، حسن حنفي (ص١٣٥-١٣٦).

(٣) قضايا في نقد العقل الديني، محمد أركون (ص٢٨٥).

ويقول نصر حامد أبو زيد: «الخطاب الإلهي خطاب تاريخي، وبما هو تاريخي فإن معناه لا يتحقق إلا من خلال التأويل الإنساني، أنه لا يتضمن معنى مفارقًا جوهريًّا ثابتًا له إطلاقية المطلق وقداسة الإله»[1].

ولا شك أن هذه الدعوى ظاهرة البطلان؛ لأنها تنفي كون القرآن هدى للناس، وتزعم أنه ليس وحيًا إلهيًّا، بل هو نص بشري تأثر بالواقع، وانتهت مهمته بوفاة رسول الله ﷺ.



(١) النص والسلطة والحقيقة، نصر حامد أبو زيد (ص٣٣).



## ملخص الفصل الثاني

❋ الكتب الإلهية هي الكتب التي أنزلها الله على رسله رحمة بعباده وهداية لهم، ليصلوا بها إلى تحقيق سعادتهم في الدنيا والآخرة.

❋ **مفهوم الإيمان بكتب الله ﷻ يتضمن أربعة أمور:** (١) الإيمان بأن جميعها منزل من عند الله ﷻ، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء، وعلى الوجه الذي أراد. (٢) الإيمان بكل كتاب أنزله الله، حيث نؤمن بما علمنا منها باسمه، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالًا. (٣) تصديق ما صح من أخبارها. (٤) العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، وهو القرآن؛ لأن جميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن.

❋ الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله هو الركن الثالث من أركان الإيمان، فمن كذب بواحد منها فقد كذب بها جميعًا؛ لأنها كلها من عند الله.

❋ **الحكمة من إنزال الكتب ما يلي:** (١) الهداية إلى الطريق الموصل للسعادة في الدنيا والآخرة. (٢) الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده. (٣) إقامة الحجة على الخلق. (٤) تأييد الرسل وإظهار صدقهم. (٥) الحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه. (٦) إقامة العدل بين الناس. (٧) هداية الناس وإنقاذهم من الضلال. (٨) العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به. (٩) ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها.

❋ **أشهر الكتب المنزلة:** (١) القرآن المنزل على محمد ﷺ. (٢) التوراة المنزلة على موسى عليه السلام. (٣) الإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام. (٤) الزبور الذي أوتيه داود عليه السلام. (٥) صحف إبراهيم عليه السلام.

❁ **أخبرنا الله جل وعلا عن تحريف أهل الكتاب لكتبهم، والتحريف يتضمن خمسة أمور:** (١) لبس الحق بالباطل، وهو خلطه به، بحيث لا يتميز الحق من الباطل. (٢) كتمان الحق. (٣) إخفاؤه، وهو قريب من كتمانه. (٤) تحريف الكلم عن مواضعه، وهو نوعان: تحريف لفظه، وتحريف معناه. (٥) ليُّ اللسان به؛ ليلتبس على السامع اللفظ المنزل بغيره.

❁ **موقف المسلم من كتب أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:** (١) ما يجب الإيمان بصدقه، وهو ما علمنا صحته من الكتاب أو السنة. (٢) ما يجب الإيمان بكذبه، وهو ما علمنا كذبه من الكتاب أو السنة. (٣) ما يجب التوقف فيه، فلا يصدق، ولا يكذب، وهو المسكوت عنه، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، وتجوز حكايته للاستشهاد لا للاعتضاد.

❁ **معنى الإيمان بالقرآن:** (١) الإيمان بأنه كلام الله تبارك وتعالى، وليس من وضع محمد ﷺ، ولا من وضع جبريل عليه السلام. (٢) الاعتراف بأنه معجز النظم. (٣) اعتقاد أن جميع القرآن الذي توفي النبي ﷺ عنه هو هذا الذي في مصاحف المسلمين، لم يحرف منه شيء، ولم يزد فيه حرف، ولم ينقص منه حرف. (٤) تصديق أخباره. (٥) العمل بأحكامه. (٦)، (٧) وتلاوته وتدبره.

❁ **من خصائص القرآن التي انفرد بها عن الكتب السابقة، ما يلي:** (١) أن الله سبحانه تعهد بحفظه. (٢) أنه مهيمن على جميع الكتب السابقة. (٣) أنه الكتاب الذي لا يصير منسوخًا البتة. (٤) أنه المتعبد بتلاوته. (٥) أن الله يسره للذكر. (٦) أنه معجز بألفاظه ومعانيه. (٧) أنه شفاء لأمراض القلوب والأبدان. (٨) أنه قرر ما في الكتب المتقدمة من الخبر عن الله وعن اليوم الآخر، وزاد على ذلك بيانًا وتفصيلًا. (٩) أنه بين ما حرف وبدل، وما فعله أهل الكتاب في الكتب المتقدمة، وبين أيضًا ما كتموه مما أمر الله ببيانه.

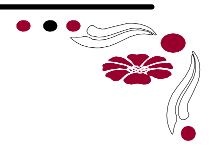
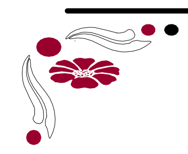
❁ **الإيمان بالكتب له ثمرات جليلة، منها:** (١) الوصول لمقام العبودية لله وحده، وهو أشرف المقامات؛ لأن الكتب المنزلة من عند الله إنما جاءت

بتقرير هذا التوحيد وبيانه. **(٢)** الهداية لأقوم طريق وأكمل سبيل في حياة الأفراد والجماعات. **(٣)** الوصول للحياة الحقيقية التي تزكو بها النفوس وتسعد بها القلوب. **(٤)** الحصول على المنهج الأكمل في الأخلاق. **(٥)** الهداية إلى الشريعة التي إليها يتحاكم الناس، وبها يتحقق العدل بينهم، ويسود الأمن في حياتهم. **(٦)** العلم برحمة الله تعالى بعباده؛ حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة. **(٧)** العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرع لكل قوم أو أمة ما يناسب أحوالهم. **(٨)** حمد الله ﷻ على نعمته، حيث أنزل علينا كتابًا يبين لنا طريق سعادتنا في دنيانا وأخرانا.

❊ **المخالفون في الإيمان بالكتب طوائف شتى، ومنهم:** **(١)** المكذبون بالكتب كلها، وهم أعداء الرسل من الكفار والمشركين، ومن سلك سبيلهم. **(٢)** الذين آمنوا ببعض الكتب، وكفروا بالبعض الآخر، كاليهود والنصارى الذين كذبوا بالقرآن. **(٣)** الذين آمنوا بها ظاهرًا وكفروا بها باطنًا، ومنهم: غلاة الصوفية الذين اتخذوا من وساوس شياطينهم وحيًا. **(٤)** الذين يفضلون أحكام البشر على شريعة رب العالمين؛ ممن وضعوا الدساتير الوضعية والقوانين البشرية، وفضلوها على شريعة الله وفرضوا على الناس التحاكم إليها. **(٥)** الفرق الباطنية؛ الذين سلكوا مسالك شتى في جحد ما أنزل الله على نبيه، ومن ذلك: (أ) التأويل الباطني لآيات القرآن وصرفها عن ظاهرها. (ب) دعاوى تنزل كتب إلهية على أئمتهم، كالدروز الذين وضعوا كتابًا سموه «المنفرد بذاته»، والبابية الذين وضعوا كتابًا سموه «البيان»، والبهائية الذين وضعوا كتابًا سموه «الأقدس»، والإثني عشرية الذين يدعون أن هناك كتبًا نزلت من الله على أئمتهم، منها -كما يزعمون: مصحف فاطمة، وكتاب أنزل على الرسول ﷺ قبل أن يأتيه الموت، ولوح فاطمة، واثنتا عشرة صحيفة من السماء تتضمن صفات الأئمة، والجامعة، والجفر، وديوان الشيعة.

(٦) الحداثيون والعلمانيون الذين قالوا بتاريخية النص القرآني، والمراد به: إخضاع النص القرآني لأثر الزمان والمكان والمخاطب مطلقًا، وغايته: التنصل من سلطة النص القرآني وقدسيته، فالقرآن في زعمهم مرتبط بظروف تاريخية وسياسية واجتماعية، وليست أحكامه مطلقة لكل زمان.



## أسئلة تطبيقية

**س١:** عرف الكتب لغة واصطلاحًا، موضحًا معنى الإيمان بالكتب الإلهية.

**س٢:** اذكر أشهر الكتب الإلهية السابقة على القرآن، مع ذكر أدلة تحريفها.

**س٣:** ما موقف المسلم من الكتب السابقة؟

**س٤:** بين معنى الإيمان بالقرآن، وأهم الخصائص التي تميز بها عن الكتب السابقة.

**س٥:** ما هي ثمرات الإيمان بالكتب الإلهية؟

**س٦:** سلكت الفرق الباطنية مسالك شتى في جحد ما أنزل الله على نبيه ﷺ، اشرح ذلك، واذكر بعض الكتب التي زعموا أنها تنزل على أئمتهم.

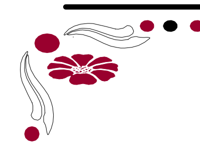
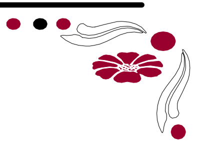
**س٧:** ما المراد بتاريخية النص؟ ومن الذي قال به؟ وما الغرض من هذه الدعوى؟ وكيف ترد عليها؟





# الفصل الثالث

# الإيمان بالرسل

# الفصل الثالث

**۞ ويشتمل على ما يلي:**

١- تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما.

٢- الوحي؛ تعريفه، وأنواعه مع الأدلة.

٣- معنى الإيمان بالرسل.

٤- حكم الإيمان بالرسل مع الأدلة.

٥- حاجة البشر إلى الرسل، والرد على منكري النبوة.

٦- الرسل الذين ذكروا في القرآن، وعدد الأنبياء والرسل على وجه العموم، والمختلف في نبوتهم، والقول الراجح في ذلك.

٧- منزلة الأنبياء والمرسلين، وخصائصهم، ووظائفهم.

٨- تفاضل الرسل فيما بينهم.

٩- عصمة الأنبياء والرسل.

١٠- دلائل النبوة، وآيات الرسل والأنبياء، تعريفها، وعلاقتها بمصطلح المعجزة، وأنواع الآيات، وأمثلة على آيات الأنبياء والرسل.

١١- الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء وخوارق السحرة والكهان.

١٢- دين الأنبياء واحد، وأدلته.

١٣- مبشرات نبوة النبي محمد ﷺ، وأدلة ثبوت نبوته ﷺ، والرد على الشبهات حولها.

١٤- معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ.

١٥- خصائص رسالة نبينا محمد ﷺ.

١٦- ختم النبوة.

١٧- الإسراء والمعراج؛ تعريفهما، والأدلة عليهما، ودلالتهما.

١٨- ثمرات الإيمان بالرسل.





# المبحث الأول

## تعريف النبي والرسول، والفرق بينهما

### ۞ أولًا: معنى الرسول والنبي لغة:

**النبي لغة:** مشتق من النبأ، وهو الخبر، وسمي النبي نبيًّا؛ لأن الله أنبأه، أي: أخبره، وأوحى إليه ﴿قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]، أو لأنه ينبئ عن الله أي: يخبر، فالنبيء: المخبِر عن الله ﷻ؛ لأنه أنبأ عنه، وقيل: مشتق من النَّبْوة، وهي ما ارتفع من الأرض[(١)]؛ لأن النبي ذو رفعة وقدر عظيم في الدنيا والآخرة.

ورجح شيخ الإسلام ابن تيمية المعنى الأول[(٢)].

وليس هناك ما يمنع من حمله على الجميع؛ لأن النبي يخبره الله، وهو يخبر عن الله، وهو ذو رفعة وقدر عظيم.

والرسول مشتق من الإرسال، قال ابن منظور: «الإرسال: التوجيه، وقد أَرْسَل إليه، والاسمُ الرِّسالة، والرَّسالة، والرسول، والرَّسِيل»[(٣)]، ووجه

---

(١) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري (١٥/ ١٩٤)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري (٦/ ٢٥٠٠)، لسان العرب، لابن منظور (١٥/ ٣٠٢).

(٢) انظر: النبوات، لابن تيمية (٢/ ٦٨٨).

(٣) لسان العرب (٣/ ١٦٤٤)، وانظر: الزاهر في معاني كلمات الناس، لأبي بكر الأنباري (١/ ٣٤).

التسمية: أن الرسول مرسل من عند الله.

## ۞ ثانيًا: معنى الرسول والنبي اصطلاحًا والفرق بينهما:

يتبين معنى الرسول والنبي من خلال معرفة الفرق بينهما، حيث ذهب بعضهم إلى القول بأنه لا فرق بين الرسول والنبي، وهم جمهور المعتزلة، قال القاضي عبد الجبار: «اعلم أنه لا فرق في الاصطلاح بين الرسول والنبي»(١).

**والحق أن هناك فرقًا بين الرسول والنبي**؛ فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولًا، بدليل قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، والعطف عند علماء العربية يقتضي المغايرة(٢).

**ويدل على الفرق أيضًا** قوله جل وعلا: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ۝٥١﴾ [مريم: ٥١]، فوصفه بالنبوة والرسالة، والرسالة صفة زائدة عن النبوة، لأنه لا وجه للقول بالترادف.

ولذا قال القاضي عياض: «الصحيح، والذي عليه الجمُّ الغفير أن كل رسول نبي وليس كل نبي رسولًا»(٣).

وقد اختلف القائلون بالتفريق في معنى النبي والرسول وتحديد الفرق بينهما **على أقوال:**

**القول الأول:** أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وهو قول الجمهور(٤).

**واعترض بعضهم على هذا القول بوجوه:**

١- أن الله ﷻ نص في كتابه على أنه أرسل الأنبياء كما أرسل الرسل في

---

(١) شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار (ص٥٦٧)، وانظر: تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦).

(٢) انظر: تفسير الزمخشري (٣/ ١٦٤)، تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٦)، مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٢).

(٣) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض (١/ ٢٥١).

(٤) انظر: أعلام الحديث، للخطابي (١/ ٢٩٨)، شرح الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ١٥٥).

قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]، والإرسال يقتضي من النبي البلاغ.

٢- أن ترك البلاغ لا يجوز؛ لأنه كتمان لوحي الله ﷻ، فكلٌّ من الرسول والنبي مأمور بالتبليغ.

٣- أن العلماء، وهم أقل رتبة من الأنبياء، مأمورون بالبلاغ.

٤- واحتج بعضهم بحديث: «**عرضت عليَّ الأمم، فجعل يمر النبي معه الرجل، والنبي معه الرجلان، والنبي معه الرهط، والنبي ليس معه أحد**»(١)، فدل هذا على أن الأنبياء مأمورون بالبلاغ، وأنهم يتفاوتون في مدى الاستجابة لهم(٢)، ولكن الاعتراض بهذا الحديث غير متوجه؛ لأن النبي إذا أفرد بالذكر قد يدخل فيه الرسول.

**القول الثاني**: أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي من أوحي إليه بتجديد شرع من قبله، وهو اختيار الألوسي(٣)، والألباني(٤)، والأشقر(٥).

وقد اعترض على هذا القول بآدم -عليه الصلاة والسلام- **ووجه ذلك**: أن آدم هو أول الأنبياء فلم يتقدم عليه رسول، فكيف يقال بأن النبي هو من بعث بتقرير شرع من قبله؟!(٦)، ويضاف إلى ذلك بأنه ليس من شروط الرسول أن يأتي بشرع جديد، فإن داود وسليمان عليهما السلام كانا رسولين وهما على شريعة التوراة لم يأتيا بشرع جديد(٧).

(١) أخرجه البخاري (ح٥٧٥٢)، ومسلم (ح٢٢٠).
(٢) انظر: الرسل والرسالات، لعمر الأشقر (ص١٥).
(٣) انظر: روح المعاني، للألوسي (٩/ ١٦٥).
(٤) انظر: متن الطحاوية بتعليق الألباني (ص٣٦).
(٥) انظر: الرسل والرسالات، للأشقر (ص١٥).
(٦) ذكر لي شيخنا محمد بن عثيمين رحمه الله أنه كان يميل إلى هذا القول، ثم عدل عنه إلى قول الجمهور، وذلك لأنه يرد عليه مسألة آدم عليه السلام.
(٧) انظر: النبوات (٢/ ٧١٧-٧٢١).

**القول الثالث:** قال الفراء: «الرسول: النبي المرسل، والنبي: المحدَّث الذي لم يرسل»[١]، ومراده: أن الرسول الذي أرسل إلى الخلق بإرسال جبريل عليه السلام إليه عيانًا، والنبي الذي تكون نبوته إلهامًا أو منامًا[٢].

**القول الرابع:** قال الزمخشري: «الرسول: الذي معه كتاب من الأنبياء، والنبى: الذي ينبئ عن الله عز وجل وإن لم يكن معه كتاب، كيوشع»[٣].

**القول الخامس -وهو أرجحها:** أن الرسول يبعث لقوم كافرين، والنبي يبعث إلى مؤمنين، وهو اختيار ابن تيمية[٤]، وهو أسلم الأقوال من الاعتراضات.



(١) معاني القرآن، للفراء (٢/ ٢٢٩).

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٨٠).

(٣) تفسير الزمخشري (٣/ ٢٢)، وانظر: فيض القدير، للمناوي (١/ ١٥).

(٤) انظر: النبوات (٢/ ٧١٧-٧٢١).



# المبحث الثاني

## الوحي

### تعريفه، وأنواعه مع الأدلة

### ۞ أولًا: معنى الوحي:

**الوحي لغة:**

قال أبو منصور الأزهري: «قال أبو إسحاق: وأصل الوحي في اللغة كلها: إعلام في خفاء، ولذلك صار الإلهام يسمى وحيًا، قلت: وكذلك الإشارة والإيماء يسمى وحيًا، والكتابة تسمى وحيًا»[(١)].

و«**القول الجامع في معنى الوحي اللغوي** أنه الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره... ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة، وهما: الخفاء والسرعة»[(٢)].

**الوحي شرعًا:**

أن يُعلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كلَّ ما أراد إطلاعه عليه من أنواع الهداية والعلم، ولكن بطريقة سريعة خفية غير معتادة للبشر[(٣)].

---

(١) تهذيب اللغة (٥/ ٢٩٧)، وانظر: مقاييس اللغة (٦/ ٩٣)، لسان العرب (٦/ ٤٧٨٧).

(٢) الوحي المحمدي، لمحمد رشيد رضا (ص٢٥).

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد الزرقاني (١/ ٦٣)، مباحث في علوم القرآن، =

## ۞ ثانيًا: أنواع الوحي:

بين الله تعالى أنواع الوحي في قوله سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]، فقد ذكر تعالى في هذه الآية «أن تكليمه تعالى... **يكون على أحد هذه الأوجه:**

١- إما أن يكلمه الله وحيًا؛ بأن يُلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاها.

٢- أو يكلمه منه شفاهًا، لكن من وراء حجاب، كما حصل لموسى بن عمران، كليم الرحمن.

٣- أو يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، فيرسل رسولًا كجبريل أو غيره من الملائكة، ﴿فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ﴾ أي: بإذن ربه، لا بمجرد هواه»[(١)].

**فحصرت الآية التكليم في ثلاثة أقسام:**

**الأول**: الوحي، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إِلَّا وَحْيًا﴾، «وفسره بعضهم بالإلقاء في القلب سواء كان في اليقظة أو في المنام، والإلقاء أعم من الإلهام؛ فإن إيحاء أم موسى إلهام، وإيحاء إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلقاء في المنام وليس إلهامًا، وإيحاء الزبور إلقاء في اليقظة -كما روي عن مجاهد- وليس بإلهام»[(٢)].

❊ أما في اليقظة فيلقي الله أو الملَك الموكل بالوحي في قلب نبيه ما يريد، مع تيقنه أن ما ألقي إليه من قِبل الله تعالى.

وذلك مثل ما ورد في حديث: «**إن روح القدس نفث في رُوعي: لن تموت نفس**

---

= لمناع القطان (ص٢٩)، دراسات في علوم القرآن، لفهد الرومي (ص١٧٧).

(١) تفسير السعدي (ص٧٦٢)، وانظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٢١٧)، تفسير البغوي (٧/ ٢٠٠-٢٠١)، معاني القرآن (٦/ ٣٢٦-٣٢٧)، معترك الأقران في إعجاز القرآن (٢/ ١٨٥).

(٢) روح المعاني، للألوسي (١٣/ ٥٤).

**حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب»**[١].

❋ وأما في المنام، فإن رؤيا الأنبياء وحي؛ وذلك مثل: رؤيا إبراهيم الخليل -عليه الصلاة والسلام- أن يذبح ابنه، ورؤيا نبينا محمد -صلوات الله وسلامه عليه- في منامه أنهم سيدخلون البلد الحرام، وقد كان. وفي الحديث الصحيح: «أول ما بُدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فَلَقِ الصبح»[٢].

**والثاني:** تكليم الله نبيه بما يريد من وراء حجاب، إما في اليقظة، وإما في المنام، فيسمع الكلام من غير أن يبصر السامع من يكلمه، كما كان لموسى عليه السلام، وكذا الملائكة الذين كلمهم الله تعالى في قضية خلق آدم عليه السلام ونحوهم، وهو المراد بقوله سبحانه: ﴿أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ﴾.

**والثالث:** إرسال الملَك، كالغالب من حال نبينا ﷺ وهو حال كثير من الأنبياء عليهم السلام، وزَعْم أنه من خصوصيات أولي العزم من المرسلين غير صحيح، وهو المراد بقوله عز وجل: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾ أي: ملَكًا ﴿فَيُوحِيَ﴾ ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذي هو الرسول البشري ﴿بِإِذۡنِهِۦ﴾ أي: بأمره تعالى وتيسيره سبحانه ﴿مَا يَشَآءُۚ﴾ أن يوحيه، وهذا يدل على أن المراد من الأول الوحي من الله تعالى بلا واسطة؛ لأن إرسال الرسول جعل فيه إيحاء ذلك الرسول.

والملك المختص بالوحي هو جبريل عليه السلام، والوحي الذي يكون بواسطة جبريل عليه السلام يعرف بـ(الوحي الجليِّ)، **وله ثلاث حالات:**

١- **أن يأتي جبريل** عليه السلام **في صورته التي خلقه الله عليها**، وهذه الحالة نادرة،

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف عن ابن مسعود رضي الله عنه (١٣/ ٢٢٧)، والبزار في المسند عن حذيفة رضي الله عنه (ح٢٩١٤)، وأبو نعيم في حلية الأولياء عن أبي أمامة رضي الله عنه (١٠/ ٢٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٠٨٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣)، ومسلم (ح١٦٠).

وقليلة، وقد ورد أن النبي ﷺ لم ير جبريل على هذه الحالة إلا مرتين: مرة في الأرض، وهو نازل من غار حراء، ومرة أخرى في السماء، عند سدرة المنتهى ليلة المعراج[(١)].

٢- **أن يأتي جبريل عليه السلام في صورة رجل**؛ كدحية الكلبي، أو أعرابي مثلًا، ويراه الحاضرون ويسمعون قوله، ولا يعرفون هويته، ولكن النبي ﷺ يعلم علم اليقين أنه جبريل.

٣- **أن يأتي الملَك ولا يُرى**، ولكن يصحب مجيئه صوت كصلصلة الجرس، أو دويٌّ كدوي النحل، وقد دل على هاتين الحالتين حديث عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «**أحيانًا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليَّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول**» قالت عائشة رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقًا[(٢)].

والوحي بجميع أنواعه يصحبه علم يقيني ضروري من الموحى إليه بأن ما ألقي إليه حق من عند الله، ليس من خطرات النفس ولا نزغات الشيطان، وهذا العلم اليقيني لا يحتاج إلى مقدمات، وإنما هو من قبيل إدراك الأمور الوجدانية، كالجوع والعطش والحب والبغض[(٣)].



(١) أخرجه أحمد في المسند عن ابن مسعود رضي الله عنه (ح ٣٨٦٤)، وعن عائشة رضي الله عنها (ح ٢٥٩٩٣)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.

(٢) أخرجه البخاري (ح٢)، ومسلم (ح٢٣٣٣)، واللفظ للبخاري.

(٣) انظر: تفسير الألوسي (١٣/ ٥٤)، المدخل لدراسة القرآن الكريم، لمحمد أبي شهبة (ص٨٥-٨٧).



# المبحث الثالث

## معنى الإيمان بالرسل

### ۞ الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:

**الأول:** الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، وأنَّ جميعهم صادقون مصدَّقون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلَّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا حرفًا، ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفًا ولم ينقصوه، وأنهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين(١).

**الثاني:** الإيمان بكل نبي أرسله الله؛ مَنْ علمنا اسمه منهم نؤمن باسمه، ومن لم نعلم نؤمن به إجمالًا.

**الثالث:** تصديق ما صح من أخبارهم، ولا يصح من أخبارهم، إلا ما جاء في كتاب الله، كقوله تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٩]، وما صح عن رسول الله ﷺ.

**الرابع:** العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد ﷺ، المرسل إلى جميع الناس، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٦٧٧).

يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥]، فقد ختم الله به المرسلين، وجعله آخر النبيين، وجعل كتابه مهيمنًا على سائر الكتب قبله، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].





# المبحث الرابع

## حكم الإيمان بالرسل مع الأدلة

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، لا يصح الإيمان إلا به، ومن أدلة ذلك أن الله سبحانه قرن الإيمان برسله بالإيمان به، فقال تعالى: ﴿كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال - جل وعلا: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

كما قرن الله - جل وعلا - الكفر به بالكفر برسله، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾﴾ [النساء: ١٥٠، ١٥١]، وهذا ما أجمع عليه المسلمون، وعلم بالاضطرار من دين الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق المسلمون على ما هو معلوم بالاضطرار من دين الإسلام، وهو أنه يجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، وبجميع ما أنزله الله من الكتب، فمن كفر بنبي واحد تعلم نبوته، مثل: إبراهيم، ولوط، وموسى، وداود، وسليمان، ويونس، وعيسى، فهو كافر عند جميع المسلمين، حكمه حكم الكفار، وإن كان مرتدًّا استتيب، فإن تاب وإلا قتل، ومن سب نبيًّا واحدًا من الأنبياء قتل أيضًا باتفاق المسلمين»(١).

(١) الجواب الصحيح (٢/ ٣٧١)، وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤٥).

وقد جعل الله سبحانه حكم من كفر برسالة واحد منهم كمن كفر بجميعهم، قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [الشعراء: ١٠٥]، وقال سبحانه: ﴿كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾﴾ [الشعراء: ١٢٣]، وقال ﷻ: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الشعراء: ١٤١]، وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الشعراء: ١٦٠]، فجعلهم الله - جل وعلا - مكذبين لجميع الرسل، مع أنهم لم يكذبوا سوى رسولهم، وهذا يبين أن من كذب رسولًا واحدًا كمن كذب الرسل جميعًا، وهو يدل على أن النصارى الذين يكذبون محمدًا ﷺ هم مكذبون بعيسى، واليهود الذين يكذبون محمدًا ﷺ هم مكذبون لموسى -صلوات الله عليهم أجمعين- قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من أطاع رسولًا واحدًا فقد أطاع جميع الرسل، ومن آمن بواحد منهم فقد آمن بالجميع، ومن عصى واحدًا منهم فقد عصى الجميع، ومن كذب واحدًا منهم فقد كذب الجميع؛ لأن كل رسول يصدق الآخر، ويقول: إنه رسول صادق ويأمر بطاعته، فمن كذب رسولًا فقد كذب الذي صدقه، ومن عصاه فقد عصى من أمر بطاعته»(١).

❁ ويجب الإيمان بأنهم بلغوا جميع ما أرسلوا به على ما أمرهم الله به، وأنهم بينوه بيانًا لا يسع أحدًا ممن أرسلوا إليه جهله، ولا يحل خلافه، قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٢﴾﴾ [النحل: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

❁ ويجب الإيمان بما تضمنته رسالاتهم من أخبار وأحكام وشرائع وما أنزل عليهم من كتب، قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٨٠)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٥٢٣).

تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦﴾ [البقرة: ١٣٦].

❊ ويجب الاهتداء بهديهم، والاقتداء بسيرهم واقتفاء آثارهم، كما قال سبحانه بعد أن ذكر عددًا من أنبيائه ورسله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

كما يجب الإيمان بخاتم الرسل محمد ﷺ، فيجب تصديقه واتباع ما جاء به من الشرائع إجمالًا وتفصيلًا، واعتقاد أن رسالته ناسخة لما قبلها(١).



(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٤٢٣-٤٢٤).



# المبحث الخامس

## حاجة البشر إلى الرسل

### والرد على منكري النبوة

### ۞ أولًا: حاجة البشر إلى الرسل:

**يتبين ذلك من وجوه:**

**١-** أن «حاجة العبد إلى الرسالة أعظم بكثير من حاجة المريض إلى الطب؛ فإن آخر ما يقدر بعدم الطبيب موت الأبدان، وأما إذا لم يحصل للعبد نور الرسالة وحياتها، مات قلبه موتًا لا ترجى الحياة معه أبدًا، أو شقي شقاوة لا سعادة معها أبدًا»(١).

**٢-** أن البشر مهما أوتوا من عقول، لا يستطيعون أن يصلوا إلى الحق والهدى الذي فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة.

**٣-** أن «سعادة العباد في معاشهم ومعادهم باتباع الرسالة... والعبد ما لم تشرق في قلبه شمس الرسالة ويناله من حياتها وروحها فهو في ظلمة، وهو من الأموات، قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، فهذا وصف المؤمن كان ميتًا في ظلمة الجهل، فأحياه الله بروح الرسالة ونور الإيمان،

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٦-٩٧).

وجعل له نورًا يمشي به في الناس، وأما الكافر فميت القلب في الظلمات، وسمى الله تعالى رسالته روحًا، والروح إذا عدم فقد فقدت الحياة، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]»(١).

وقال الإمام ابن القيم: «لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البتة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاؤوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأخلاق والأعمال، وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال»(٢).

٤- أنه لا سبيل لمعرفة العبد بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على سبيل التفصيل إلا عن طريق الرسل، فلا سبيل إلى أن يهتدي إلى الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه، ويعرف حاله ومصيره بعد الموت إلا بواسطة الرسل، قال الإمام ابن أبي العز مبينًا هذه الأصول الثلاثة التي لا تعرف على سبيل التفصيل إلا من جهة الرسل -عليهم الصلاة والسلام: «اقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين، وإليه داعين، ولمن أجابهم مبشرين، ولمن خالفهم منذرين، وجعل مفتاح دعوتهم، وزبدة رسالتهم، معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله؛ إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها من أولها إلى آخرها، **ثم يتبع ذلك أصلان عظيمان:**

**أحدهما:** تعريف الطريق الموصل إليه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه.

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٣-٩٤).

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٦٨).

**والثاني:** تعريف السالكين ما لهم بعد الوصول إليه من النعيم المقيم»(١).

**٥-** أن الله - جل وعلا - أخبر أن المقتضي الباعث لإرسال الرسل هو رحمته للعالمين، قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ولذلك كان إرسال الرسل من أجلِّ وأعظم نِعَم الله على خلقه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

**٦-** أن «الرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده، فكما أنه لا صلاح له في آخرته إلا باتباع الرسالة، فكذلك لا صلاح له في معاشه ودنياه إلا باتباع الرسالة؛ فإن الإنسان مضطر إلى الشرع؛ فإنه بين حركتين: حركة يجلب بها ما ينفعه؛ وحركة يدفع بها ما يضره، والشرع هو النور الذي يبين ما ينفعه وما يضره، والشرع نور الله في أرضه، وعدله بين عباده، وحصنه الذي من دخله كان آمنًا»(٢).

## ۞ ثانيًا: الرد على منكري النبوات:

يزعم منكرو النبوات أنه يمكنهم الاستغناء عن الرسل بعقولهم، وأشهر من عرف عنهم إنكار النبوات هم البراهمة، وقد نقل أصحاب المقالات شبهاتهم، وبينوا وجوه بطلانها، **فمن شبهاتهم ما يلي:**

**الشبهة الأولى:** أن الله تعالى قد أغنى عنهم -كما يزعمون- بما دلت عليه العقول، **وهذا فاسد من وجهين:**

**الأول:** أنه لا يمكن أن تستغني العقول عن بعثة الرسل؛ لأن ما يأتي به الرسل هو من عند الله خالق الإنسان، وهو أعلم بما يصلحه ويفسده، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ١٤﴾ [الملك: ١٤].

(١) شرح الطحاوية (١/ ٦).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ٩٩).

**والثاني:** أنه لا مدخل للعقول فيما تأتي به الرسل من الوعد والوعيد والجنة والنار، وما يشرعونه من أوصاف التعبد الباعث على التأله، فلا يغني العقل عن بعثة الرسل[(١)].

**الشبهة الثانية:** «أن بعثة الرسل إلى من يعلم من حاله أنهم لا يقبلون منهم ما بلغوه إليهم عبث يمنع من حكمة الله تعالى، **وهذا فاسد من وجهين:**

**أحدهما:** أنه ليس بعبث أن يكون فيهم من لا يقبله، كما لم يكن فيما نصبه الله تعالى من دلائل العقول على توحيده عبثًا، وإن كان منهم من لا يستدل به على توحيده كذلك بعثة الرسل.

**والثاني:** أن وجود من يقبله فيهم على هذا التعليل يوجب بعثة الرسل وهم يمنعون من إرسالهم إلى من يقبل ومن لا يقبل فبطل هذا التعليل»[(٢)].

**الشبهة الثالثة:** قولهم: «ليس الخلق أهلًا أن يرسل الله إليهم رسولًا، كما أن أطراف الناس ليسوا أهلًا أن يرسل السلطان إليهم رسولًا»[(٣)]، وأجاب عن ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «هذا جهل واضح في حق المخلوق والخالق، فإن من أعظم ما تحمد به الملوك خطابهم بأنفسهم لضعفاء الرعية، فكيف بإرسال رسول إليهم؟!

وأما في حق الخالق فهو سبحانه أرحم بعباده من الوالدة بولدها، وهو قادر مع كمال رحمته، فإذا كان كامل القدرة كامل الرحمة، فما المانع أن يرسل إليهم رسولًا رحمة منه؟ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال النبي ﷺ: «**إنما أنا رحمة مهداة**»، ولأن هذا من جملة إحسانه إلى الخلق بالتعليم والهداية وبيان ما ينفعهم وما يضرهم، كما قال تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ

---

(١) انظر: أعلام النبوة للماوردي (ص٣٦-٣٧).

(٢) أعلام النبوة للماوردي (ص٣٧)، وانظر: تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل (ص١٤٢).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٥/ ٧٤)، تحقيق: محمد رشيد رضا.

وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فبين تعالى أن هذا من منه على عباده المؤمنين، فإن كان المنكر ينكر قدرته على ذلك فهذا قدح في كمال قدرته، وإن كان ينكر إحسانه بذلك فهذا قدح في كمال رحمته وإحسانه، فعلم أن إرسال الرسول من أعظم الدلالة على كمال قدرته وإحسانه، والقدرة والإحسان من صفات الكمال لا النقص، وأما تعذيب المكذبين فذلك داخل في القدر لما له فيه من الحكمة»[١].

**الشبهة الرابعة:** «أن ما يظهرونه من المعجز الخارج عن العادة قد يوجد مثله في أهل الشعبذة والمخرقة وأهل النِّيرَنجيَّات[٢]، وليس ذلك من دلائل صدقهم، فكذلك أحكام المعجزات، **وهذا فاسد من وجهين:**

**أحدهما:** أن الشعبذة تظهر لذوي العقول، وتندلس على الغِرِّ الجهول، فخالفت المعجزة التي تذهل لها العقول.

**والثاني:** أن الشعبذة تستفاد بالتعليم فيتعلمها من ليس يحسنها، فيصير مكافئًا لمن أحسنها ويعارضها بمثلها، والمعجزة مبتكرة لا يتعاطاها غير صاحبها، ولا يعارضه أحد بمثلها، كما انقلبت عصى موسى حية تسعى تلتقف ما أفكه السحرة فخرُّوا له سجدًا»[٣].

وسيأتي تفصيل الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة والكهان في المبحث الحادي عشر.



(١) مجموعة الرسائل والمسائل، لابن تيمية (٥/ ٧٤-٧٥).

(٢) **النِّيرَنْجُ:** أمر يشبه السحر فيه تدليس. انظر: المحكم لابن سيده (٧/ ٣٨٩)، تاج العروس (٦/ ٢٣٦).

(٣) أعلام النبوة للماوردي (ص٣٨).



# المبحث السادس

## الرسل الذين ذكروا في القرآن

### وعدد الأنبياء والرسل على وجه العموم، والمختلف في نبوتهم، والقول الراجح في ذلك

### ۞ أولًا: الرسل الذين ذكروا في القرآن:

ذكر الله - جل وعلا - في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًّا ورسولًا بأسمائهم، منهم ثمانية عشر في «سورة الأنعام»، وهم الذين ورد ذكرهم في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

وبقيتهم وهم سبعة ذكروا في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، وهم: آدم، وهود، وشعيب وصالح، وذو الكفل، ونبينا محمد -عليهم الصلاة والسلام.

وقد جمعهم الناظم في قوله:

في (تلك حجتنا) منهم ثمانيةٌ    من بعد عشرٍ ويبقى سبعة وهموا

**إدريسُ هودُ شعيبٌ صالحٌ وكذا ذو الكِفْل آدمُ بالمختار قد خُتِموا**[١]

قال ابن كثير: «وهذه تسمية الأنبياء الذين نص على أسمائهم في القرآن، وهم: آدم، وإدريس، ونوح، وهود، وصالح، وإبراهيم، ولوط، وإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وشعيب، وموسى، وهارون، ويونس، وداود، وسليمان، وإلياس، واليسع، وزكريا، ويحيى، وعيسى -عليهم الصلاة والسلام- وكذا ذو الكفل عند كثير من المفسرين، وسيدهم محمد ﷺ»[٢].

## ۞ ثانيًا: عدد الأنبياء والرسل على وجه العموم:

لا يعلم عدد الأنبياء والرسل إلا الله تعالى الذي أرسلهم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء: ١٦٤]، قال ابن عطية: «قوله تعالى: ﴿وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ يقتضي كثرة الأنبياء دون تحديد بعدد، وقد قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]»[٣].

وقد ورد في عددهم عدة أحاديث، لكن الراجح أنها ضعيفة لا تصح[٤]، منها حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا رسول الله، كم الأنبياء؟ قال: «**مائة ألف وعشرون ألفًا**» قلت: يا رسول الله، كم الرسل من ذلك؟ قال: «**ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرًا**»[٥].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لمحمد هراس (ص٦٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٩).
(٣) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٣٧).
(٤) انظر للتفصيل: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٠٩)، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٩-٤٧٣).
وقد صحح الحديث الشيخ الألباني، انظر: السلسلة الصحيحة (٦/ ٣٦٣).
(٥) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٢/ ٧٧)، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٧)، وإسناده ضعيف جدًّا.

قال ابن عطية: «وما يذكر من عدد الأنبياء فغير صحيح، الله أعلم بعدتهم، صلى الله عليهم»[(١)].

وقال الشيخ ابن باز: «ليس في عدد الأنبياء والرسل خبر يعتمد عليه، فلا يعلم عددَهم إلا اللهُ سبحانه وتعالى، لكنهم جمٌّ غفير، قص الله علينا أخبار بعضهم، ولم يقص علينا أخبار البعض الآخر؛ لحكمته البالغة جل وعلا»[(٢)].

## ۞ ثالثًا: الأنبياء المختلف في نبوتهم:

هناك من اختلف في نبوته؛ كذي القرنين، وتبَّع، وذي الكفل، والخضر.

❃ أما ذو القرنين؛ فقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما ذو القرنين المذكور في القرآن فهو من أهل الإيمان والتوحيد، وقد اختلف في نبوته، والصحيح أنه لم يكن نبيًّا»[(٣)].

❃ وأما تُبَّع؛ فقد قال القرطبي: «واختلف هل كان نبيًّا أو ملكًا، فقال ابن عباس: كان تبع نبيًّا، وقال كعب: كان تبع ملكًا من الملوك»[(٤)]، والأولى التوقف في نبوته؛ لعدم ورود دليل صحيح يثبت نبوته.

وكذا التوقف في نبوة ذي القرنين؛ لحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما أدري تبع أنبيًّا كان أم لا؟ وما أدري ذا القرنين أنبيًّا كان أم لا؟**»[(٥)]، فإذا كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يدري فغيره أولى.

❃ وأما ذو الكفل؛ فقال ابن كثير: «الظاهر من ذكره في القرآن العظيم بالثناء عليه مقرونًا مع هؤلاء السادة الأنبياء أنه نبي -عليه من ربه الصلاة

---

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٢/ ١٣٧).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٢/ ٦٧).

(٣) الرد على البكري، لابن تيمية (١/ ١٥٦-١٥٧).

(٤) تفسير القرطبي (١٦/ ١٤٦).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٩٢) وصححه، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٥٥٢٤).

والسلام-، وهذا هو المشهور، وقد زعم آخرون أنه لم يكن نبيًّا، وإنما كان رجلًا صالحًا وحكمًا مقسطًا عادلًا»[١].

❋ وأما الخضر؛ فقد قال الإمام القرطبي: «والخضر نبي عند الجمهور، وقيل: هو عبد صالح غير نبي، والآية تشهد بنبوته»[٢]، لكن نسب شيخ الإسلام ابن تيمية القول بعدم نبوته إلى أكثر العلماء، فقال: «أكثر العلماء على أنه لم يكن نبيًّا»[٣]، والأولى التوقف في نبوته، لعدم ورود الأدلة الصريحة في ذلك.



(١) البداية والنهاية (١/ ٥١٦).
(٢) تفسير القرطبي (١١/ ١٦)، وانظر: البداية والنهاية (٢/ ٢٤٨-٢٤٩).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٣٨).



# المبحث السابع

## منزلة الأنبياء والمرسلين، وخصائصهم، ووظائفهم

### أولًا: منزلة الأنبياء والمرسلين:

#### ١- أفضل الخلق:

الأنبياء والمرسلون هم أفضل الخلق، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع.

**أما الكتاب**، فقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩]، قال القرطبي: «لما ذكر مراتب أوليائه في كتابه بدأ بالأعلى منهم وهم النبيون، ثم ثنَّى بالصدِّيقين»(١)، وقال سبحانه: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ۝٨٣ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۚ كُلًّا هَدَيۡنَاۚ وَنُوحًا هَدَيۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ۝٨٤ وَزَكَرِيَّا وَيَحۡيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلۡيَاسَۖ كُلّٞ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٨٥ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطٗاۚ وَكُلّٗا فَضَّلۡنَا عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٦]، قال الشيخ السعدي: «﴿وَكُلًّا﴾ من هؤلاء الأنبياء والمرسلين

---

(١) تفسير القرطبي (٥/ ٢٧٣).

﴿فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ لأن درجات الفضائل أربع، وهي التي ذكرها الله بقوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ فهؤلاء من الدرجة العليا، بل هم أفضل الرسل على الإطلاق، فالرسل الذين قصهم الله في كتابه، أفضل ممن لم يقص علينا نبأهم بلا شك»[١].

**وأما السنة**، فعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، أي الناس أشد بلاء؟ قال: «**الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل**»[٢]، وهو دليل على أن الأنبياء أمثل الخلق وأفضلهم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله اختار أصحابي على العالمين، سوى النبيين والمرسلين**»[٣].

**وأما الإجماع**، فقد قال الإمام ابن حزم: «ولا خلاف بين المسلمين في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدرًا ودرجة، وأتم فضيلة عند الله عز وجل، وأعلى كرامة من كل مَن دونهم، ومن خالف في هذا فليس مسلمًا»[٤].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين، وبعدهم الصديقون والشهداء والصالحون»[٥].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي: «ولا نفضل أحدًا من الأولياء على أحد من الأنبياء عليهم السلام، ونقول: نبي واحد أفضل من جميع الأولياء»[٦].

---

(١) تفسير السعدي (ص٢٦٣-٢٦٤).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٣٩٨)، وابن ماجه (ح٤٠٢٣)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٩٩٢).

(٣) أخرجه البزار كما في كشف الأستار عن زوائد البزار (٣/ ٢٨٨)، وقال الهيثمي: «رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ١٠/ ١٦).

(٤) المحلى بالآثار (١/ ٤٥).

(٥) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤١٧).

(٦) الطحاوية مع شرح ابن أبي العز (٢/ ٧٤١).

### ٢- الاصطفاء:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبۡرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمۡرَٰنَ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام: ١٢٤]، قال ابن كثير: «أي: هو أعلم حيث يضع رسالته، ومن يصلح لها من خلقه»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله سبحانه قد أخبر أنه يصطفي من الملائكة رسلًا ومن الناس، والاصطفاء افتعال من التصفية، كما أن الاختيار افتعال من الخيرة، فيختار من يكون مصطفى، وقد قال: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾، فهو أعلم بمن يجعله رسولًا ممن لم يجعله رسولًا، ولو كان كل الناس يصلح للرسالة لامتنع هذا»(٢).

وعن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم**»(٣).

والأنبياء والرسل هم أحسن الناس نسبًا، كما قال هرقل ملك الروم: «. . . سألتك عن نسبه، فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها. . .»(٤).

وجميع الرسل بعد نوح من ذرية نوح، لأنه لم يبق من ذرية آدم بعد الطوفان سوى ذرية نوح، قال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلۡبَاقِينَ ٧٧﴾ [الصافات: ٧٧]، وجميع الرسل بعد إبراهيم من ذرية إبراهيم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحٗا وَإِبۡرَٰهِيمَ وَجَعَلۡنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلۡكِتَٰبَۖ فَمِنۡهُم مُّهۡتَدٖۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٢).
(٢) منهاج السنة النبوية (٥/ ٤٣٧).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٢٧٦).
(٤) أخرجه البخاري (ح٧).

### ٣- الكمال في تحقيق العبودية:

**وقد وصف الله ﷻ نبيه بالعبودية في أشرف المقامات:**

* **مقام الوحي**، قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النجم: ١٠].
* **ومقام الإسراء**، قال سبحانه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١].
* **ومقام الدعوة إلى الله**، قال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩].
* **ومقام إنزال القرآن**، قال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾ [الفرقان: ١].
* **ومقام التحدي**، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وكذلك الأنبياء جاء وصفهم بالعبودية، وهي أشرف المقامات في كثير من آيات القرآن، قال سبحانه: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: ٤٥-٤٧].

وقال جل وعلا: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾ [الإسراء: ٣].

وقال ﷻ: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾﴾ [الصافات: ١٠٩ - ١١١].

وقال سبحانه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ [الصافات: ١٢٠ - ١٢٢].

وقال جل وعلا: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم: ١٠].

## ثانيًا: خصائص الأنبياء والرسل:

خص الله ﷻ الأنبياء والرسل بخصائص امتازوا بها عن سائر البشر، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لا ريب أن الله خص الأنبياء بخصائص، لا توجد

لغيرهم»[١]، **ومنها:**

### ١- الوحي:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]. قال ابن عباس: علَّم الله تعالى رسوله التّواضع؛ لئلّا يزهى على خلقه، فأمره أن يُقِرَّ على نفسه بأنه آدمي كغيره، إلا أنه أُكرم بالوحي[٢].

### ٢- الحرية:

من خصائص الرسل والأنبياء الحرية، فلم يكن نبي من الأنبياء رقيقًا؛ لأن الرِّق عجز حكمي يقوم بالإنسان سببه الكفر[٣]، والأنبياء منزهون عن ذلك، كما أن الرق نقص بشري؛ لأنه وصف أدنى من الحرية، والرقيق مملوك لسيده يباع ويشترى، فكيف يكون نبيًّا يسوس أمة ويقودها، قال السفاريني: «الرِّق: وصف نقص لا يليق بمقام النبوة، والنبي يكون داعيًا للناس آناء الليل وأطراف النهار، والرقيق لا يتيسر له ذلك، وأيضًا الرِّقِّية: وصف نقص يأنف الناس ويستنكفون من اتباع من اتصف بها وأن يكون إمامًا لهم وقدوة، وهي أثر الكفر، والأنبياء منزهون عن ذلك»[٤].

### ٣- الذكورة:

لم يبعث الله نبيًّا إلى قومه إلا كان رجلًا، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ليس في النساء نبية»[٥].

وقد أجمع أهل العلم على أن الله - جل وعلا - لم يرسل رسولًا إلا كان

---

(١) النبوات (٢/ ٨٢٠).

(٢) انظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد، للواحدي (٣/ ١٧٢).

(٣) انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، للخطيب الشربيني (٤/ ٤٥)، حاشية الروض المربع، لابن قاسم (٦/ ١١٩).

(٤) لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢/ ٢٦٥).

(٥) الجواب الصحيح (٢/ ٣٤٩).

رجلًا، فكل الرسل من الرجال، كما تدل على ذلك صيغة الحصر في قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم﴾ [يوسف: ١٠٩]، «فأخبر أنه لم يرسل إلا رجالًا يُوحى إليهم، لم يرسل إليهم ملائكة ولا نساء»(١).

**وهذا يبين خطأ من قال:** إن من النساء نبية(٢).

## ٤- الرسل من الإنس:

ذهب جمهور العلماء إلى أن الرسل من الإنس فقط، وليس في الجن رسل، واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، منها قوله سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله تعالى عن

---

(١) المصدر السابق (٦/ ٣٨٢).

(٢) وهو قول ابن حزم، وقد أجاب على الآية المذكورة بقوله: «لم يدَّعِ أحدٌ أن الله تعالى أرسل امرأة، وإنما الكلام في النبوة دون الرسالة»، واستدل على ذلك بأن «لفظ (النبوة) مأخوذ من الإنباء وهو الإعلام، فمن أعلمه الله تعالى بما يكون قبل أن يكون أو أوحى إليه منبئًا له بأمر ما فهو نبي بلا شك» (الفصل ٥/ ١٢-١٤)، وهو من أقواله الشاذة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأبو محمد [يعني ابن حزم] مع كثرة علمه وتبحره وما يأتي به من الفوائد العظيمة، له من الأقوال المنكرة الشاذة ما يعجب منه، كما يعجب مما يأتي به من الأقوال الحسنة الفائقة، وهذا كقوله: إن مريم نبية، وإن آسية نبية، وإن أم موسى نبية، وقد ذكر القاضي أبو بكر والقاضي أبو يعلى وأبو المعالي وغيرهم الإجماع على أنه ليس في النساء نبية، والقرآن والسنة دلَّا على ذلك؛ كما في قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِم مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰٓۗ﴾ [يوسف: ١٠٩]، وقوله: ﴿مَّا ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٞۖ﴾ [المائدة: ٧٥]، ذكر أن غاية ما انتهت إليه أمه الصديقية» (مجموع الفتاوى ٤/ ٣٩٦).

وحكي مثل قول ابن حزم عن الأشعري، انظر: فتح الباري (٦/ ٤٤٧)، لوامع الأنوار (٢/ ٢٦٦).

وقال القرطبي بنبوة مريم -عليها السلام: «لأن الله تعالى أوحى إليها بواسطة الملك، كما أوحى إلى سائر النبيين» (تفسير القرطبي ٤/ ٨٣)، وانظر: الصفدية، لابن تيمية (١/ ١٩٨)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣٩٦).

إبراهيم عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]، وقوله جل وعلا: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٢٠].

قال القرطبي: «وإنما الرسل من الإنس لا من الجن»[١].

وقال ابن أبي العز الحنفي: «الرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر»[٢].

### ٥- تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه في قصة الإسراء والمعراج قال: والنبي صلى الله عليه وسلم نائمة عيناه ولا ينام قلبه، وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم[٣].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «**يا عائشة إن عينيَّ تنامان ولا ينام قلبي**»[٤].

### ٦- لا تأكل الأرض أجسادهم:

وفي الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[٥].

### ٧- يخيَّرون عند الموت بين الدنيا والآخرة:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخيَّر بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول في مرضه الذي مات فيه، وأخذته بحة،

---

(١) تفسير القرطبي (١١/ ١٢).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٦٨).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٥٧٠).
(٤) أخرجه البخاري (ح١١٤٧)، ومسلم (ح٧٣٨).
(٥) أخرجه الإمام أحمد (٢٦/ ٨٤)، وأبو داود (ح١٠٤٧)، وابن ماجه (ح١٠٨٥) وإسناده صحيح.

يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية [النساء: ٦٩]، فظننت أنه خُيِّر[١].

### ٨- أحياء في قبورهم يصلون:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون**»[٢]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أتيت** -وفي رواية: **مررت- على موسى ليلة أسري بي عند الكثيب الأحمر، وهو قائم يصلي في قبره**»[٣].

و«حياة الأنبياء والشهداء وسائر الأولياء حياة برزخية لا يعلم حقيقتها إلا الله، وليست كالحياة التي كانت لهم في الدنيا»[٤].

### ٩- يدفنون حيث يموتون:

عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لن يقبر نبي إلا حيث يموت**»، فأخروا فراشه، وحفروا له تحت فراشه[٥].

ولذلك دفن الصحابة النبي ﷺ في غرفة عائشة حيث قُبِض.

### ١٠- لا يورثون بعد موتهم:

عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا نورث، ما تركنا فهو صدقة**»[٦].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والفرق بين الأنبياء وغيرهم: أن الله تعالى صان الأنبياء عن أن يورثوا دنيا، لئلا يكون ذلك شبهة لمن يقدح في نبوتهم بأنهم طلبوا الدنيا، وخلفوها لورثتهم»[٧].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٤٣٥)، ومسلم (ح٢٤٤٤).

(٢) أخرجه البزار (ح٦٨٨٨)، وأبو يعلى (ح٣٤٢٥) وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٣٧٥).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ١٧٣-١٧٤).

(٥) أخرجه الإمام أحمد (ح٢٧)، والحديث قوي بمجموع طرقه.

(٦) أخرجه البخاري (ح٣٧١٢)، ومسلم (ح١٧٥٩).

(٧) منهاج السنة النبوية (٤/ ١٩٥).

## ۞ ثالثًا: وظائف الأنبياء والرسل:

١- أعظم وظائفهم -وهو مفتاح رسالتهم وجوهر دعوتهم- **الدعوة إلى إفراد الله وحده بالعبادة**، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥].

٢- **هم الواسطة بين الله وخلقه في تبليغ شريعته**، قال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال جل وعلا: ﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ [العنكبوت: ١٨]، قال ابن كثير: «يعني: إنما على الرسول أن يبلغكم ما أمره الله تعالى به من الرسالة، والله يضل من يشاء ويهدي من يشاء، فاحرصوا لأنفسكم أن تكونوا من السعداء»[(١)].

وقال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، قال الشيخ السعدي: «هذا أمر من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلِّها، وهو التبليغ لما أنزل الله إليه، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه ﷺ من العقائد والأعمال والأقوال، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية، فبلغ ﷺ أكمل تبليغ، ودعا وأنذر، وبشَّر ويسَّر، وعلَّم الجُهال الأميين حتى صاروا من العلماء الربانيين، وبلغ بقوله وفعله وكتبه ورسله. فلم يبق خير إلا دل أمته عليه، ولا شر إلا حذرها عنه، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦٩-٢٧٠).

(٢) تفسير السعدي (ص٢٣٩).

٣- **التبشير والإنذار،وإقامة الحجة على الناس،** قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٦٥﴾ [النساء: ١٦٥]، قال الواحدي: «وفي قوله: ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ دليل على أنهم بعثوا ببيان الطاعة والمعصية؛ لأنهم إنما يبشرون بالثواب على الطاعة، وينذرون بالعقاب على المعصية، ولا يصح ذلك إلا بعد الكشف عنهما، وفي قوله: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ دليل على أنه لو لم يبعث الرسل لكان للناس حجة في ترك الطاعة والتوحيد والمعرفة»[1].

٤- **بيان ما أنزل الله عليهم من الوحي للناس،** قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].



(١) التفسير البسيط (٧/ ١٩٧).



# المبحث الثامن

## تفاضل الرسل فيما بينهم

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥]، وقال جل وعلا: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]؛ فالرسل والأنبياء بعضهم أفضل من بعض، والرسل أفضل من الأنبياء.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الحقيقة التي اتفق عليها المسلمون أن الرسول أفضل من النبي الذي ليس برسول، والنبي أفضل من الولي الذي ليس بنبي، والرسالة تنتظم النبوة والولاية، كما أن النبوة تنتظم الولاية»(١)، وقال ابن كثير: «ولا خلاف أن الرسل أفضل من بقية الأنبياء، وأن أولي العزم منهم أفضلهم»(٢).

وقد ورد ذكر أولي العزم في موضعين من القرآن في «سورتي الأحزاب والشورى»، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا ۝٧﴾ [الأحزاب: ٧]، وقال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣].

وقد اختلف العلماء في تعيينهم(٣)، والمشهور أنهم هؤلاء الخمسة

---

(١) الصفدية (١/ ٢٥٢) بتصرف يسير. (٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٨٧).

(٣) انظر: تفسير الطبري (٢١/ ١٧٦) وما بعدها، تفسير القرطبي (٦/ ٢٢٠-٢٢١).

المذكورون في الآيتين السابقتين، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: «خيار ولد آدم خمسة: نوح، وإبراهيم، وعيسى، وموسى، ومحمد. وخيرهم محمد ﷺ، وصلى عليهم أجمعين»[(١)].

فـ«أفضلهم محمد ﷺ؛ لقوله ﷺ: «**أنا سيد الناس يوم القيامة**»[(٢)]، وصلاتهم خلفه ليلة المعراج[(٣)]، وغير ذلك من الأدلة.

ثم إبراهيم؛ لأنه أبو الأنبياء وملته أصل الملل؛ ثم موسى، لأنه أفضل أنبياء بني إسرائيل وشريعته أصل شرائعهم؛ ثم نوح وعيسى، لا يجزم بالمفاضلة بينهما، لأن لكلٍّ منهما مزية»[(٤)].

وأما قوله ﷺ: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله**»[(٥)]، فهو محمول على النهي عن التفضيل إذا كان على وجه الانتقاص من المفضول، وقيل: إنه نهي عن التفضيل الخاص، أي: لا يفضَّل بعض الرسل على بعضٍ بعينه[(٦)].



(١) أخرجه البزار في مسنده، البحر الزخار (١٧/ ١٤١)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٨/ ٢٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٧١٢)، ومسلم (ح١٩٤).

(٣) انظر: صحيح مسلم (ح١٧٢).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (ح٣٤١٤)، ومسلم (ح٢٣٧٣).

(٦) انظر: شرح الطحاوية (١/ ١٦٠).



# المبحث التاسع

## عصمة الأنبياء والرسل

### ۞ أولًا: تعريف العصمة:

**العصمة في اللغة:** المنع، ومنه قوله تعالى: ﴿قَالَ سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِۚ﴾ [هود: ٤٣]؛ أي: يمنعني، وتطلق العصمة أيضًا على الحفظ[١].

**والعصمة شرعًا:** حفظ الله لأنبيائه من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات[٢].

ونقل الزبيدي عن المناوي قوله: «العصمة مَلَكَة اجتناب المعاصي مع التمكُّن منها»[٣].

### ۞ ثانيًا: عصمة الأنبياء والرسل قبل النبوة:

الأنبياء والرسل معصومون من الوقوع في الكفر قبل النبوة، فلم يعرف عن نبي أو رسول أنه كان مشركًا قبل البعثة، وهو قول أكثر أهل السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كثير من أهل السنة يقولون: إن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة»[٤].

(١) انظر: لسان العرب (١٢/ ٤٠٤).
(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٥٠١- ٥٠٢).
(٣) تاج العروس (٣٣/ ١٠٠)، وانظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني (ص٥٧٠).
(٤) تفسير آيات أشكلت على كثير من العلماء (١/ ١٨١).

وقال الإمام البغوي: «وأهل الأصول على أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كانوا مؤمنين قبل الوحي»[(١)].

وقال القاضي عياض: «الصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك، وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا، ونشأتهم على التوحيد والإيمان... ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحدًا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك»[(٢)].

وقال القرطبي: «غير جائز أن يكون لله تعالى رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو لله تعالى موحد وبه عارف، ومن كل معبودٍ سواه بريء»[(٣)].

أما عصمتهم من الذنوب قبل النبوة، فقد اختلف فيها، قال القاضي عياض: «وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة؛ فمنعها قوم، وجوزها آخرون، والصحيح -إن شاء الله: تنزيههم من كل عيب، وعصمتهم من كل ما يوجب الريب، فكيف والمسألة تصورها كالممتنع؛ فإن المعاصي والنواهي إنما تكون بعد تقرر الشرع»[(٤)].

ويرى الإمام ابن حزم أنهم معصومون من كل ذنب يعابون به بعد النبوة كالسرقة والزنا والكذب ونحوها، يقول: «إن الله عَزَّ وَجَلَّ قد طَهَّر أنبياءه وصانهم من كل ما يعابون به؛ لأن العيب أذى، وقد حرم الله عَزَّ وَجَلَّ أن يؤذى رسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤۡذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابٗا مُّهِينٗا ٥٧﴾ [الأحزاب: ٥٧]، فبيقين ندري أن الله تعالى عصمهم قبل النبوة من كل ما يؤذَون به بعد النبوة، فدخل في ذلك السرقة والعدوان والقسوة والزنا

(١) تفسير البغوي (٧/ ٢٠١).
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٠٩-١١٠).
(٣) تفسير القرطبي (٧/ ٢٥).
(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٤٧).

واللياطة والبغي وأذى الناس في حريمهم وأموالهم وأنفسهم، وكل ما يعاب به المرء ويتشكى منه ويؤذَى بذكره»[(١)].

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن النبوة لا تستلزم العصمة من الذنوب قبلها، فيقول: «وأما وجوب كونه قبل أن يبعث نبيًّا لا يخطئ، أو لا يذنب فليس في النبوة ما يستلزم هذا، وقول القائل: لو لم يكن كذلك لم تحصل ثقة فيما يبلغونه عن الله، كذب صريح؛ فإن من آمن وتاب حتى ظهر فضله وصلاحه ونبأَّه الله بعد ذلك كما نبأ إخوة يوسف، ونبأ لوطًا وشعيبًا وغيرهما وأيَّده الله تعالى بما يدل على نبوته؛ فإنه يوثق فيما يبلغه كما يوثق بمن لم يفعل ذلك، وقد تكون الثقة به أعظم إذا كان بعد الإيمان والتوبة قد صار أفضل من غيره، والله تعالى قد أخبر أنه يبدل السيئات بالحسنات للتائب، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، ومعلوم أن الصحابة ﵃ من عهد الرسول ﷺ وقبل أن يصدر منهم ما يدعونه من الأحداث كانوا من خيار الخلق، وكانوا أفضل من أولادهم الذين ولدوا بعد الإسلام»[(٢)].

**والراجح** أنهم معصومون قبل النبوة من كل ما يعابون به بعد النبوة؛ لأن هذا يؤدي إلى عدم قبول دعوتهم، ويمنع كمال التأسي بهم.

## ۞ ثالثًا: عصمة الأنبياء والرسل بعد النبوة:

### ١- عصمتهم فيما يبلغونه عن الله تعالى:

الأنبياء معصومون في تبليغ شرع الله – جل وعلا – بإجماع أهل العلم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأنبياء –صلوات الله عليهم– معصومون فيما يخبرون به عن الله سبحانه، وفي تبليغ رسالاته باتفاق الأمة؛ ولهذا وجب الإيمان بكل ما أوتوه... بخلاف غير الأنبياء، فإنهم ليسوا معصومين كما

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٢٥).
(٢) منهاج السنة النبوية (٢/ ٣٩٦-٣٩٧).

عصم الأنبياء، ولو كانوا أولياء لله؛ ولهذا من سب نبيًّا من الأنبياء قتل باتفاق الفقهاء، ومن سب غيرهم لم يقتل، وهذه العصمة الثابتة للأنبياء هي التي يحصل بها مقصود النبوة والرسالة»[(١)]، «فإن كل من أرسله الله لا بد أن يكون صادقًا في كل ما يبلغه عن الله، لا يكذب فيه عمدًا ولا خطأ، وهذا أمر اتفق عليه الناس كلهم، المسلمون، واليهود، والنصارى، وغيرهم، اتفقوا على أن الرسول لا بد أن يكون صادقًا معصومًا فيما يبلغه عن الله، لا يكذب على الله خطأ ولا عمدًا؛ فإن مقصود الرسالة لا يحصل بدون ذلك، كما قال موسى عليه السلام لفرعون: ﴿يَٰفِرۡعَوۡنُ إِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٤ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ﴾ [الأعراف: ١٠٤-١٠٥]»[(٢)]، وقال الرازي: «أجمعوا على أنه لا يجوز عليهم التحريف والخيانة في هذا الباب لا بالعمد ولا بالسهو، وإلا لم يبق الاعتماد على شيء من الشرائع»[(٣)]، وقال السفاريني: «وقد أجمعت الأمة على أن ما كان طريقه الإبلاغ فالأنبياء والرسل معصومون فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف الواقع»[(٤)].

### ٢- عصمتهم من الكفر والشرك:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأنبياء كلهم منزهون عن الشرك، وعن التكذيب بشيء من الحق الذي بعث الله به نبيًّا»[(٥)]، وقال الرازي: «أجمعت الأمة على أن الأنبياء معصومون عن الكفر والبدعة إلا الفضلية من الخوارج؛ فإنهم يجوزون الكفر على الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام، وذلك لأن عندهم يجوز صدور الذنوب عنهم، وكل ذنب فهو كفر عندهم، فبهذا الطريق جوزوا صدور الكفر عنهم، والروافض؛ فإنهم يجوزون عليهم إظهار كلمة الكفر على سبيل التقية»[(٦)].

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٨٩-٢٩٠).
(٢) الجواب الصحيح (١/ ١٤١).
(٣) عصمة الأنبياء (ص٧).
(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٠٧).
(٥) النبوات لابن تيمية (٢/ ١٠٨٦).
(٦) عصمة الأنبياء، للرازي (ص٧).

لكن هذا ليس هو مذهب الفضلية كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية، وإنما هو من لوازمه، ولازم المذهب ليس بمذهب إلا أن يلتزمه صاحبه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وما يحكى عن الفضلية أنهم جوزوا الكفر على النبي، فهذا بطريق اللازم لهم؛ لأن كل معصية عندهم كفر، وقد جوزوا المعاصي على النبي، وهذا يقتضي فساد قولهم بأن كل معصية كفر، وقولهم بجواز المعاصي عليهم، وإلا فلم يلتزموا أن يكون النبي كافرًا، ولازم المذهب لا يجب أن يكون مذهبًا»[١].

### ٣- عصمتهم من الكبائر:

قال القاضي عياض: «أجمع المسلمون على عصمة الأنبياء من الفواحش والكبائر الموبقات»[٢]، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «القول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام»[٣]، «وجمهور المسلمين على تنزيههم من الكبائر لا سيما الفواحش، وما ذكر الله تعالى عن نبي كبيرة فضلًا عن الفاحشة، بل ذكر في قصة يوسف ما يبين أنه يصرف السوء والفحشاء عن عباده المخلصين»[٤].

### ٤- عصمتهم من تعمد الذنب:

نقل السفاريني عن الحافظ زين الدين العراقي قوله: «النبي ﷺ معصوم من تعمد الذنب بعد النبوة بالإجماع»[٥]، وقال الرازي: «إن الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - معصومون في زمان النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد، أما على سبيل السهو فهو جائز»[٦].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤١٨-٤١٩).
(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٤٤).
(٣) مجموع الفتاوى (٤/ ٣١٩).
(٤) منهاج السنة النبوية (٢/ ٤٢٦-٤٢٧).
(٥) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٣٠٤).
(٦) عصمة الأنبياء (ص٩).

### ٥- عصمتهم من الصغائر:

اختلف في ذلك على أقوال، قال القاضي عياض: «وأما الصغائر فجوزها جماعة من السلف وغيرهم على الأنبياء، وهو مذهب أبي جعفر الطبري، وغيره من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين... وذهبت طائفة أخرى إلى الوقف، وقالوا: العقل لا يحيل وقوعها منهم، ولم يأت في الشرع قاطع بأحد الوجهين، وذهبت طائفة أخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين إلى عصمتهم من الصغائر كعصمتهم من الكبائر»[(١)].

والراجح -كما تدل عليه النصوص- أنهم قد يقعون في الصغائر بغير تعمد، لكنهم لا يقرون عليها، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «عامة ما ينقل عن جمهور العلماء أنهم غير معصومين عن الإقرار على الصغائر، ولا يُقَرُّون عليها، ولا يقولون: إنها لا تقع بحال»[(٢)]، وقال: «هم معصومون من الإقرار على الذنوب، وأن الله يستدركهم بالتوبة التي يحبها الله - ﴿يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] - وإن كانت حسنات الأبرار سيئات المقربين، وأن ما صدر منهم من ذلك إنما كان لكمال النهاية بالتوبة، لا لنقص البداية بالذنب، وأما غيرهم فلا تجب له العصمة، وإنما يدعي العصمة المطلقة لغير الأنبياء الجهال من الرافضة، وغالية النساك»[(٣)].

ويقول التفتازاني: «المذهب عندنا منع الكبائر بعد البعثة مطلقًا، والصغائر عمدًا لا سهوًا، لكن لا يُصِرون ولا يقَرُّون، بل يُنبَّهون فيَتنبهون، وذهب إمام الحرمين منا، وأبو هاشم من المعتزلة إلى تجويز الصغائر عمدًا»[(٤)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها ومن اتبعهم على ما أخبر الله به في كتابه، وما ثبت عن رسوله من توبة الأنبياء عليهم السلام من

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ١٤٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٢٠).

(٣) مجموع الفتاوى (١١/ ٤١٥).

(٤) شرح المقاصد في علم الكلام (٢/ ١٩٣).

الذنوب التي تابوا منها، وهذه التوبة رفع الله بها درجاتهم؛ فإن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين، وعصمتهم هي من أن يقروا على الذنوب والخطأ؛ فإن من سوى الأنبياء يجوز عليهم الذنب والخطأ من غير توبة، والأنبياء عليهم السلام يستدركهم الله فيتوب عليهم ويبين لهم، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ ثُمَّ يُحۡكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ۝٥٢ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ۝٥٣﴾ [الحج: ٥٢، ٥٣]»[1].



(١) جامع الرسائل لابن تيمية (١/ ٢٦٩)، تحقيق: د. محمد رشاد سالم.



# المبحث العاشر

## دلائل النبوة، وآيات الرسل والأنبياء

### تعريفها، وعلاقتها بمصطلح المعجزة، وأنواع الآيات وأمثلة على آيات الأنبياء والرسل

### ۞ أولًا: تعريف آيات الأنبياء:

**الآيات**: جمع آية، **والآية في اللغة**: العلامة[(١)].

**وفي الاصطلاح**: هي الآيات والبراهين التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يمكن معارضتها بمثلها، والتي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه، فتدل على صدقهم[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «أمر خارق للعادة يظهره الله ﷻ على يد الرسول شهادة بصدقه»[(٣)].

**فلا تتحقق الآية حتى يجتمع فيها أمران:**

**الأول**: كونها خارقة للعادة، أي: غير جارية على ما اعتاده الناس.

**الثاني**: سلامتها عن المعارضة.

(١) انظر: العين (٨/ ٤٤١)، الصحاح، للجوهري (٦/ ٢٢٧٥).

(٢) انظر: النبوات (١/ ٢٤٢)، (٢/ ٨٦٣).

(٣) شرح العقيدة السفارينية، للعثيمين (١/ ٥٥٥).

## ۞ ثانيًا: علاقة دلائل النبوة وآيات الأنبياء بمصطلح المعجزة:

أطلق المتكلمون على آيات الأنبياء اسم المعجزات، وعرفوا المعجزة بأنها «أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة»[(١)]، والأولى أن تسمى: الآيات، والدلائل، والبينات، والأعلام، والبراهين، وقد كان سلف الأمة وأئمتها من المصنفين في هذا الباب يسمون مصنفاتهم بـ «دلائل النبوة»[(٢)]، و«أعلام النبوة»[(٣)].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدلَّ على المقصود من لفظ المعجزات، ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودًا في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ: (الآية) و(البينة) و(البرهان)»[(٤)]، فالصواب تسميتها: (آيات) كما سماها الله جل وعلا؛ لأنها جمعت بين كون البشر لا يستطيعون أن يأتوا بمثلها، وكونها دليلًا على صدق دعوى النبوة والرسالة.

وقد حصر جمهور المتكلمين طريق إثبات النبوة في المعجزات، حتى صار تقرير النبوات بالمعجزات من أعظم الطرق عند أهل الكلام والنظر[(٥)]، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن دلائل النبوة ليست محصورة في المعجزات، ولهذا فإن من النظار من يجعل المعجزة دليلًا، ويجعل مع المعجزة أدلة أخرى، وهذا أصح الطرق كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية[(٦)].

---

(١) شرح المقاصد في علم الكلام، للتفتازاني (٢/ ١٧٦)، وانظر نقد هذا التعريف في: النبوات، لابن تيمية (١/ ١٦٣، ١٧٤، ٤٩٨).

(٢) مثل: دلائل النبوة، لأبي نعيم الأصبهاني، ودلائل النبوة، للبيهقي، ودلائل النبوة، لأبي القاسم الأصبهاني.

(٣) مثل: أعلام النبوة، للماوردي.

(٤) الجواب الصحيح (٥/ ٤١٤)، وانظر: النبوات (٢/ ٧٨٥).

(٥) انظر: البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات، للباقلاني (ص٣٧-٣٨).

(٦) انظر: شرح العقيدة الأصفهانية، لابن تيمية (ص١٣٧).

ومن حصر دلائل النبوة في المعجزات قررها بطرق مضطربة، قال الإمام ابن أبي العز: «والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة[١]، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك»[٢].

فوقعوا في أخطاء منهجية في تقرير هذا الدليل، وصفها الإمام ابن أبي العز بالاضطراب، ومن ذلك أن منهم من أنكر كرامات الأولياء وحقيقة السحر.

## ۞ ثالثًا: أنواع آيات الأنبياء:

**الآيات من حيث الزمن نوعان:**

**الأول:** ما مضى وصار معلومًا بالخبر، كمعجزات موسى وعيسى.

**الثاني:** ما هو باق إلى اليوم؛ كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ[٣].

وأما أنواعها بالنسبة لحياة كل نبي، فهي متنوعة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «آيات الأنبياء ودلائل صدقهم متنوعة قبل المبعث وحين المبعث، في حياتهم، وبعد موتهم؛ فقبل المبعث مثل: إخبار من تقدم من الأنبياء به، ومثل: الإرهاصات الدالة عليه، وأما حين المبعث...، وأما في حياته فمثل: نصره، وإنجائه، وإهلاك أعدائه، وأما بعد موته فمثل: نصر أتباعه، وإهلاك أعدائه... والأنبياء صلوات الله عليهم، وأتباعهم المؤمنون، وإن كانوا يبتلون في أول الأمر فالعاقبة لهم»[٤]؛ لأن «آيات النبوة وبراهينها تكون في حياة الرسول، وقبيل مولده، وبعد مماته، لا تختص بحياته فضلًا عن أن

(١) انظر وجه اضطرابها في: النبوات (١/ ٤٨٠) وما بعدها.
(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٤٠).
(٣) انظر: الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٠-٤٢١).
(٤) الجواب الصحيح (٦/ ٤٠٨).

تختص بحال دعوى النبوة، أو حال التحدي كما ظنه بعض أهل الكلام»[(١)].

## ۞ رابعًا: أمثلة على آيات الأنبياء والرسل:

لكل نبي من الأنبياء آية أيده الله بها؛ لتكون دليلًا على نبوته، قال تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [آل عمران: ١٨٤]، وقال جل وعلا: ﴿تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٠١]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ﴾ [التوبة: ٧٠].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[(٢)].

وكما أن الأنبياء دينهم واحد وهو الإسلام؛ فإن آية كل نبي آية لجميع إخوانه من الأنبياء والرسل، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «آية كل نبي آية لجميع الأنبياء»[(٣)].

**فمن أمثلة آيات الأنبياء التي ورد ذكرها في القرآن ما يلي:**

### ١- آية نبي الله صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

كانت آية نبي الله صالح هي الناقة، كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: ٧٣]، وقال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩].

---

(١) المصدر نفسه (٦/ ٣٨٠).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٩٨١)، ومسلم (ح١٥٢).
(٣) النبوات، لابن تيمية (١/ ٥١٨).

وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما مر رسول الله ﷺ بالحجر، قال: «**لا تسألوا الآيات، وقد سألها قوم صالح، فكانت ترد من هذا الفج، وتصدر من هذا الفج، فعتوا عن أمر ربهم، فعقروها، وكانت تشرب ماءهم يومًا، ويشربون لبنها يومًا، فعقروها، فأخذتهم صيحة أهمد الله مَن تحت أديم السماء منهم، إلا رجلًا واحدًا كان في حرم الله**»، قيل: من هو يا رسول الله؟ قال: «**هو أبو رغال، فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه**»[(١)].

## ٢- آية خليل الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ:

وكانت آية نبي الله إبراهيم نجاته من الحرق بالنار بعد أن ألقاه فيها قومه، قال سبحانه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [العنكبوت: ٢٤]، وقال جل وعلا: ﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٨، ٦٩]. قال ابن كثير: «وذلك أنهم حشدوا في جمع أحطاب عظيمة مُدة طويلة، وحوطوا حولها، ثم أضرموا فيها النار، فارتفع لها لهب إلى عنان السماء: ولم توقَد نار قط أعظم منها، ثم عمدوا إلى إبراهيم فكتفوه وألقوه في كفة المنجنيق، ثم قذفوا به فيها، فجعلها الله عليه بردًا وسلامًا، وخرج منها سالمًا بعد ما مكث فيها أيامًا. ولهذا وأمثاله جعله الله للناس إمامًا. فإنه بذل نفسه للرحمن، وجسده للنيران، وسخا بولده للقربان، وجعل ماله للضيفان، ولهذا اجتمع على محبته جميع أهل الأديان. وقوله: ﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ﴾ أي: سلمه الله منها، بأن جعلها عليه بردًا وسلامًا»[(٢)].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٢/ ٦٦)، وقال الهيثمي: «رجال أحمد رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٧/ ٣٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧١).

### ٣- آية كليم الله موسى عليه السلام:

تعددت الآيات التي أيد الله بها نبيه موسى عليه السلام، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الإسراء: ١٠١].

ومن هذه الآيات التسع ما جاء في قوله جل وعلا: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: ١٧ - ٢١].

قال ابن كثير: «هذا برهان من الله تعالى لموسى عليه السلام، ومعجزة عظيمة، وخرق للعادة باهر، دال على أنه لا يقدر على مثل هذا إلا الله عز وجل، وأنه لا يأتي به إلا نبي مرسل... وقوله تعالى: ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ أي: هذه العصا التي في يدك يا موسى، ألقها ﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ أي: صارت في الحال حية عظيمة - ثعبانًا طويلًا يتحرك حركة سريعة - فإذا هي تهتز كأنها جان، وهو أسرع الحيات حركة، ولكنه صغير، فهذه في غاية الكبر، وفي غاية سرعة الحركة، ﴿تَسْعَىٰ﴾ أي: تمشي وتضطرب»(١).

ومن الآيات أنه كان إذا أدخل يده في جيبه خرجت بيضاء تتلألأ، قال تعالى: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾﴾ [النمل: ١٢، ١٣]، وقال سبحانه: ﴿وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾ [طه: ٢٢، ٢٣]، قال ابن كثير: «وذلك أن موسى عليه السلام كان إذا أدخل يده في جيبه ثم أخرجها، تخرج تتلألأ كأنها فلقة قمر، وقوله: ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ﴾ أي: من غير برص ولا أذى، ومن غير شَيْنٍ»(٢).

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٧٨-٢٧٩).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٨٠).

وباقي الآيات التسع ذكرها الله في قوله: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠ - ١٣٣].

يقول الشيخ السعدي: «قال الله تعالى في بيان ما عامل به آل فرعون في هذه المدة الأخيرة، أنها على عادته وسنته في الأمم، أن يأخذهم بالبأساء والضراء، لعلهم يضرعون. الآيات: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ﴾ أي: بالدهور والجدب، ﴿وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ أي: يتعظون أن ما حل بهم وأصابهم معاتبة من الله لهم، لعلهم يرجعون عن كفرهم، فلم ينجع فيهم ولا أفاد، بل استمروا على الظلم والفساد ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ﴾ أي: الخصب وإدرار الرزق ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نحن مستحقون لها، فلم يشكروا الله عليها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: قحط وجدب ﴿يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ أي: يقولوا: إنما جاءنا بسبب مجيء موسى، واتباع بني إسرائيل له، قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: بقضائه وقدرته، ليس كما قالوا، بل إن ذنوبهم وكفرهم هو السبب في ذلك، بل ﴿أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: فلذلك قالوا ما قالوا. ﴿وَقَالُوا۟﴾ مبينين لموسى أنهم لا يزالون، ولا يزولون عن باطلهم: ﴿مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ أي: قد تقرر عندنا أنك ساحر، فمهما جئت بآية، جزمنا أنها سحر، فلا نؤمن لك ولا نصدق، وهذا غاية ما يكون من العناد، أن يبلغ بالكافرين إلى أن تستوي عندهم الحالات، سواء نزلت عليهم الآيات أم لم تنزل. ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ أي: الماء الكثير الذي أغرق أشجارهم وزروعهم، وأضر بهم ضررًا كثيرًا ﴿وَٱلْجَرَادَ﴾ فأكل ثمارهم وزروعهم، ونباتهم ﴿وَٱلْقُمَّلَ﴾ قيل: إنه الدباء،

أي: صغار الجراد، والظاهر أنه القمل المعروف ﴿وَٱلضَّفَادِعَ﴾ فملأت أوعيتهم، وأقلقتهم، وآذتهم أذية شديدة ﴿وَٱلدَّمَ﴾ إما أن يكون الرعاف، أو كما قال كثير من المفسرين: أن ماءهم الذي يشربون انقلب دمًا، فكانوا لا يشربون إلا دمًا، ولا يطبخون إلا بدم.

﴿ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ﴾ أي: أدلة وبينات على أنهم كانوا كاذبين ظالمين، وعلى أن ما جاء به موسى، حق وصدق ﴿فَٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ لما رأوا الآيات ﴿وَكَانُواْ﴾ في سابق أمرهم ﴿قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ فلذلك عاقبهم الله تعالى، بأن أبقاهم على الغي والضلال»[١].

ومن الآيات إنزال المنِّ والسلوى، قال تعالى: ﴿وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡغَمَامَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٥٧﴾ [البقرة: ٥٧].

وانفلاق البحر لما ضربه بعصاه، قال جل وعلا: ﴿فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ٦٣ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٤ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ٦٥ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ٦٦ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ٦٧﴾ [الشعراء: ٦٣ - ٦٧].

وضربه الحجر فانفلق منه اثنتا عشرة عينًا، قال تعالى: ﴿وَقَطَّعۡنَٰهُمُ ٱثۡنَتَيۡ عَشۡرَةَ أَسۡبَاطًا أُمَمٗاۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡحَجَرَۖ فَٱنۢبَجَسَتۡ مِنۡهُ ٱثۡنَتَا عَشۡرَةَ عَيۡنٗاۖ قَدۡ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٖ مَّشۡرَبَهُمۡۚ وَظَلَّلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡغَمَٰمَ وَأَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰۖ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ١٦٠﴾ [الأعراف: ١٦٠].

وإحياء الموتى، كما قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥ ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦]، وقوله: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا

(١) تفسير السعدي (ص٣٠٠-٣٠١).

كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَٰلِكَ يُحْيِ اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣].

### ٤- آية نبي الله عيسى ابن مريم عليه السلام:

تعددت آيات نبي الله عيسى عليه السلام، فكان من معجزاته أنه يصنع من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وكان يمسح الأكمه فيبرأ بإذن الله، ويبرئ كذلك الأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، ويخبر الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وقد ذكر الله - جل وعلا - هذه الآيات، فقال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [آل عمران: ٤٩]، قال ابن كثير: «وقوله: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ أي: ويجعله رسولًا إلى بني إسرائيل، قائلًا لهم: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ وكذلك كان يفعل: يصور من الطين شكل طير، ثم ينفخ فيه، فيطير عيانًا بإذن الله عز وجل الذي جعل هذا معجزة يدل على أن الله أرسله.

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ﴾ قيل: هو الذي يبصر نهارًا ولا يبصر ليلًا، وقيل بالعكس. وقيل: هو الأعشى، وقيل: الأعمش، وقيل: هو الذي يولد أعمى، وهو أشبه؛ لأنه أبلغ في المعجزة وأقوى في التحدي ﴿وَالْأَبْرَصَ﴾ معروف.

﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ قال كثير من العلماء: بعث الله كل نبي من الأنبياء بمعجزة تناسب أهل زمانه، فكان الغالب على زمان موسى عليه السلام السحر وتعظيم السحرة، فبعثه الله بمعجزة بهرت الأبصار وحيرت كل سحَّار، فلما استيقنوا أنها من عند العظيم الجبار انقادوا للإسلام، وصاروا من الأبرار، وأما عيسى عليه السلام فبعث في زمن الأطباء وأصحاب علم الطبيعة، فجاءهم من

الآيات بما لا سبيل لأحد إليه، إلا أن يكون مؤيدًا من الذي شرع الشريعة. فمن أين للطبيب قدرة على إحياء الجماد، أو على مداواة الأكمه، والأبرص، وبعث من هو في قبره رهين إلى يوم التناد؟ وكذلك محمد ﷺ بعثه الله في زمن الفصحاء والبلغاء ونحارير الشعراء، فأتاهم بكتاب من الله ﷻ لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، أو بسورة من مثله لم يستطيعوا أبدًا، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، وما ذاك إلا لأن كلام الرب لا يشبهه كلام الخلق أبدًا.

وقوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ أي: أخبركم بما أكل أحدكم الآن، وما هو مدخر له في بيته لغده ﴿إِنَّ فِي ذَالِكَ﴾ أي: في ذلك كله ﴿لَأَيَةً لَّكُمْ﴾ أي: على صدقي فيما جئتكم به. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾»[1].



(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٤٤-٤٥).



# المبحث الحادي عشر

## الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء وخوارق السحرة والكهان

### ۞ أولًا: الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء:

١- الفرق بينهما في اللفظ؛ حيث شاع عند المتأخرين تخصيص اسم (المعجزة) بالنبي، وتخصيص اسم (الكرامة) بالولي، قال ابن أبي العز: «المعجزة في اللغة تعم كل خارق للعادة، وفي عرف أئمة أهل العلم المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ويسمونها الآيات، ولكن كثيرٌ من المتأخرين يفرقون في اللفظ بينهما، فيجعلون المعجزة للنبي، والكرامة للولي، وجماعهما: الأمر الخارق للعادة»[1].

٢- الفرق بينهما في المرتبة، فلا تبلغ كرامات الأولياء درجة معجزات الأنبياء، كما أنهم لا يبلغون في الفضل منزلة الأنبياء، قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبينًا مراتب خوارق العادات: «المراتب ثلاثة: آيات الأنبياء، ثم كرامات الصالحين، ثم خوارق الكفار والفجار؛ كالسحرة والكهان، وما يحصل لبعض المشركين، وأهل الكتاب، والضُّلَّال من المسلمين»[2]، فـ«كرامات الأولياء معتادةٌ من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك؛

(١) شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٧٤٦). (٢) النبوات (١/ ١٤١).

فانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حيَّة، وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء، وكذلك خلق الطير من الطين»(١).

٣- أن كل كرامة للولي فهي معجزة للنبي؛ لأنها ما حصلت إلا ببركة اتباع النبي، قال الشهرستاني: «اعلم أن كل كرامة تظهر على يد ولي فهي بعينها معجزة لنبي... فلا تكون الكرامة قط قادحة في المعجزات، بل هي مؤيدة لها دالة عليها راجعة عنها وعائدة إليها»(٢)، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «آية كل نبي آية لجميع الأنبياء؛ كما أن آيات أتباعهم آياتٌ لهم أيضًا»(٣)، و«كرامات الصالحين تدل على صحة الدين الذي جاء به الرسول، لا تدل على أن الولي معصومٌ، ولا على أنه يجب طاعته في كل ما يقوله»(٤).

## ۞ ثانيًا: الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «**بينها [يعني آيات الأنبياء] وبين غيرها من الفروق ما لا يكاد يحصى:**

**الأول:** أن النبي صادقٌ فيما يخبر به عن الكتب، لا يكذب قط، ومن خالفهم من السحرة، والكهّان، لا بُد أن يكذب؛ كما قال: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

**الثاني:** من جهة ما يأمر به هذا ويفعله، ومن جهة ما يأمر به هذا ويفعله؛ فإن الأنبياء لا يأمرون إلَّا بالعدل، وطلب الآخرة، وعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى، ومخالفوهم يأمرون بالشرك، والظلم، ويعظمون الدنيا، وفي أعمالهم الإثم والعدوان.

**الثالث:** أن السحر، والكهانة، ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها،

---

(١) النبوات (٢/ ٨٠٢-٨٠٣).

(٢) نهاية الإقدام في علم الكلام، للشهرستاني (ص٢٧٧)، وانظر: النبوات (١/ ١٤١).

(٣) النبوات، لابن تيمية (١/ ٥١٨).

(٤) النبوات (١/ ١٤١-١٤٣).

ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتَّبعهم.

**الرابع:** أن الكهانة والسحر ينالهما الإنسان بتعلّمه وسعيه واكتسابه، وهذا مجرّبٌ عند الناس، بخلاف النبوة؛ فإنّه لا ينالها أحدٌ باكتسابه.

**الخامس:** أنَّ النبوّة لو قُدِّر أنها تنال بالكسب، فإنّما تُنال بالأعمال الصالحة، والصدق، والعدل، والتوحيد، ولا تحصل مع الكذب على من دون الله، فضلًا عن أن تحصل مع الكذب على الله؛ فالطريق الذي تحصل به لو حصلت بالكسب مستلزمٌ للصدق على الله فيما يُخبر به.

**السادس:** أن ما يأتي به الكهان، والسحرة، لا يخرج عن كونه مقدورًا للجن والإنس، وهم مأمورون بطاعة الرسل، وآيات الرسل لا يقدر عليها؛ لا جن، ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كل من أُرسل النبي إليه، ﴿قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا﴾ [الإسراء: ٨٨].

**السابع:** أنَّ هذه يمكن أن تُعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يمكن أحد أن يعارضها بمثلها.

**الثامن:** أن تلك ليست خارقة لعادات بني آدم، بل كل ضربٍ منها معتادٌ لطائفة غير الأنبياء، وأما آيات الأنبياء فليست معتادة لغير الصادقين على الله، ولمن صدقهم.

**التاسع:** أن هذه لا يقدر عليها مخلوق؛ لا الملائكة، ولا غيرهم؛ كإنزال القرآن، وتكليم موسى، وتلك تقدر عليها الجن والشياطين.

**العاشر:** أنَّه إذا كان من الآيات ما يقدر عليه الملائكة؛ فإن الملائكة لا تكذب على الله، ولا تقول لبشر: إنَّ الله أرسلك، ولم يرسله، وإنما يفعل ذلك الشياطين، والكرامات معتادة في الصالحين منّا، ومَنْ قبلنا، ليست خارقة لعادة الصالحين. وآيات الأنبياء خارقة لعادة الصالحين؛ وهذه تُنال بالصلاح، بدعائهم، وعبادتهم، ومعجزات الأنبياء لا تُنال بذلك، ولو طلبها

النّاس؛ حتى يأذن الله فيها. ﴿قُلْ إِنَّمَا ٱلْأَيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩]، ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يُنَزِّلَ ءَايَةً﴾ [الأنعام: ٣٧].

**الحادي عشر:** أنَّ النبي قد تقدمه أنبياء، فهو لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله، فله نظراء يعتبر بهم، وكذلك الساحر، والكاهن له نظراء يعتبر بهم.

**الثاني عشر:** أنَّ النبي لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش والمعاد؛ فيأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر؛ فيأمر بالتوحيد، والإخلاص، والصدق، وينهى عن الشرك، والكذب، والظلم؛ فالعقول، والفطر توافقه، كما توافقه الأنبياء قبله؛ فيصدقه صريح المعقول وصحيح المنقول الخارج عمّا جاء به، والله أعلم»(١).

## ۞ ثالثًا: الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة:

**١-** أن الكرامة للولي إنما تقع للمؤمن التقي، فإذا وقع الخارق للعادة على يد معرض عن الشرع واقع في المعاصي، فهي من الأحوال الشيطانية.

**٢-** أن كرامات الأولياء سببها التقوى والعمل الصالح، وأعمال المشعوذين سببها الكفر والفسوق والفجور والاستعانة بالشياطين.

**٣-** أن كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى، أو على أمور مباحة، وأعمال المشعوذين والدجالين يستعان بها على أمور محرمة، من الشرك والكفر وقتل النفوس.

**٤-** أن كرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده، وخوارق السحرة والمشعوذين تبطل أو تضعف عند ذكر الله وقراءة القرآن والتوحيد(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «الذي استقر عند العامة أن خرق العادة يدل على أن

---

(١) النبوات (١/ ٥٦٠).

(٢) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للفوزان (ص٢١٨).

من وقع له ذلك من أولياء الله تعالى، وهو غلط ممن يقوله، فإن الخارق قد يظهر على يد المبطل من ساحر وكاهن وراهب، فيحتاج من يستدل بذلك على ولاية أولياء الله تعالى إلى فارق، وأولى ما ذكروه أن يختبر حال من وقع له ذلك، فإن كان متمسكًا بالأوامر الشرعية والنواهي، كان ذلك علامة ولايته، ومن لا فلا»[1].



(١) فتح الباري، لابن حجر (٧/ ٣٨٣).



# المبحث الثاني عشر

## دين الأنبياء واحد، وأدلته

دين الأنبياء واحد وهو الإسلام، فهو «الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينًا غيره لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو دين الأنبياء وأتباعهم»[(١)].

**ومن الأدلة على ذلك:** قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، قال الإمام ابن كثير: «قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ إخبار من الله تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، حتى ختموا بمحمد ﷺ»[(٢)].

**ومن الأدلة أيضًا:** قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣]، قال أهل التفسير: شرع لكم ولمن قبلكم دينًا واحدًا[(٣)].

وكان كل نبي إنما يدعو قومه إلى الإسلام، فقد «أخبر الله تعالى بذلك عن نوح ومن بعده إلى الحواريين، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾ فَإِن

(١) الجواب الصحيح (١/ ٨١). (٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٢٥).

(٣) انظر: التفسير الوسيط، للواحدي (٤/ ٤٦)، فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٦٠٧).

تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٧١ - ٧٢]، وقال تعالى عن إبراهيم: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢]، وقال تعالى عن يوسف الصِّدِّيق: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾ [يوسف: ١٠١]، وقال تعالى عن موسى: ﴿يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤]، وأخبر تعالى عن السحرة أنهم قالوا لفرعون: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [الأعراف: ١٢٦]، وقال تعالى عن بلقيس ملكة اليمن: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، وقال تعالى عن أنبياء بني إسرائيل: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤]، وقال تعالى عن المسيح: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [آل عمران: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِى وَبِرَسُولِى قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَٱشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾﴾ [المائدة: ١١١]، فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم هو دين الإسلام، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، وعبادته تعالى في كل زمان ومكان، بطاعة رسله عليهم السلام»[(١)].

ومما يدل على أن دين الأنبياء واحد وهو الإسلام من السنة، قوله ﷺ: «**الأنبياء إخوة لعلَّات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد**»[(٢)]، أي: كأبناء أمهات شتى

(١) الجواب الصحيح (١/ ٨١-٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٤٤٣).

من رجل واحد، والمقصود: أن الأنبياء بعثوا متفقين في أصول التوحيد، مختلفين في فروع الشرع.

وأعظم أصول التوحيد التي اتفق عليها الرسل -عليهم الصلاة والسلام- الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾ [الأنبياء: ٢٥]، ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وكذلك يتفق الرسل في أصول التشريعات ومقاصدها العامة؛ كحفظ الدين، والنفس، والعقل، والمال، والنسل، وكذلك أصول المحرمات وأمهاتها؛ كالإشراك بالله، والزنا، وقتل النفس بغير حق، وأكل مال الغير، وشهادة الزور، وغيرها، وأصول الأخلاق؛ مثل: الصدق، والعدل، والإحسان، والعفاف، والبر، والرحمة، وغيرها.

وأما الاختلاف بينهم ففي الشرائع، والمناهج، والأحكام الفرعية، كما قال سبحانه: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «دين الأنبياء واحد، وملتهم واحدة وهي الأمة، وإنما تنوعت شرائعهم ومناهجهم»(١).



(١) الرد على الإخنائي (ص٤٧٣).



# المبحث الثالث عشر

## مبشرات نبوة النبي محمد ﷺ

### وأدلة ثبوت نبوته ﷺ، والرد على الشبهات حولها

### ۞ أولًا: المبشرات بنبوة نبينا محمد ﷺ:

**تعريفها:**

التبشير هو الإخبار بما يسر، والمبشرات هي الأمور السارة[١]، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]، والمراد بالمبشرات هنا: ما ورد في الكتب السابقة من الإخبار ببعثة رسول الله ﷺ؛ «فإن مجيء الرسول إلى الناس نعمة عظيمة، ووجه إيثار هذا اللفظ: الإشارة إلى ما وقع في الإنجيل من وصف رسالة الرسول الموعود به بأنها بشارة الملكوت»[٢].

**طرق ثبوتها:**

### ١- الأدلة من الكتاب والسنة على أن صفته موجودة في الكتب السابقة:

**ثبت في الكتاب والسنة ما يدل على أن صفته ونبوته موجودة في الكتب السابقة، ومنها:** قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾ [الشعراء:

(١) انظر: الصحاح (٢/ ٥٩٠)، مقاييس اللغة (١/ ٢٥١)، لسان العرب (٤/ ٦٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨/ ١٨١).

١٩٧]، وقوله سبحانه: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وقوله جل وعلا: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٤٣]، وقوله جل جلاله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦]، وقوله سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال الرازي: «وهذا يدل على أن نعته وصحة نبوته مكتوب في التوراة والإنجيل؛ لأن ذلك لو لم يكن مكتوبًا لكان ذكر هذا الكلام من أعظم المنفرات لليهود والنصارى عن قبول قوله؛ لأن الإصرار على الكذب والبهتان من أعظم المنفرات، والعاقل لا يسعى فيما يوجب نقصان حاله، وينفر الناس عن قبول قوله، فلما قال ذلك دل هذا على أن ذلك النعت كان مذكورًا في التوراة والإنجيل، وذلك من أعظم الدلائل على صحة نبوته»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأهل الكتاب يجدونه مكتوبًا في الكتب التي بأيديهم، وهو في كثير منها أصرح مما هو في كتاب موسى خاصة، فإذا أريد بالتوراة جنس الكتب فلا يستريب عاقل في كثرة ذكره ونعته ونعت أمته في تلك الكتب، ومعلوم أن الله أراد بذلك الاستشهاد بوجوده في تلك الكتب، وإقامة الحجة بذكره فيها، فإذا كان ذكره في غير كتاب موسى أكبر وأظهر عندهم، كان الاستدلال بذلك أولى من تخصيص الاستدلال بكتاب موسى»(٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ [آل عمران: ٨١].

وقال جل وعلا على لسان نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ

(١) تفسير الرازي (١٥/ ٣٨١). (٢) الجواب الصحيح (٥/ ٢٤١-٢٤٢).

يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [البقرة: ١٢٩]، وقال تعالى على لسان نبيه عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦].

وعن عطاء بن يسار، قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قلت: أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة؟ قال: «أجل، والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥]، وحرزًا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، ويفتح بها أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا»(١).

ومن ذلك ما أخبر به أبو سفيان عندما استدعاه هرقل في بلاد الشام ليسأله عن حال النبي ﷺ، يقول هرقل في آخرها: «وقد كنت أعلم أنه خارج، لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشَّمت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه»(٢).

وعن أبي صخر العقيلي، قال: حدثني رجل من الأعراب، قال: جلبت جلوبة إلى المدينة في حياة رسول الله ﷺ، فلما فرغت من بيعتي قلت: لألقين هذا الرجل فلأسمعنَّ منه، قال: فتلقاني بين أبي بكر وعمر يمشون، فتبعتهم في أقفائهم حتى أتوا على رجل من اليهود ناشرًا التوراة يقرؤها، يعزي بها نفسه على ابن له في الموت، كأحسن الفتيان وأجمله، فقال رسول الله ﷺ: «**أنشدك بالذي أنزل التوراة، هل تجد في كتابك ذا صفتي ومخرجي؟**»، فقال برأسه هكذا، أي: لا، فقال ابنه: إي والذي أنزل التوراة إنا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك، وأشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال: «**أقيموا**

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢١٢٥). (٢) أخرجه البخاري (ح٧).

**اليهود عن أخيكم**»، ثم ولي كفنَه وجنَنَه[١] والصلاةَ عليه[٢].

قال الماوردي: «وقد تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء بنبوة محمد ﷺ مما هو حجة على أممهم ومعجزة تدل على صدقه عند غيرهم بما أطلعه الله تعالى على غيبه ليكون عونًا للرسول وحثًّا على القبول»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مما ينبغي أن يعرف ما قد نبهنا عليه غير مرة، أن شهادة الكتب المتقدمة لمحمد ﷺ إما شهادتها بنبوته، وإما شهادتها بمثل ما أخبر به هو من الآيات البينات على نبوته ونبوة من قبله، وهو حجة على أهل الكتاب وعلى غير أهل الكتاب من أصناف المشركين الملحدين»[٤].

وقال أيضًا: «وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد ﷺ باسمه ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي ﷺ ما ليس في أخرى»[٥].

## ٢- ما ورد في التوراة والإنجيل من المبشرات بنبوة محمد ﷺ:

أما ما ورد في التوراة والإنجيل من المبشرات بنبوة محمد ﷺ، فإن الذي يرجع إلى التوراة التي بأيدي اليهود والنصارى اليوم لا يشك بأنه دخلها كثير من التحريف في ألفاظها ومعانيها، ومع ذلك فقد بقي فيها شيء من الحق، قال الإمام ابن حزم: «إن كفَّار بني إسرائيل بدَّلوا التوراة والزبور، فزادوا ونقصوا، وأبقى الله تعالى بعضَها حجةً عليهم»[٦].

ومما بقي في كتبهم من البشارات ما جاء في سفر التثنية (٣٣: ١-٢):

---

(١) أي: دفنه وستره.
(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/ ٤٧٦)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٣٢٦٩).
(٣) أعلام النبوة للماوردي (ص١٤٩).
(٤) الجواب الصحيح (٥/ ١٩٧).
(٥) الجواب الصحيح (٣/ ٥٠-٥١).
(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ١٥٧).

«وهذه هي البركة التي بارك بها موسى رجل الله بني إسرائيل قبل موته. فقال: جاء الرب من سيناء، وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبل فاران»، ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن ابن قتيبة قوله: «ليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن (فاران) هي مكة، فإن ادعوا أنها غير مكة، فليس ينكر ذلك من تحريفهم وإفكهم»(١).

وفي سفر التثنية أيضًا (١٨ : ١٨) يقول موسى مخاطبًا بني إسرائيل: «قال لي الرب: قد أحسنوا فيما تكلموا، أقيم لهم نبيًّا من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به». قال الإمام ابن القيم: «قال المسلمون: البشارة صريحة في النبي العربي الأمي محمد بن عبد الله ﷺ لا تحتمل على غيره، لأنها إنما وقعت بنبي من إخوة بني إسرائيل لا من بني إسرائيل أنفسهم، والمسيح من بني إسرائيل، فلو كان المراد بها هو المسيح لقال: (أقيم لهم نبيًّا من أنفسهم)، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وإخوة بني إسرائيل هم بنو إسماعيل، ولا يقال في لغة أمة من الأمم: إن بني إسرائيل هم إخوة بني إسرائيل، كما أن إخوة زيد لا يدخل فيهم زيد نفسه»(٢).

وجاء في إنجيل متى (٢١ : ٤٣) قول المسيح: «أقول لكم: إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره». قال الإمام ابن القيم: «وتأمل قوله فيها: (إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى أمة أخرى)، كيف تجده مطابقًا لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ۝١٠٥﴾ [الأنبياء: ١٠٥]»(٣).

وجاء في إنجيل يوحنا (١٥ : ٢٦): «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق، الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي».

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٢٠٠).
(٢) هداية الحيارى (١/ ٣١٧).
(٣) هداية الحيارى (١/ ٣٣٨).

وفي يوحنا أيضًا (١٦ : ٧): «لكني أقول لكم الحق: إنه خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي، ولكن إن ذهبت أرسله إليكم»، والمعزي معناه: روح الحق الذي يفرق بين الحق والباطل[١].

وفي يوحنا (١٦ : ١٢-١٤): «إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذاك، روح الحق، فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به، ويخبركم بأمور آتية. ذاك يمجدني، لأنه يأخذ مما لي ويخبركم».

هذه بعض البشارات الثابتة في كتبهم أبقاها الله حجة عليهم، مع أنهم حاولوا ما وسعتهم المحاولة أو الحيلة إتلافها وتحريفها، يقول المستشرق مونتجمري واط عن القديس توما الأكويني: «على الرغم من قوله: إن الإنجيل تنبأ به، يؤكد التدقيق في ذلك أنه أتلف كافة الأدلة الواردة في العهدين القديم والجديد»[٢].

قال الإمام ابن القيم: «**الأخبار والبشارة بنبوته ﷺ في الكتب المتقدمة عرفت من عدة طرق:**

**أحدها:** ما ذكرناه[٣]، وهو قليل من كثير وغيض من فيض.

**الثاني:** إخباره ﷺ لهم أنه مذكور عندهم، وأنهم وعدوا به، وأن الأنبياء بشرت به، واحتجاجه عليهم بذلك، ولو كان هذا الأمر لا وجود له البتة، لكان مغريًا لهم بتكذيبه منفرًا لأتباعه محتجًّا على دعواه بما يشهد ببطلانها.

**الثالث:** أن هاتين الأمتين معترفون بأن الكتب القديمة بشرت بنبي عظيم الشأن، يخرج في آخر الزمان، نعته كيت وكيت، وهذا مما اتفق عليه المسلمون واليهود والنصارى، فأما المسلمون فلما جاءهم آمنوا به وصدقوه،

---

(١) انظر: موسوعة بيان الإسلام (٥/ ٢٦).

(٢) تأثير الإسلام في أوروبا، وليام مونتجمري واط (ص١٣٣)، ترجمة: سارة إبراهيم الذيب.

(٣) أي من نصوص التوراة والإنجيل، وستأتي.

وعرفوا أنه الحق من ربهم. وأما اليهود فعلماؤهم عرفوه وتيقنوا أنه محمد بن عبد الله، فمنهم من آمن به ومنهم من جحد نبوته، وقال للأتباع: إنه لم يخرج بعد.

* وأما النصارى فوضعوا بشارات التوراة والنبوات التي بعدها على المسيح، ولا ريب أن بعضها صريح فيه، وبعضها ممتنع حمله عليه، وبعضها محتمل.

* وأما بشارات المسيح فحملوها كلها على الحواريين، وإذا جاءهم ما يستحيل انطباقه عليهم، حرفوه أو سكتوا عنه، وقالوا: لا ندري من المراد به.

**الرابع:** اعتراف من أسلم منهم بذلك، وأنه صريح في كتبهم، وعن المسلمين الصادقين منهم تلقى المسلمون هذه البشارات وتيقنوا صدقها بشهادة المسلمين منهم بها، مع تباين أعصارها وأمصارها وكثرتهم واتفاقهم على لفظها، وهذا يفيد القطع بصحتها ولو لم يقر بها أهل الكتاب، فكيف وهم مقرون بها لا يجحدونها وإنما يغالطون في تأويلها والمراد بها؟! وكل واحد من هذه الطرق الأربعة كاف في العلم بصحة هذه البشارات»[(١)].

### ٣- الإرهاصات:

ويلحق بالمبشرات ما يسمى بالإرهاصات التي كانت توطئة لنبوته ﷺ، ومن أشهرها حادثة الفيل، قال الإمام الماوردي: «وآية الرسول ﷺ من قصة الفيل: أنه كان في زمانه حملًا في بطن أمه بمكة؛ لأنه ولد بعد خمسين يومًا من الفيل... **فكانت آيته في ذلك من وجهين:**

**أحدهما:** أنهم لو ظفروا لسَبَوا واسترقُّوا، فأهلكهم الله تعالى لصيانة رسوله أن يجري عليه السبي حملًا ووليدًا.

**والثاني:** أنه لم يكن لقريش من التأله ما يستحقون به رفع أصحاب الفيل

(١) هداية الحيارى (٢/ ٤١٤-٤١٥).

عنهم، وما هم أهل كتاب؛ لأنهم كانوا بين عابد صنم أو متدين وثن، أو ثائل[١] بالزندقة، أو مانع من الرجعة[٢]، ولكن لما أراده الله تعالى من ظهور الإسلام تأسيسًا للنبوة وتعظيمًا للكعبة، وأن يجعلها قبلة للصلاة، ومنسكًا للحج»[٣]، وقال الإمام ابن القيم: «وكان أمر الفيل تقدمة قدمها الله لنبيه وبيته، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم خيرًا من دين أهل مكة إذ ذاك؛ لأنهم كانوا عباد أوثان فنصرهم الله على أهل الكتاب نصرًا لا صنع للبشر فيه، إرهاصًا وتقدمة للنبي ﷺ الذي خرج من مكة، وتعظيمًا للبيت الحرام»[٤]، وقال الإمام ابن كثير: «ولم يكن ما فعله بأصحاب الفيل نصرة لقريش إذ ذاك على النصارى الذين هم الحبشة؛ فإن الحبشة إذ ذاك كانوا أقرب لها من مشركي قريش، وإنما كان النصر للبيت الحرام، وإرهاصًا وتوطئةً لبعثة محمد ﷺ»[٥].

ومن الإرهاصات ما جاء في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلت: يا نبي الله، ما كان أول بدء أمرك؟ قال: «**دعوة أبي إبراهيم وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام**»[٦]، قال ابن كثير: «قيل: كان منامًا رأته حين حملت به، وقصته على قومها فشاع فيهم واشتهر بينهم، وكان ذلك توطئة، وتخصيص الشام بظهور نوره إشارة إلى استقرار دينه وثبوته ببلاد الشام، ولهذا تكون الشام في آخر الزمان معقلًا للإسلام وأهله، وبها ينزل عيسى ابن مريم إذا نزل بدمشق بالمنارة الشرقية البيضاء منها»[٧].

---

(١) كذا بالأصل! ولعلها: (قائل).

(٢) يعني: إنكار البعث والنشور.

(٣) أعلام النبوة للماوردي (ص٢٠٧-٢٠٨).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٧٥).

(٥) البداية والنهاية (٣/ ١٥٣).

(٦) سبق تخريجه.

(٧) تفسير ابن كثير (١/ ٤٤٤).

وعن حسان بن ثابت، أنه قال: والله إني لغلام يفعة ابن ثمان سنين، أو سبع، أعقل ما سمعت، إذ سمعت يهوديًّا يصرخ على أطمة يثرب: يا معشر اليهود، حتى اجتمعوا إليه، فقالوا له: ويلك ما لك؟ قال: «طلع الليلة نجم أحمد الذي ولد به»[(١)].

وما روي من ارتجاس إيوان كسرى وسقوط شرفاته وخمود نيران فارس عند مولده وغير ذلك من الدلالات فليس فيه شيء يثبت[(٢)]، وقال الإمام الذهبي: «هذا حديث منكر غريب»[(٣)].

## ۞ ثانيًا: أدلة ثبوت نبوة نبينا محمد ﷺ:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أرسل [الله] محمدًا ﷺ بآيات متعددة لعموم دعوته وشمولها، فإن الأدلة كلما كثرت، وتواردت على مدلول واحد كان أوكد وأظهر وأيسر لمعرفة الحق، فقد يعرف دلالة أحد الأدلة من لا يعرف الآخر، وقد يبلغ هذا ما لم يبلغ هذا، وقد يرسل الأنبياء بآيات متتابعة، وتقسي قلوب الكفار عن الإيمان لتتابع الآيات آية بعد آية لينتشر ذلك، ويظهر، ويبلغ ذلك قومًا آخرين فيكون ذلك سببًا لإيمانهم، كما فعل بآيات موسى، وآيات محمد، كما ذكر في التوراة أنه يقسي قلب فرعون لتظهر عجائبه وآياته، وكما صد المكذبين عن الإيمان بمحمد ﷺ حتى يمانعوه، ويسعوا في معارضته، والقدح في آياته، فيظهر بذلك عجزهم عن معارضة القرآن، وغيره من آياته فيكون ذلك من تمام ظهور آياته وبراهينه»[(٤)].

ودلائل نبوة نبينا ﷺ أنواع، يندرج تحتها أفراد كثيرة لا تحصى.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة (ص٧٥)، وصححه الألباني في صحيح السيرة النبوية (ص١٣).

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١/ ١٢٦)، صحيح السيرة النبوية (ص١٤).

(٣) تاريخ الإسلام (١/ ٤٩١).

(٤) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لابن تيمية (٦/ ٤٢٩-٤٣٠).

**وسنكتفي بذكر أنواع الآيات مع ذكر بعض الأمثلة لها:**

## النوع الأول: آيات النبوة:

الآيات الدالة على نبوته ﷺ كثيرة جدًّا، حتى ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أنها تزيد على ألف معجزة(١)، وإذا كان من المتعذر الإحاطة بها، **فإن ذلك لا يمنع من ذكر جملة منها:**

**فمنها: إخباره ﷺ بأمور غيبية مستقبلية** تحققت في حياته، أو بعد وفاته وفق ما أخبر عنها. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وآياته ﷺ قد استوعبت جميع أنواع الآيات الخبرية والفعلية، وإخباره عن الغيب الماضي والحاضر والمستقبل بأمور باهرة، لا يوجد مثلها لأحد من النبيين قبله، فضلًا عن غير النبيين؛ ففي القرآن من إخباره عن الغيوب شيء كثير، وكذلك في الأحاديث الصحيحة مما أخبر بوقوعه، فكان كما أخبر»(٢). **ومن ذلك:**

١- عن عدي بن حاتم، قال: بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتاه رجل فشكا إليه الفاقة، ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل، فقال: «**يا عدي، هل رأيت الحيرة(٣)؟**» قلت: لم أرها، وقد أنبئت عنها، قال: «**فإن طالت بك حياة، لترين الظعينة(٤) ترتحل من الحيرة، حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدًا إلا الله** - قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دعَّار طيئ(٥) الذين قد سعروا البلاد -(٦) **ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى(٧)**»، قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «**كسرى بن هرمز،**

(١) انظر: الجواب الصحيح (١/ ٣٩٩)، مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٥).

(٢) الجواب الصحيح (٦/ ٨٠).

(٣) **الحيرة** -بالكسر: بلد بالعراق خرِّبت. انظر: فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٠٩).

(٤) **الظعينة:** هي المرأة، وسميت ظعينة؛ لأنها تظعن مع الزوج، وتنتقل بانتقاله. انظر: معالم السنن، للخطابي (١/ ٥٤).

(٥) جمع داعر، وهو الخبيث من الرجال. انظر: أعلام الحديث، للخطابي (٣/ ١٥٩٩).

(٦) يعني: أوقدوها بالسعير، أي: بنار الشر والفتنة. انظر: أعلام الحديث (٣/ ١٥٩٩).

(٧) هو ملك الفرس.

**ولئن طالت بك حياة، لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة، يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدًا يقبله منه**[١]**، وليلقين الله أحدكم يوم يلقاه، وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له، فليقولن له: ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول: بلى، فيقول: ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول: بلى، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم، وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم»** قال عدي: سمعت النبي ﷺ يقول: «**اتقوا النار ولو بشقة تمرة، فمن لم يجد شقة تمرة فبكلمة طيبة**» قال عدي: فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله، وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياة، لترون ما قال النبي أبو القاسم ﷺ: يخرج ملء كفه[٢]. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وهذا الذي أخبر به من خروج الرجل بملء كفه من ذهب أو فضة فلا يجد من يقبله ظهر كما أخبر في زمن عمر بن عبد العزيز»[٣].

٢- وعن عوف بن مالك رضي الله عنه، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: «**اعدُدْ ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم كعُقاص الغنم**[٤]**، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا**»[٥]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ففتح بيت المقدس بعد موته في خلافة عمر بن الخطاب، ثم بعد ذلك وقع الطاعون العظيم بالشام، طاعون عمواس في خلافة عمر أيضًا، ومات فيه معاذ بن جبل، وأبو عبيدة بن الجراح، وخلق

---

(١) **أي**: لعدم الفقراء في ذلك الزمان. انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٦١٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٥٩٥).

(٣) الجواب الصحيح (٦/ ٨٣).

(٤) هو داء يأخذ الدواب، فيسيل من أنوفها شيء، فتموت فجأة. انظر: فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٢٧٨).

(٥) أخرجه البخاري (ح٣١٧٦).

كثير، وكان ذلك أول طاعون وقع في الإسلام، فكان ما أخبر به، حيث أخذهم طاعون كعقاص الغنم، ثم استفاض المال في خلافة عثمان بن عفان حتى كان أحدهم يعطى مائة دينار فيسخطها، وكثر المال حتى كانت الفرس تُشترى بوزنها، ثم وقعت الفتنة العامة التي لم يبق بيت من العرب إلا دخلته لما قتل عثمان، ووقعت الفتنة بين المسلمين أو الملوك يوم الجمل ويوم صفين»(١).

٣- وعن أبي بكرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر والحسن بن علي إلى جنبه، وهو يقبل على الناس مرة، وعليه أخرى، ويقول: «**إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»(٢).

قال ابن تيمية: «فوقع هذا كما أخبر به، بعد موت الرسول ﷺ بنحو ثلاثين سنة، وهو سنة أربعين من الهجرة، لما أصلح الله بالحسن بين الفئتين العظيمتين اللتين كانتا متحاربتين بصفين، عسكر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعسكر معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ»(٣).

### ومنها: الآيات الحسية، مثل:

١- **انشقاق القمر**، «فقد ذكر الله انشقاق القمر، وبين أن الله فعله، **وأخبر به لحكمتين عظيمتين:**

**إحداهما:** كونه من آيات النبوة، لما سأله المشركون آية، فأراهم انشقاق القمر.

**والثانية:** أنه دلالة على جواز انشقاق الفلك، وأن ذلك دليل على ما أخبرت به الأنبياء من انشقاق السماوات، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، فذكر اقتراب الساعة، وانشقاق القمر، وجعل الآية في انشقاق القمر دون الشمس وسائر الكواكب؛ لأنه أقرب إلى الأرض من

(١) الجواب الصحيح (٦/ ٨٦).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٧٠٤).
(٣) الجواب الصحيح (٦/ ٩٢).

الشمس والنجوم، وكان الانشقاق فيه دون سائر أجزاء الفلك؛ إذ هو الجسم المستنير الذي يظهر فيه الانشقاق لكل من يراه ظهورًا لا يتمارى فيه، وأنه -نفسه- إذا قبل الانشقاق فقبول محله أولى بذلك، وقد عاينه الناس وشاهدوه»[(١)].

٢- **تكثير الماء والطعام والثمار**، فأما تكثير الماء فعن أنس، أن النبي ﷺ «دعا بإناء من ماء، فأتي بقدح رحراح[(٢)]، فيه شيء من ماء، فوضع أصابعه فيه» قال أنس: «فجعلت أنظر إلى الماء ينبع من بين أصابعه» قال أنس: فحزرت من توضأ، ما بين السبعين إلى الثمانين[(٣)].

**وأما تكثير الطعام**: فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما حفر الخندق رأيت بالنبي ﷺ خمصًا شديدًا[(٤)]، فانكفأت إلى امرأتي، فقلت: هل عندك شيء؟ فإني رأيت برسول الله ﷺ خمصًا شديدًا، فأخرجت إلي جرابًا فيه صاع من شعير، ولنا بُهيمةٌ داجنٌ[(٥)] فذبحتها، وطحنت الشعير، ففرغت إلى فراغي، وقطَّعتها في برمتها، ثم وليت إلى رسول الله ﷺ، فقالت: لا تفضحني برسول الله ﷺ وبمن معه، فجئته فساررته، فقلت: يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا وطحنَّا صاعًا من شعير كان عندنا، فتعال أنت ونفر معك، فصاح النبي ﷺ فقال: «**يا أهل الخندق، إن جابرًا قد صنع سؤرًا**[(٦)]**، فحي هلا بكم**»، فقال

(١) الجواب الصحيح (٦/ ١٥٩-١٦٠).

(٢) **القدح الرحراح:** هو الواسع الصحن، القريب القعر. انظر: أعلام الحديث (١/ ٢٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح٢٠٠)، ومسلم (ح٢٢٧٩).

(٤) أي: رأيته ضامر البطن، **وأخمص:** حالة البطن من الجوع. انظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٦/ ٥١٣).

(٥) تصغير بَهمَة، والبَهم صغار الغنم، والداجن ما ألِف البيت. انظر: المعلم بفوائد مسلم، للمازري (٣/ ١١٧).

(٦) هو -بالفارسية: الطعام الذي يُدعى إليه الناس، وقيل: الطعام مطلقًا. انظر: مصابيح الجامع، للدماميني (٦/ ٣٩٦).

رسول الله ﷺ: «**لا تنزلن برمتكم، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء**»، فجئت وجاء رسول الله ﷺ يقدم الناس حتى جئت امرأتي، فقالت: بك وبك، فقلت: قد فعلت الذي قلتِ، فأخرجت له عجينًا فبصق فيه وبارك، ثم عمد إلى برمتنا فبصق وبارك، ثم قال: «**ادع خابزة فلتخبز معي، واقدحي من برمتكم ولا تنزلوها**» وهم ألف، فأقسم بالله لقد أكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز كما هو(١).

**وأما تكثير الثمار:** فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما: أن أباه استشهد يوم أحد وترك ست بنات وترك عليه دينًا، فلما حضر جداد النخل أتيت رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله قد علمت أن والدي استشهد يوم أحد، وترك عليه دينًا كثيرًا، وإني أحب أن يراك الغرماء، قال: «**اذهب فبيدر كل تمر على ناحيته**»، ففعلت ثم دعوته، فلما نظروا إليه أغروا بي تلك الساعة، فلما رأى ما يصنعون أطاف حول أعظمها بيدرًا ثلاث مرات، ثم جلس عليه، ثم قال: «**ادع أصحابك**»، فما زال يكيل لهم حتى أدى الله أمانة والدي، وأنا والله راض أن يؤدي الله أمانة والدي، ولا أرجع إلى أخواتي بتمرة، فسلم والله البيادر كلها حتى أني أنظر إلى البيدر الذي عليه رسول الله ﷺ، كأنه لم ينقص تمرة واحدة(٢).

**٣- ومن آياته الحسية تسخير الأحجار له ﷺ**، فعن أنس رضي الله عنه، حدثهم قال: صعد النبي ﷺ أحدًا ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان، فرجف، وقال: «**اسكن أحد**- أظنه ضربه برجله- **فليس عليك إلا نبي، وصديق، وشهيدان**»(٣).

وعن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤١٠١)، ومسلم (ح٢٠٣٩).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٧٨١).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٦٩٩).
(٤) أخرجه مسلم (ح٢٢٧٧).

وعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنت مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله جبل ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله(١).

### النوع الثاني: قرائن الأحوال:

«النبوة يدعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين، بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرِّف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

**لو لم يكن فيه آيات مبينة كانت بديهته تأتيك بالخبر»(٢)**

## البراهين الدالة على أن قرائن الأحوال من دلائل النبوة:

### البرهان الأول:

أنه ما من أحد ادعى النبوة من الكذابين إلا وقد ظهر عليه من الجهل والكذب والفجور، واستحواذ الشياطين عليه - ما ظهر لمن له أدنى تمييز، فإن الرسول لا بد أن يخبر الناس بأمور، ويأمرهم بأمور، ولابد أن يفعل أمورًا يبين بها صدقه، والكاذب يظهر في نفس ما يأمر به ويخبر عنه وما يفعله، ما يبين به كذبه من وجوه كثيرة، والصادق ضده، بل كل شخصين ادعيا أمرًا: أحدهما صادق، والآخر كاذب - لا بد أن يظهر صدق هذا وكذب هذا ولو بعد مدة؛ إذ الصدق مستلزم للبر، والكذب مستلزم للفجور، يدل على ذلك ما جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «**عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق، حتى يكتب عند الله صديقًا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي**

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٣٦٢٦)، والحاكم في المستدرك (ح٤٢٣٨)، وصححه، ووافقه الذهبي.
(٢) شرح الطحاوية (١/ ١٤٠-١٤١).

**إلى النار، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابًا»**[(١)][(٢)].

### البرهان الثاني:

أن الناس يميزون بين الصادق والكاذب بأنواع من الأدلة، حتى في المدعي للصناعات والمقالات؛ كمن يدعي الفلاحة والنساجة والكتابة، وعلم النحو والطب والفقه وغير ذلك.

والنبوة مشتملة على علوم وأعمال لا بد أن يتصف الرسول بها، وهي أشرف العلوم وأشرف الأعمال. فكيف يشتبه الصادق فيها بالكاذب؟[(٣)].

### البرهان الثالث:

لا ريب أن المحققين على أن خبر الواحد والاثنين والثلاثة قد يقترن به من القرائن ما يحصل معه العلم الضروري، كما يعرف الرجل رضا الرجل وحبه وبغضه وفرحه وحزنه وغير ذلك مما في نفسه، بأمور تظهر على وجهه، قد لا يمكن التعبير عنها، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْۚ﴾ [محمد: ٣٠]، ثم قال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ ٱلْقَوْلِۚ﴾ [محمد: ٣٠]، وقد قيل: ما أسر أحد سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفلتات لسانه[(٤)].

## ۞ الأدلة على أن قرائن الأحوال من آيات صدق النبي ﷺ:

وإذا كانت قرائن الأحوال دليلًا صحيحًا على إثبات النبوة، فإنها كذلك دليل على إثبات صدق محمد ﷺ.

قال الإمام ابن أبي العز: «فإذا كان صدق المخبر وكذبه يعلم بما يقترن به من القرائن، فكيف بدعوى المدعي أنه رسول الله، كيف يخفى صدق هذا

(١) أخرجه البخاري (ح٦٠٩٤)، ومسلم (ح٢٦٠٧).
(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ١٤١-١٤٣).
(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ١٤٣).
(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ١٤٣-١٤٤).

من كذبه؟ وكيف لا يتميز الصادق في ذلك من الكاذب بوجوه من الأدلة؟»[(١)].

**الدليل الأول:** قول خديجة رضي الله عنها حين قال لها لما جاءه الوحي: «**إني قد خشيت على نفسي**»، فقالت لما علمت منه صلى الله عليه وسلم أنه الصادق البار: كلا- والله- لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكَل[(٢)]، وتقري الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق[(٣)]. فهو لم يَخَفْ من تعمد الكذب، فهو يعلم من نفسه صلى الله عليه وسلم أنه لم يكذب، وإنما خاف أن يكون قد عرض له عارض سوء، وهو المقام الثاني، فذكرت خديجة ما ينفي هذا، وهو ما كان مجبولًا عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وقد علم من سنة الله أن من جبله على الأخلاق المحمودة، ونزهه عن الأخلاق المذمومة فإنه لا يخزيه.

**الدليل الثاني:** قول النجاشي لما استخبرهم عما يخبر به واستقرأهم القرآن فقرؤوا عليه، فقال: إن هذا والذي جاء به موسى عليه السلام ليخرج من مشكاة واحدة[(٤)].

**الدليل الثالث:** قول ورقة بن نوفل لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه، وكان ورقة قد تنصر، وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقالت له خديجة: أي عم، اسمع من ابن أخيك ما يقول، فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رأى فقال: هذا هو الناموس[(٥)] الذي

(١) شرح الطحاوية (١/ ١٤٤).

(٢) قوله: (**تحمل الكَلَّ**)؛ أي: من لا يقدر على العمل والكسب. فتح الباري، لابن حجر (١/ ١٨٠).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣)، ومسلم (ح١٦٠).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (ح ١٧٤٠)، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح غير إسحاق، وقد صرح بالسماع». مجمع الزوائد (٦/ ٢٧).

(٥) **الناموس في اللغة:** صاحب سر الخير، والجاسوس صاحب سر الشر، واتفقوا على أن جبريل عليه السلام يسمى الناموس، واتفقوا على أنه المراد هنا، وسمي بذلك؛ لأن الله تعالى خصه بالغيب=

كان يأتي موسى[(١)].

**الدليل الرابع:** استدلال هرقل ملك الروم على صدق النبي ﷺ، فإن النبي ﷺ لما كتب إليه كتابًا يدعوه فيه إلى الإسلام، طلب من كان هناك من العرب، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام، وسألهم عن أحوال النبي ﷺ، فسأل أبا سفيان، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار، سألهم: هل كان في آبائه من ملك؟ فقالوا: لا، قال: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فقالوا: لا، وسألهم: أهو ذو نسب فيكم؟ فقالوا: نعم، وسألهم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقالوا: لا، ما جربنا عليه كذبًا، وسألهم: هل اتبعه ضعفاء الناس أم أشرافهم؟ فذكروا أن الضعفاء اتبعوه؟ وسألهم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فذكروا أنهم يزيدون، وسألهم: هل يرجع أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقالوا: لا، وسألهم: هل قاتلتموه؟ قالوا: نعم، وسألهم عن الحرب بينهم وبينه؟ فقالوا: يدال علينا مرة وندال عليه أخرى، وسألهم: هل يغدر؟ فذكروا أنه لا يغدر، وسألهم: بماذا يأمركم؟ فقالوا: يأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وينهانا عما كان يعبد آباؤنا، ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. وهذه أكثر من عشر مسائل، ثم بين لهم ما في

= والوحي. انظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠٣).

(١) أخرجه البخاري (ح٣)، ومسلم (ح١٦٠).

قال الإمام النووي: «ورويناه في غير الصحيح نزل على عيسى ﷺ، وكلاهما صحيح». شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٠٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «وقوله: (على موسى)، ولم يقل: (على عيسى) مع كونه نصرانيًّا؛ لأن كتاب موسى عليه السلام مشتمل على أكثر الأحكام بخلاف عيسى، وكذلك النبي ﷺ، أو لأن موسى بعث بالنقمة على فرعون ومن معه، بخلاف عيسى؛ كذلك وقعت النقمة على يد النبي ﷺ بفرعون هذه الأمة، وهو أبو جهل بن هشام ومن معه ببدر، أو قاله تحقيقًا للرسالة؛ لأن نزول جبريل على موسى متفق عليه بين أهل الكتاب، بخلاف عيسى فإن كثيرًا من اليهود ينكرون نبوته». فتح الباري لابن حجر (١/ ٢٦).

هذه المسائل من الأدلة، فقال: سألتكم: هل كان في آبائه من مَلِك؟ فقلتم: لا، قلت: لو كان في آبائه من ملك لقلت: رجل يطلب ملك أبيه، وسألتكم: هل قال هذا القول فيكم أحد قبله؟ فقلتم: لا، فقلت: لو قال هذا القول أحد قبله لقلت: رجل ائتم بقول قيل قبله، وسألتكم: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فقلتم: لا، فقلت: قد علمت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتكم: أضعفاء الناس يتبعونه أم أشرافهم؟ فقلتم: ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل؛ يعني: في أول أمرهم، ثم قال: وسألتكم: هل يزيدون أم ينقصون؟ فقلتم: بل يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتكم: هل يرتد أحد منهم عن دينه سخطة له بعد أن يدخل فيه؟ فقلتم: لا، وكذلك الإيمان، إذا خالطت بشاشته القلوب لا يسخطه أحد.

وهذا من أعظم علامات الصدق والحق، فإن الكذب والباطل لا بد أن ينكشف في آخر الأمر، فيرجع عنه أصحابه، ويمتنع عنه من لم يدخل فيه، والكذب لا يروج إلا قليلًا ثم ينكشف.

وسألتكم: كيف الحرب بينكم وبينه؟ فقلتم: إنها دول، وكذلك الرسل تبتلى وتكون العاقبة لها، قال: وسألتكم: هل يغدر؟ فقلتم: لا، وكذلك الرسل لا تغدر، وهو لما كان عنده من علمه بعادة الرسل وسنة الله فيهم أنه تارة ينصرهم وتارة يبتليهم، وأنهم لا يغدرون - علم أن هذه علامات الرسل، وأن سنة الله في الأنبياء والمؤمنين أن يبتليهم بالسراء والضراء؛ لينالوا درجة الشكر والصبر.

والله تعالى قد بين في القرآن ما في إدالة العدو عليهم يوم أُحد من الحكمة، فقال: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩] الآيات، وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢﴾ [العنكبوت: ١، ٢] الآيات، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على سنته في خلقه وحكمته التي بهرت العقول.

قال: وسألتكم عما يأمر به؟ فذكرتم أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف والصلة، وينهاكم عما كان يعبد آباؤكم، وهذه صفة نبي، وقد كنت أعلم أن نبيًّا يبعث، ولم أكن أظنه منكم، ولوددت أني أخلص إليه، ولولا ما أنا فيه من الملك لذهبت إليه، وإن يكن ما تقول حقًّا فسيملك موضع قدمي هاتين. وكان المخاطب بذلك أبو سفيان بن حرب، وهو حينئذٍ كافر من أشد الناس بغضًا وعداوة للنبي ﷺ، قال أبا سفيان ابن حرب: فقلت لأصحابي ونحن خروج: لقد أَمِرَ أمرُ ابنِ أبي كبشة[١]، إنه ليعظمه ملك بني الأصفر، وما زلت موقنًا بأن أمر النبي ﷺ سيظهر، حتى أدخل الله عليَّ الإسلام وأنا كاره[٢][٣].

## النوع الثالث: الآثار الباقية في العالم:

«وأيضًا: فإن الله سبحانه أبقى في العالم الآثار الدالة على ما فعله بأنبيائه والمؤمنين من الكرامة، وما فعله بمكذبيهم من العقوبة، كتواتر الطوفان، وإغراق فرعون وجنوده، ولما ذكر سبحانه قصص الأنبياء نبيًّا بعد نبي، في «سورة الشعراء»، كقصة موسى وإبراهيم ونوح ومن بعده، يقول في آخر كل قصة: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء: ٨، ٩].

**وبالجملة:** فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول: إنه رسول الله، وأن أقوامًا اتبعوهم، وأن أقوامًا خالفوهم، وأن الله نصر الرسل والمؤمنين، وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم، هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها. ونقل أخبار هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار من مضى من الأمم من ملوك

(١) **معنى (أَمِرَ):** عظم وارتفع، و(ابن أبي كبشة) أراد به النبي ﷺ؛ لأن أبا كبشة أحد أجداده، وعادة العرب إذا انتقصت نسبت إلى جدٍّ غامض. انظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٠).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧)، ومسلم (ح١٧٧٣).

(٣) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٤٠-١٥٠).

الفرس وعلماء الطب؛ كبقراط، وجالينوس، وبطليموس، وسقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وأتباعه.

ونحن اليوم إذا علمنا بالتواتر من أحوال الأنبياء وأوليائهم وأعدائهم - علمنا يقينًا أنهم كانوا صادقين على الحق **من وجوه متعددة:**

**منها:** أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم.

**ومنها:** ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، إذا عرف الوجه الذي حصل عليه -كغرق فرعون وغرق قوم نوح وبقية أحوالهم- عرف صدق الرسل.

**ومنها:** أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل، وأن فيما جاؤوا به من الرحمة والمصلحة والهدى والخير ودلالة الخلق على ما ينفعهم ومنع ما يضرهم - ما يبين أنه لا يصدر إلا عن راحمٍ بَرٍّ، يقصد غاية الخير والمنفعة للخلق»[١].

ومن الآثار الدالة على صدق الرسل: ما أخبر الله جل وعلا من بناء إبراهيم عليه السلام للكعبة، وكيف جعل أفئدة من الناس تهوي إليها، مع أنها «بيت من حجارة بوادٍ غير ذي زرع، ليس عندها أحد يحفظها من عدو، ولا عندها بساتين وأمور يرغب الناس فيها، فليس عندها رغبة ولا رهبة، ومع هذا فقد حفظها بالهيبة والعظمة، فكل من يأتيها يأتيها خاضعًا ذليلًا متواضعًا في غاية التواضع، وجعل فيها من الرغبة ما يأتيها الناس من أقطار الأرض محبة، وشوقًا، من غير باعث دنيوي، وهي على هذه الحال من ألوف من السنين؛ وهذا مما لا يعرف في العالم لبنية غيرها»[٢].

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٥١-١٥٣).

(٢) النبوات (١/ ٥١٠-٥١١).

## النوع الرابع: كرامات الأولياء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «كرامات الأولياء هي من دلائل النبوة؛ فإنها لا توجد إلا لمن اتبع النبي الصادق، فصار وجودها كوجود ما أخبر به النبي من الغيب»[(١)]، «وكرامات أولياء الله إنما حصلت ببركة اتباع رسوله ﷺ فهي في الحقيقة تدخل في معجزات الرسول ﷺ»[(٢)].

ولذا كان «من أصول أهل السنة: التصديق بكرامات الأولياء، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات وأنواع القدرة والتأثيرات؛ كالمأثور عن سالف الأمم في سورة الكهف وغيرها، وعن صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين وسائر قرون الأمة، وهي موجودة فيها إلى يوم القيامة»[(٣)].

**تعريفها:**

**الكرامة:** «أمرٌ خارق للعادة، يُظهِرُه الله تعالى على يدِ وليٍّ من أوليائِه؛ تكريمًا له، أو نصرةً لدينِ الله»[(٤)]، **والولي:** هو كل مؤمن تقي؛ لقوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣]. «فأولياء الله المتقون هم: المقتدون بمحمد ﷺ، فيفعلون ما أمر به وينتهون عما عنه زجر؛ ويقتدون به فيما بين لهم أن يتبعوه فيه، فيؤيدهم بملائكته وروح منه، ويقذف الله في قلوبهم من أنواره، ولهم الكرامات التي يكرم الله بها أولياءه المتقين، وخيار أولياء الله كراماتهم لحجة في الدين أو لحاجة بالمسلمين، كما كانت معجزات نبيهم ﷺ كذلك»[(٥)].

---

(١) النبوات، لابن تيمية (١/ ٥٠١-٥٠٢)، وانظر: (١/ ٥٤١، ٦٠٣).

(٢) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٥).

(٣) الواسطية (ص١٢٣).

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٣١١)، وانظر: لوامع الأنوار البهية، للسفاريني (٢/ ٣٩٢).

(٥) مجموع الفتاوى (١١/ ٢٧٤).

**وفوائدها:**

**١-** بيان قدرة الله.

**٢-** نصرة الدين أو تكريم الولي.

**٣-** زيادة الإيمان والتثبيت للولي الذي ظهرت على يده وغيره.

**٤-** أنها من البشرى لذلك الولي.

**٥-** أنها معجزة للرسول الذي تمسك الولي بدينه؛ لأنها كالشهادة للولي بأنه على حق[١].

**والكرامة نوعان:**

**١- في العلوم والمكاشفات:** بأن يحصل للولي من العلم ما لا يحصل لغيره، أو يكشف له من الأمور الغائبة عنه ما لا يكشف لغيره، كما حصل لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين كشف له وهو يخطب في المدينة عن إحدى السرايا المحصورة في العراق، فقال لقائدها واسمه سارية بن زنيم: الجبل يا سارية، فسمعه القائد فاعتصم بالجبل.

**٢- في القدرة والتأثيرات:** بأن يحصل للولي من القدرة والتأثيرات ما لا يحصل لغيره، كما وقع للعلاء بن الحضرمي حين عبر البحر يمشي على متن الماء[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما المعجزات التي لغير الأنبياء من باب الكشف والعلم، فمثل: قول عمر في قصة سارية، وإخبار أبي بكر بأن ببطن زوجته أنثى، وإخبار عمر بمن يخرج من ولده فيكون عادلًا، وقصة صاحب موسى في علمه بحال الغلام.

والقدرة، مثل: قصة الذي عنده علم من الكتاب، وقصة أهل الكهف،

---

(١) انظر: التنبيهات اللطيفة على ما احتوت عليه الواسطية من المباحث المنيفة، لعبد الرحمن السعدي (ص١٢٥-١٢٧).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٦)، مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين (٤/ ٣١١).

وقصة مريم، وقصة خالد بن الوليد، وسفينة مولى رسول الله ﷺ، وأبي مسلم الخولاني، وأشياء يطول شرحها، فإن تعداد هذا مثل المطر، وإنما الغرض: التمثيل بالشيء الذي سمعه أكثر الناس، وأما القدرة التي لم تتعلق بفعله، فمثل: نصر الله لمن ينصره، وإهلاكه لمن يشتمه»[(١)].

### النوع الخامس: أعظم الآيات (القرآن الكريم):

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيت وحيًا أوحاه الله إليَّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعًا يوم القيامة**»[(٢)].

قال الحافظ ابن حجر: «وليس المراد حصر معجزاته فيه، ولا أنه لم يؤتَ من المعجزات ما أوتي من تقدمه، بل المراد: أنه المعجزة العظمى التي اختص بها دون غيره»[(٣)].

ويجمل العلامة ابن عثيمين وجوه الإعجاز بقوله: «**القرآن آية من آيات النبي ﷺ الدالة على صدقه من عدة أوجه:**

**الأول:** عجز الخلق كلهم أن يأتوا مجتمعين أو منفردين بمثل هذا القرآن، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الإسراء: ٨٨]؛ يعني: لا يمكن أن يأتوا بمثله ولو كان بعضهم معينًا لبعض؛ وذلك لأن القرآن كلام الله ولا يمكن أن يشبهه شيء من كلام المخلوقين، لا من حيث اللفظ، ولا من حيث المعنى، ولا من حيث التأثير، ولا من حيث الثمرة والآثار الحميدة.

**الثاني:** من حيث اللفظ في قوته، ورصانته، وتركيبه، وأسلوبه، ونظمه، وبيانه، ووضوحه، وشموله للمعاني العديدة الواسعة التي لا تزال تظهر عند

---

(١) مجموع الفتاوى (١١/ ٣١٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) فتح الباري (٩/ ٦).

التأمل والتفكير، حتى كأنك لتسمع الآية التي ما تزال تقرؤها فينقدح لك منها معنى جديد، كأنك لم تسمع الآية من قبل، وكأن الآية نزلت لتوِّها من أجله...

**الوجه الثالث من إعجاز القرآن:** من حيث أهدافه العالية، وآدابه الكاملة، وتشريعاته المُصْلحة، فقد جاء بإصلاح العقيدة من الإيمان بالله، وبما له من الأسماء والصفات والأفعال، والإيمان بجميع ملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وما يتعلق بذلك، وجاء بإخلاص العبادة لله، وتحرير الفكر، والعقل، والشعور من عبادة غير الله والتعلق به خوفًا، ورجاء، ومحبة، وتعظيمًا، وجاء بالآداب الكاملة التي يشهد بكمالها وصلاحها وإصلاحها كل عقل سليم، أمر بالبر والصلة، والصدق، والعدل، والرحمة، والإحسان، ونهى عن كل ما يخالف ويناقض من الظلم، والبغي، والعدوان.

أما تشريعاته؛ فناهيك بها من نُظُم مُصلحة للعباد والبلاد في المعاش، والمعاد، وإصلاحًا في العبادة، وإصلاحًا في المعاملة في الأحوال الشخصية، والاجتماعية، والاقتصادية، والفردية، والكمالية فيما لو اجتمع الخلق كلهم على سنِّ نظم تماثلها أو تقاربها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلًا.

**الوجه الرابع من إعجاز القرآن:** قوة تأثيره على النفوس والقلوب، فإنه ينفذ إلى القلب نفوذ السهم في الرمية، ويسيطر على العقول سيطرة الشمس على أفق الظلام، كما شهد بذلك المُوَالي والمعادي، حتى إن الرجل العادي -فضلًا عن المتعلم- ليسمع القرآن فيجد من نفسه جاذبية عظيمة تجذبه إليه قسرًا، يعرف أن هذا ليس من كلام البشر...

**الوجه الخامس من إعجاز القرآن:** تلك الآثار الجليلة التي حصلت لأمة القرآن باتباعه والعمل بأهدافه السامية، وتعاليمه الرشيدة، فقد ارتقى بأمة القرآن التي اعتنت به لفظًا وفهمًا وتطبيقًا، ارتقى بها إلى أوج العلا في العبادة

والآداب والكرامة والعزة»[(١)].

**ويضاف إلى ما سبق من وجوه إعجاز القرآن الكريم:**

**الوجه السادس: الإعجاز العلمي: والمقصود به:** إخبار القرآن عن حقائق علمية لم تكن معروفة للبشرية يوم نزوله على نبينا ﷺ، ولم يكتشفها العلم إلا في وقتنا الحاضر، وهو يعد دليلًا على صدق نبوته ﷺ، وأن هذا القرآن وحي من عند الله.

ففي عصرنا، ومع التقدم العلمي والتقني تكشفت آيات باهرة من الإعجاز العلمي في القرآن، **ومن أمثلة ذلك ما يلي:**

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ - ١٤].

حيث كان الناس قديمًا في زمن النبوة وبعده بأكثر من عشرة قرون يعتقدون أن الإنسان يخلق كقزم كامل من دم الحيض أو داخل البويضة، أو في رأس الحيوان المنوي بعد اكتشافهما في القرن السابع عشر والثامن عشر، إلى أن ظهر سبالا نزالى في نهاية القرن الثامن عشر ليبطل كل هذه النظريات، ويثبت أن الإنسان يخلق من كلٍّ من الحيوان المنوي والبويضة، كما أثبت علم الأجنة مراحل تخليق الإنسان كما جاء بها القرآن. فمن أخبر محمدًا ﷺ بكل هذه الحقائق والتفاصيل الدقيقة التي لم تكتشف إلا بعد زمن النبوة بعشرة قرون؟![(٢)].

---

(١) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٥/ ٣٠٧-٣١٠)، وانظر للتفصيل: إعجاز القرآن، للباقلاني (ص٣٣-٣٥)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لعياض (١/ ٢٥٨-٢٧٠)، الجواب الصحيح (٥/ ٤٢٢-٤٣٦).

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، منهج للتدريس الجامعي، إعداد مجموعة من الباحثين (ص٦٧) وما بعدها.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا سَوۡفَ نُصۡلِيهِمۡ نَارٗا كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا لِيَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَۗ﴾ [النساء: ٥٦].

فبين الله تعالى أن الجلد هو محل العذاب، وربط بين الجلد والإحساس بالألم، وأنه حين يتلاشى الجلد ويحترق يتلاشى الإحساس بألم العذاب، فيستبدل بجلد جديد ليستمر الإحساس بالألم ويدوم العذاب للكافرين، وقد كشف العلم الحديث أن النهايات العصبية المتخصصة للإحساس بالحرارة وآلام الحريق لا توجد بكثافة إلا في الجلد، ولم يكن بوسع أحد قبل اكتشاف المجهر وتقدم علم التشريح الدقيق أن يعرف هذه الحقيقة التي أشار إليها القرآن منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ﴾ [الحج: ٥].

ذكر القرآن اهتزاز التربة وربوها -يعني: زيادتها وانتفاخها- بعد نزول الماء عليها، وهما عمليتان دقيقتان غير مشاهدتين ولا محسوستين، ولم يدرك العلم الحديث هاتين الحقيقتين إلا بعد اختراع المجهر الضوئي عام ١٥٩٠م، وهو الأداة التي من خلالها لوحظ هذا الاهتزاز، وقد أثبت العلم الحديث أن نزول الماء على التربة يترتب عليه أن حبيبات التربة ذات الشحنات السالبة المتشابهة تكون في حالة تنافر واهتزاز مستمر وحركة دائمة، وأن الماء يحيط بالحبيبات ويغلفها فتربو وتزداد، وبعد وجود الماء تدب الحياة في كل البذور الكامنة في الأرض، وتظهر أنواع النباتات والأشجار، وهو ما أخبر به القرآن قبل أربعة عشر قرنًا ﴿ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ﴾ [الحج: ٥][(٢)].

وقوله تعالى: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القيامة: ٤]؛ فيه من الإعجاز أن البنان تحتوي على البصمات التي هي في غاية من الدقة، حيث لا يتشابه اثنان

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (ص٨١).

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن والسنة (ص١٠٤-١٠٥).

في خريطة البصمات، فأقسم الله تعالى بالقيامة أنه قادر على أن يرد هذه البنان يوم القيامة كما كانت وبنفس الخريطة والدقة، وذلك في معرض الرد على المشركين الذين ينكرون المعاد ويستبعدون حشر الأجسام بعد كونها ترابًا، وهذا الأمر؛ أي: عدم تطابق البصمات لم يكتشف إلا في القرن التاسع عشر الميلادي على يد العالم الإنجليزي السير فرانسيس غالتون عام ١٨٩٢م؛ فهو أول من أثبت أنه لا توجد بصمتا إصبعين متطابقتان، حتى في التوائم، كما أكد أن صورة البصمة لأي إصبع تبقى كما هي طوال حياته، ثم أصبح نظام التعرف على المجرمين من خلال بصمات أصابعهم نظامًا عالميًّا تطبقه دوائر الشرطة في العالم إلى اليوم[(١)].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ﴾ [الأنبياء: ٣١]، وهي الجبال، وقد لاحظ العلماء أن امتداد الجبال في باطن الأرض يزيد عن ارتفاعها فوق سطحها؛ مما يمكِّن هذه الجبال من القيام بدورها في تثبيت الأرض، كما تقوم الأوتاد بتثبيت الخيمة[(٢)].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح: ١٦]، وقد اكتشف العلم الحديث أن القمر جِرْم بارد عاكس للضوء، خلافًا لحال الشمس السراج، وحجمه الذي هو أصغر من الشمس، رغم ما يظهر للرائي من كِبَر شكله الظاهر لنا الذي يتبدل من هلال إلى بدر حسب أوضاعه (منازله) النسبية للشمس والقمر[(٣)].

---

(١) انظر:

http//:fatwa.islamweb.net/fatwa.

https//:ar.wikipedia.org/wiki.

(٢) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، صلاح الدق، بحث منشور على موقع الألوكة، على هذا الرابط: «https//:www.alukah.net/sharia/0/114148/».

(٣) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، صلاح الدق، بحث منشور على موقع الألوكة، على هذا الرابط: «https//:www.alukah.net/sharia/0/114148/».

وقال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ لِتَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَسۡمَعُونَ ۝٦٧﴾ [يونس: ٦٧]، وقد بين الطب الحديث أن الجهاز العصبي ينقسم إلى شقين: (١) الباراسمبثاوي الذي يعمل ليلًا ويبعث الهدوء والسكينة، ويهدئ ضغط الدم وخفقان القلب، ويعمل على اختزان الطاقة، (٢) السمبثاوي الذي ينشط نهارًا، وهو مسؤول عن النشاط والحركة واستهلاك الطاقة، ويرتفع معه ضغط الدم، ويزيد التوتر والخفقان[1].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة، ولكثرتها وأهميتها أنشئت مراكز علمية للاهتمام بالإعجاز العلمي في القرآن ورعايته؛ كالهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن، التابعة لرابطة العالم الإسلامي في المملكة العربية السعودية، ونادي الإعجاز العلمي بالمعهد العالي للحضارة الإسلامية بجامعة الزيتونة بتونس، والهيئة العالمية للإعجاز العلمي في الأزهر، كما أقيمت مؤتمرات عن آفاق الإعجاز العلمي في القرآن؛ مما ساعد في إسلام عدد كبير من العلماء الغربيين.

## ۞ ثالثًا: الشبهات حول نبوة رسول الله ﷺ والرد عليها:

### أولًا: شبهات المشركين:

#### ١- شبهة السحر:

ادعى المشركون أن ما جاء به محمد ﷺ من الوحي ما هو إلا سحر مبين، قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤﴾ [ص: ٤]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ [سبأ: ٤٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ ءَايَةٗ يَسۡتَسۡخِرُونَ ۝١٤ وَقَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٌ﴾ [الصافات: ١٤، ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ

---

(١) انظر: الإعجاز العلمي في القرآن، صلاح الدق، بحث منشور على موقع الألوكة، على هذا الرابط: «https//:www.alukah.net/sharia/0/114148/».

﴿لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأحقاف: ٧]، وقال - جل وعلا: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ۝٣٠﴾ [الزخرف: ٣٠].

## الرد عليهم:

بين الله سبحانه بطلان شبهة السحر بأن السحر لا يأتي إلا عن طريق الشياطين، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أما القرآن فهو تنزيل من حكيم حميد، ولا يستطيع الشياطين أن يتنزلوا به، قال سبحانه: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ۝٢١٠ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ۝٢١١ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ۝٢١٢﴾ [الشعراء: ٢١٠ - ٢١٢]، قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «زعموا أن الشياطين تنزلت به على محمد ﷺ، فأخبرهم الله ﷻ أنها لا تقدر على ذلك ولا تستطيعه، وما ينبغي لهم أن ينزلوا به وهو محجور عليهم»(١).

**فأخبر تعالى أن ذلك ممتنع عليهم من وجوه:**

**الأول:** أنه ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ﴾؛ أي: ليس هو من بغيتهم ولا من طلبتهم؛ لأن من سجاياهم الفساد وإضلال العباد، وهذا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونور وهدى وبرهان عظيم، فبينه وبين الشياطين منافاة عظيمة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ﴾.

**الثاني:** قوله: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، أي: ولو انبغى لهم لما استطاعوا ذلك، قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

**الثالث:** أنه لو انبغى لهم واستطاعوا حمله وتأديته، لما وصلوا إلى ذلك؛ لأنهم بمعزل عن استماع القرآن حال نزوله؛ لأن السماء ملئت حرسًا شديدًا وشهبًا في مدة إنزال القرآن على رسوله ﷺ، فلم يخلص أحد من الشياطين

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٢٨٢٤-٢٨٢٥)، وانظر: تفسير الطبري (١٧/ ٦٥٢-٦٥٣).

إلى استماع حرف واحد منه، لئلا يشتبه الأمر، وهذا من رحمة الله بعباده، وحفظه لشرعه، وتأييده لكتابه ولرسوله؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾، كما قال تعالى مخبرًا عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن: ٨-١٠][١].

**الرابع:** أنه لو كان القرآن سحرًا لاستطاع المشركون أن يأتوا بمثله؛ لأن السحر مكتسب، ولكنهم لم يتمكنوا أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله ولا بسورة من مثله.

### ٢- شبهة الجنون:

ادعى المشركون عنادًا واستكبارًا أن محمدًا ﷺ مجنون، وأن ما جاء به من الهدى والحق من آثار هذا الجنون، قال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾﴾ [القلم: ٥١]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾﴾ [الحجر: ٦]، وقال جل جلاله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۚ بَلْ جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [المؤمنون: ٧٠].

وقال جل وعلا: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْا۟ بِهِۦ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [الذاريات: ٥٢-٥٣].

### الرد عليهم:

وقد بيَّن الله تعالى بطلان شبهة الجنون بقوله جل وعلا: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾ [سبأ: ٤٦]، **وبيان ذلك من وجوه:**

**الأول:** قال القرطبي: «المعنى: ثم تتفكروا: هل جربتم على صاحبكم

(١) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ١٦٥).

كذبًا، أو رأيتم فيه جِنَّة، أو في أحواله من فساد، أو اختلف إلى أحد ممن يدعي العلم بالسحر، أو تعلم الأقاصيص وقرأ الكتب، أو عرفتموه بالطمع في أموالكم، أو تقدرون على معارضته في سورة واحدة، فإذا عرفتم بهذا الفكر صدقه، فما بال هذه المعاندة؟!»[(١)]، وقال البيضاوي: «إن ما عرفوا من رجاحة عقله كافٍ في ترجيح صدقه، فإنه لا يَدَعُه أن يتصدى لادعاء أمر خطير وخطب عظيم من غير تحقق ووثوق ببرهان، فيفتضح على رؤوس الأشهاد ويلقي نفسه إلى الهلاك، فكيف وقد انضم إليه معجزات كثيرة؟!»[(٢)].

**الثاني**: أنهم قد شهدوا بكمال عقله، حتى إنهم كانوا يلقبونه بـ(الصادق الأمين)، وكانوا يتحاكمون إليه عند الاختلاف كما في قصة بناء الكعبة، واختلافهم فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود في مكانه[(٣)]، فكيف يتهمونه بعد ذلك بالجنون؟!

**الثالث**: أنه ﷺ لكمال عقله - بعد تأييد الله له - استطاع سياسة العرب بعد أن كانوا كالوحوش الشاردة المتنافرة التي يأكل بعضها بعضًا، حتى انقادوا له والتفوا حوله، وقاتلوا عنه أهلهم وذويهم، واستطاع ﷺ أن يجعل من رعاة الإبل والغنم سادة للشعوب والأمم في مدة لا تتجاوز ربع قرن من الزمان، ومن المحال أن يفعل ذلك كله من يصفونه بالجنون.

**الرابع**: كيف يُنسب النبي ﷺ إلى الجنون وهو يأتيهم بحكمة وموعظة يعجز حكماء الجن والإنس عن الإتيان بمثلها، ومن المعلوم أن هذه الحكمة ليست من علم المجانين، ولا مما يمكن تحصيله في حال الجنون؛ لأن المجنون إذا أفاق من غشيته، تكلم بكلام لا يعبأ بمثله، ولا يكتَرثُ له[(٤)].

---

(١) تفسير القرطبي (١٤/ ٣١١-٣١٢).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٤/ ٢٥٠-٢٥١).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام (١/ ١٩٦-١٩٧).

(٤) انظر: تأويلات أهل السنة للماتريدي (١٠/ ١٣٥).

**الخامس:** قال سبحانه: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ٢٢ - ٢٧]، قال ابن كثير: «قوله: ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ أي: فأين تذهب عقولكم في تكذيبكم بهذا القرآن، مع ظهوره ووضوحه، وبيان كونه جاء من عند الله عز وجل، كما قال الصديق رضي الله عنه لوفد بني حنيفة حين قدموا مسلمين، وأمرهم فتلَوا عليه شيئًا من قرآن مسيلمة الذي هو في غاية الهذيان والركاكة، فقال: ويحكم!! أين يذهب بعقولكم؟! والله إن هذا الكلام لم يخرج من إلٍّ، أي: من إله»[١].

## ٣- شبهة الشعر:

زعم المشركون أن محمدًا صلى الله عليه وسلم شاعر، وأن ما جاء به من الوحي شعر، قال تعالى: ﴿بَلْ قَالُوٓا۟ أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍۭ بَلِ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِـَٔايَةٍ كَمَآ أُرْسِلَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾﴾ [الأنبياء: ٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾ [الحاقة: ٤١]، وقال جل وعلا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٦].

## الرد عليهم:

قال الله جل جلاله: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤١ - ٤٧]، **فتبين بطلان هذه الشبهة من وجهين:**

**الأول:** أن القرآن وحي من الله وليس بقول شاعر؛ لأن القرآن بنظمه وأسلوبه يباين جميع أنواع الشعر، قال القرطبي: «قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ﴾؛ لأنه مباين لصنوف الشعر كلها ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ﴾؛ لأنه ورد بسب

(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٠).

الشياطين وشتمهم، فلا ينزلون شيئًا على من يسبهم»(١).

**الثاني:** وهو رد على هذه الشبهة خصوصًا وعلى جميع الشبهات عمومًا، وهو أنه ﷺ لو تقول على الله لعاجله بالعقوبة، قال الإمام ابن كثير: «يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا﴾، أي: محمد ﷺ لو كان كما يزعمون مفتريًا علينا، فزاد في الرسالة أو نقص منها، أو قال شيئًا من عنده فنسبه إلينا، وليس كذلك، لعاجلناه بالعقوبة. ولهذا قال: ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ قيل: معناه لانتقمنا منه باليمين؛ لأنها أشد في البطش، وقيل: لأخذنا منه بيمينه. ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ قال ابن عباس: وهو نياط القلب، وهو العرق الذي القلب معلق فيه... وقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾، أي: فما يقدر أحد منكم على أن يحجز بيننا وبينه إذا أردنا به شيئًا من ذلك. والمعنى في هذا: بل هو صادق بار راشد؛ لأن الله عز وجل مقرر له ما يبلغه عنه، ومؤيد له بالمعجزات الباهرات والدلالات القاطعات»(٢).

**الثالث:** لو كان القرآن من جنس أشعارهم لاستطاعوا أن يأتوا بمثله، والحال أنهم عجزوا عن الإتيان بسورة من مثله، فثبت يقينًا أنه ليس من جنس كلامهم.

## ٤- شبهة التلقي عن السابقين:

من الشبه الباطلة التي افتراها المشركون: زعمهم تلقي النبي ﷺ عن السابقين من أهل الكتاب، قال سبحانه في حكاية هذه الشبهة: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا ۙ إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأنفال: ٣١]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ ۙ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [النحل: ٢٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾﴾ [الفرقان: ٤، ٥].

---

(١) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٧٥). (٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٢١٨).

### الرد عليهم:

**بَيَّن الله بطلان دعواهم تلقيه عن السابقين من وجوه عديدة، منها:**

**الأول:** قال الشوكاني: «أجاب سبحانه عن هذه الشبهة بقوله: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفرقان: ٦]، أي: ليس ذلك مما يُفترى ويفتعل بإعانة قوم وكتابة آخرين من الأحاديث الملفقة وأخبار الأولين، بل هو أمر سماوي أنزله الذي يعلم كل شيء لا يغيب عنه شيء من الأشياء، فلهذا عجزتم عن معارضته ولم تأتوا بسورة منه، وخص السر؛ للإشارة إلى انطواء ما أنزله سبحانه على أسرار بديعة لا تبلغ إليها عقول البشر، والسر: الغيب، أي: يعلم الغيب الكائن فيهما»(١).

**الثاني:** قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل: ١٠٣]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «قالوا: إنما يعلِّم محمدًا عبدُ بن الحضرمي وهو صاحب الكتب، فقال الله: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣]»(٢).

وقال الطبري: «يقول تعالى ذكره: ولقد نعلم أن هؤلاء المشركين يقولون جهلًا منهم: إنما يعلِّم محمدًا هذا الذي يتلوه بشر من بني آدم، وما هو من عند الله، يقول الله تعالى ذكره مكذبهم في قيلهم ذلك: ألا تعلمون كذب ما تقولون؟ إن لسان الذي تلحدون إليه، يقول: تميلون إليه بأنه يعلم محمدًا أعجمي، وذلك أنهم فيما ذكر كانوا يزعمون أن الذي يعلم محمدًا هذا القرآن عبد رومي، فلذلك قال تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ يقول: وهذا القرآن لسان عربي مبين»(٣).

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٧٢).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٩)، وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٣٦٤).

**الثالث:** لقد حوى القرآن العظيم من قصص السابقين ما لم يأتِ في كتاب آخر، «مثل ما أخبرهم عن قصة آدم، وسجود الملائكة له، وتزيين إبليس له حتى أكل من الشجرة، وهبط هو وزوجه، وأخبرهم عن قصة نوح ومكثه فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا، وهذا في التوراة الموجودة بأيدي أهل الكتاب، مقدار لبثه في قومه قبل الغرق وبعده، وأخبرهم عن قصة الخليل، وما جرى له مع قومه، وإلقائه في النار، وذبح ولده، ومجيء الملائكة إليه في صورة ضيفان، وتبشيره بإسحاق ويعقوب، وذَهَاب الملائكة إلى لوط، وما جرى للوط مع قومه، وإهلاك الله مدائن قوم لوط، وقصة إسرائيل مع بنيه؛ كقصة يوسف، وما جرى له بمصر، وقصة موسى مع فرعون، وتكليم الله إياه مرة بعد مرة، وآياته كالعصا، واليد البيضاء، والقمل، والضفادع، والدم، وفلق البحر، وتظليل الغمام على بني إسرائيل، وإطعامهم المن والسلوى، وانفجار الماء من الحجر اثنتي عشرة عينًا لسقيهم وعبادتهم العجل، وقتل بعضهم بعضًا لما تاب الله عليهم، وقصة البقرة، ونتق الجبل فوقهم، وقصة داود وقتله لجالوت، وقصة الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله: موتوا ثم أحياهم، وقصة الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه، وغير ذلك من أحوال بني إسرائيل. إلى أن ذكر قصة زكريا وابنه يحيى، وعيسى ابن مريم، وأحوال المسيح وآياته، ودعائه لقومه، والآيات التي بعث بها، وتفاصيل ذلك، وذكر قصة أصحاب الكهف، وقصة ذي القرنين، وغير ذلك من قصص الأنبياء والصالحين والكفار مفصلة مبينة بأحسن بيان وأتم معرفة، مع علم قومه الذين يعرفون أحواله من صغره إلى أن ادعى النبوة: أنه لم يتعلم هذا من بشر، بل لم يجتمع هو بأحد من البشر يعرف ذلك، ولا كان عندهم بمكة من يعرف ذلك، لا يهودي ولا نصراني، ولا غيرهم. فكان هذا من أعظم الآيات والبراهين لقومه بأن هذا إنما أعلمه به وأنبأه به الله، ومثل هذا الغيب لا يعلمه إلا نبي، أو من أخذ عن نبي، فإذا لم يكن هو أخذه عن

نبي، تعين أن يكون نبيًّا»[(١)].

**الرابع:** ما كان رسول الله ﷺ ولا قومه يعلمون بخبر الأمم السابقة من قبل، قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَٱصْبِرْ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [هود: ٤٩]، قال الرازي: «والمعنى: إنك ما كنت تعرف هذه القصة، بل قومك ما كانوا يعرفونها أيضًا، ونظيره أن تقول لإنسان: لا تعرف هذه المسألة لا أنت ولا أهل بلدك. **فإن قيل:** أليس قد كانت قصة طوفان نوح عليه السلام مشهورة عند أهل العلم؟ **قلنا:** تلك القصة بحسب الإجمال كانت مشهورة، أما التفاصيل المذكورة فما كانت معلومة»[(٢)].

**الخامس:** أن القرآن الكريم قد ذم اليهود والنصارى وأبطل دينهم وبين تحريفهم لكتبهم، وخالف النبي ﷺ كثيرًا من أحكامهم وشرائعهم حتى صارت مخالفتهم أصلًا في الشريعة، فكيف يقال بأن القرآن مأخوذ عنهم؟!

**ومما يبطل هذه الشبهات المتقدمة كلها:** اعتراف المشركين ببطلانها وبراءة النبي ﷺ منها جميعًا، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قام النضر بن الحارث بن كِلْدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي فقال: يا معشر قريش! إنه والله لقد نزل بكم أمر ما ابتليتم بمثله، لقد كان محمد فيكم غلامًا حدثًا أرضاكم فيكم، وأصدقكم حديثًا، وأعظمكم أمانة، حتى إذا رأيتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم قلتم: ساحر! لا والله ما هو بساحر، قد رأينا السحرة ونفثهم وعقدهم، وقلتم: كاهن! لا والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهنة وحالهم وسمعنا سجعهم، وقلتم: شاعر! لا والله ما هو بشاعر، لقد رأينا الشعر وسمعنا أصنافه كلها هزجه ورجزه وقريضه، وقلتم: مجنون! ولا والله ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون فما هو بخنقه ولا وسوسته ولا تخليطه، يا معشر قريش، انظروا في شأنكم، فإنه والله لقد نزل بكم أمر عظيم، وكان النضر من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله ﷺ وينصب له

---

(١) الجواب الصحيح (٥/ ٣٢٣-٣٢٥). (٢) تفسير الرازي (١٨/ ٣٦١).

العداوة[١].

## ۞ ثانيًا: شبهات المستشرقين:

### ١- شبهة السحر:

يقول المستشرق مرجليوث: إن «الباعث على بعثة الرسول إنما هي أعمال الشعوذة، لقد عرف محمد خدع الحواة[٢]، وحيل الروحانيين، ومارسها في دقة وفي لباقة، وقد كان يعقد في دار الأرقم جلسات روحانية»[٣].

هذه الشبهة من هذا المستشرق وأمثاله هي محاكاة وتقليد لأهل الجاهلية الأولى من المشركين، وقد سبق بيان بطلانها.

### ٢- شبهة التلقي عن ورقة بن نوفل:

يقول مونتجمري وات: «من الأسهل أن نفترض أن محمدًا كان على صلة متتابعة بورقة بن نوفل منذ فترة مبكرة سابقة على الوحي، والأفكار الإسلامية اللاحقة قد تكون اختلطت إلى حد كبير بأفكار ورقة»[٤].

### والرد على هذه الشبهة من وجوه:

**الأول:** أن لقاء ورقة بالنبي ﷺ لم يكن فيه أي تلقٍّ ولا تعليم، ففي «الصحيحين» أن خديجة رضي الله عنها لما رجع النبي ﷺ من غار حراء، ذهبت به إلى ورقة ليستفسر منه عن حقيقة ما رأى، جاء في الحديث: «... فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى ابن عم خديجة، وكان امرأ تنصَّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٢٠١-٢٠٢).

(٢) جمع حاوٍ، وهو الذي يرقي الحيات ويجمعها، والرجل الذي يقوم بأعمال غريبة تشبه السحر. انظر: المعجم الوسيط (١/ ٢١٠).

(٣) مقدمة كتاب محمد رسول الله، إيتيين دينيه (ص٤٦)، د. عبد الحليم محمود.

(٤) محمد في مكة، مونتجمري وات (ص١٢٠)، ترجمة: عبد الرحمن عبد الله الشيخ (نسخة إلكترونية).

الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخًا كبيرًا قد عمي، فقالت له خديجة: يا بن عم، اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا بن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى، فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نَزَّل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعًا، ليتني أكون حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ: «**أومخرجيَّ هم**»، قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركْني يومك أنصرْك نصرًا مؤزرًا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي»[(١)].

**الثاني:** «قد استقصى المحدِّثون والمؤرخون كل ما عرف عن ورقة هذا مما صح سنده، ومما لم يصح له سند؛ كدأبهم فى كل ما له علاقة بالنبي ﷺ والإسلام، فلم يذكر أحد منهم أنه عرف عنه دعوة إلى النصرانية أو كتابة فيها»[(٢)].

**الثالث:** «دلت النصوص على عدم وجود صلة سابقة بين محمد ﷺ وورقة ابن نوفل، حتى إن فكرة الاتصال بورقة لم تطرأ على بال الرسول الكريم سعيًا لإزالة الإشكال عن نفسه، بل كانت الفكرة من اقتراح خديجة رضي الله عنها»[(٣)].

**الرابع:** لم يحدث لقاء النبي ﷺ بورقة سوى مرة واحدة، ولم يلبث ورقة أن تُوفي بعد هذا اللقاء بقليل، قال الحافظ ابن حجر: «قوله: (ولم ينشب ورقة أن توفي)، أي: قبل أن يشتهر الإسلام، ويؤمر النبي ﷺ بالجهاد»[(٤)].

### ٢- شبهة التلقي عن بحيرا الراهب:

وممن افترى هذه الدعوى من المستشرقين درمنغام[(٥)].

(١) أخرجه البخاري (ح٣)، ومسلم (ح١٦٠).
(٢) الوحي المحمدي (ص٦٥).
(٣) وحي الله حقائقه وخصائصه (ص١٤٦).
(٤) الإصابة في تمييز الصحابة (٦/ ٤٧٦).
(٥) انظر: الوحي المحمدي (ص٦٨).

### والرد على هذه الشبهة من وجوه:

١- يقول الشيخ محمد رشيد رضا في الرد على هذا الافتراء: إن «كل ما عرفه المسلمون من رواة السيرة النبوية: أن النبي ﷺ لما خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام وهو ابن تسع سنين، وقيل: ١٢ سنة، رآه هذا الراهب مع قريش ورأى سحابة تظلله من الشمس، وذكر لعمه أنه سيكون له شأن، وحذره من اليهود، وفى المسألة روايات بمعناها ضعيفة الأسانيد... وليس في شيء من تلك الروايات أنه ﷺ سمع من بحيرا شيئًا من عقيدته أو دينه»[(١)].

٢- إن «محمدًا ﷺ لم يذهب مع عمِّه إلى التجارة في الشام إلا وهو طفل -كما تقدم- وقد أعاده إلى مكة قبل إتمام رحلته، ثم سافر إليها فى تجارة خديجة وهو شاب مرة واحدة، ولم يتجاوز سوق مدينة بصرى في المرتين، والقوافل التي تذهب إلى الشام لم تكن تمر بمدين وهي في أرض سيناء، ولم تكن هذه القوافل تضيِّع شيئًا من وقتها للبحث مع العرب أو الأعراب في طريقها عن أنبائها والتاريخ القديم لبلادها، ولم يعرف عن تجارها أنهم كانوا يعنون بلقاء أحبار النصارى ومباحثتهم في دينهم وكتبهم، فمن أين جاء لدرمنغام أن محمدًا ﷺ هو الذي كان يشتغل في تلك التجارة بالبحث عن الأمم والتواريخ والكتب والأديان، ويعنى بلقاء رؤسائها والبحث معهم كما يفعل رواد العلم والتاريخ، وجواسيس السياسة من الإفرنج في هذا العصر، إنما اخترع هذا؛ لأنه لا يستطيع تعليل ما جاء في القرآن من قصص الرسل إلا به»[(٢)].

### ٣- شبهة الحالة النفسية للرسول ﷺ:

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: «زعم درمنغام أن ما ذكره من تغلغل النصرانية فى بلاد العرب أوجد فيها حالة نفسية أدت إلى زيادة إمعانهم فيما

(١) الوحي المحمدي (ص٦٥).

(٢) الوحي المحمدي (ص٦٨-٦٩)، وانظر: النبأ العظيم، لمحمد دراز (ص٨٦-٨٧).

كانوا يسمونه في الجاهلية التحنث أو التحنف[(١)]، وزعمه هذا له أصل، ولكنه زاد فيه وكبره وفرع عليه قوله: «وكان محمد يجد في التحنث طمأنينة لنفسه أن كان له بالوحدة شغف، وأن كان يجد فيها الوسيلة إلى ما برح شوقه يشتد إليه من نشدان المعرفة، واستلهام ما في الكون من أسبابها، فكان ينقطع كل رمضان طول الشهر في غار حراء بجبل أبي قبيس مكتفيًا بالقليل من الزاد يحمل إليه، ليمضي أيامًا طويلة بالغار في التأمل والعبادة، بعيدًا عن ضجة الناس وضوضاء الحياة»[(٢)]. وأقول: إن روايات المحدثين تفيد أنه حُبِّب إليه الخلاء والوَحْدة والتحنُّث في غار حراء في العام الذي جاءه فيه الوحي، وكان هو يحمل الزاد، وما كان أحد يحمله إليه، وما ذكره ابن إسحاق من تعبده فيه في شهر رمضان كل سنة إنما كان في زمن فترة الوحي... ولم يكن في أعوام ولا شهور قبله. وأما قوله: «إنه كان يتوسل بذلك إلى ما اشتد شوقه إليه من المعرفة وابتغاء الإلهام مما في الكون من أسبابها»، فهو مما يخطر في بال الباحث في حياة رجل صدر عنه عقب هذه الخلوة ما صدر من علم ومعرفة وإصلاح، وإرشاد إلى النظر والتفكير في آيات السموات والأرض، ولكن لم يُرْو عنه ﷺ أنه كان يقصد ذلك ويبتغيه، ولا رُوي عن أصحابه وأترابه الذين كانوا يعرفون سيرته الطاهرة وآمنوا به كأبي بكر وعثمان وعميه حمزة والعباس، ولا عن ربيبه وصفيه وابن عمه علي، ولا حبه ومولاه زيد بن حارثة رضي الله عنهم»[(٣)].

ويقول الشيخ محمد دراز: «فلينظر العاقل: هل كان هذا النبي الأمي -صلوات الله عليه- أهلًا بمقتضى وسائله العلمية؛ لأن تجيش نفسه بتلك المعاني القرآنية؟! سيقول الجهلاء من الملحدين: نعم؛ فقد كان له من ذكائه

(١) انظر: العقيدة والشريعة في الإسلام، جولدتسيهر (ص٢١)، موجز دائرة المعارف الإسلامية (٢٩/ ٩١١٥).

(٢) انظر: الشخصية المحمدية السيرة والمسيرة، إميل درمنغام (ص٧١)، ترجمة: عادل زعيتر.

(٣) الوحي المحمدي (ص٧٢).

الفطري وبصيرته النافذة ما يؤهله لإدراك الحق والباطل من الآراء، والحسن والقبيح من الأخلاق، والخير والشر من الأفعال، حتى لو أن شيئًا في السماء تناله الفراسة أو تلهمه الفطرة أو توحي به الفكرة، لتناوله محمد بفطرته السليمة وعقله الكامل وتأملاته الصادقة.

ونحن قد نؤمن بأكثر مما وصفوا من شمائله، ولكننا نسأل: هل كل ما في القرآن مما يستنبطه العقل والتفكير، ومما يدركه الوجدان والشعور؟ اللهم كلا، ففي القرآن جانب كبير من المعاني النقلية البحتة التي لا مجال فيه للذكاء والاستنباط، ولا سبيل إلى علمها لمن غاب عنها إلا بالدراسة والتلقي والتعلم. ماذا يقولون فيما قصه علينا القرآن من أنباء ما قد سبق، وما فصله من تلك الأنباء على وجهه الصحيح كما وقع؟ أيقولون: إن التاريخ يمكن وضعه أيضًا بإعمال الفكر ودقة الفراسة؟ أم يخرجون إلى المكابرة العظمى فيقولون: إن محمدًا قد عاصر تلك الأمم الخالية، وتنقل فيها قرنًا، فشهد هذه الوقائع مع أهلها شهادة عيان، أو أنه ورث كتب الأولين وعكف على دراستها حتى أصبح من الراسخين في علم دقائقها؟! إنهم لا يسعهم أن يقولوا هذا ولا ذاك؛ لأنهم معترفون مع العالم كله بأنه عليه السلام لم يكن من أولئك ولا من هؤلاء»[(١)].



(١) النبأ العظيم (ص٦٥).



# المبحث الرابع عشر

## معنى شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ

**تتضمن شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ ما يلي:**

**أولًا:** طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع، كما قال سبحانه: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التغابن: ٨]، وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

**ثانيًا:** الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

**ثالثًا:** الإيمان بأن هديه أكمل هدي، وشريعته أكمل شريعة، قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٥٠]، وقال سبحانه: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

**رابعًا:** الاقتداء به ﷺ، فهو المثل الأعلى، والقدوة الكبرى والأسوة الحسنة في حياة المسلمين على مستوى الأفراد والأسر، والمجتمعات والدول، قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١]، ومعنى (أسوة)؛ أي: قدوة يقتدى بها،

ويتأسى بهديه وشمائله.

**خامسًا:** محبته ﷺ أعظم من محبة النفس والولد والوالدين والناس أجمعين، وأصل محبته وحقيقتها اتباعه ﷺ، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده، ووالده، والناس أجمعين**»(١).

**سادسًا:** توقيره وتعظيمه التعظيم اللائق به، من غير غلو ولا تقصير، فلا يرفع إلى مقام الألوهية، ولا يقصر في حقوقه الشرعية، كما قال تعالى: ﴿لِّتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾﴾ [الفتح: ٩]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾﴾ [الحجرات: ١]، وقال سبحانه: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ﴾ [النور: ٦٣].

قال شيخنا ابن عثيمين: «وتوقيره ﷺ في حياته: توقير سنته وشخصه الكريم، وتوقيره بعد مماته توقير سنته وشرعه القويم»(٢).

**سابعًا:** الصلاة والسلام عليه ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ۚ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: ٥٦].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**من صلى عليَّ واحدة، صلى الله عليه عشرًا**»(٣).

**ثامنًا:** الدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان، بحسب ما تتطلبه الحال؛ فإذا كان العدو يهاجم بالحجج والشبه، فمدافعته بالعلم ودحض حججه وشبهه وبيان فسادها، وإن كان يهاجم بالسلاح والمدافع فمدافعته بمثل ذلك(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٤٤).

(٢) حقوق دعت إليها الفطرة (ص١٣).

(٣) أخرجه مسلم (ح٤٠٨).

(٤) انظر: حقوق دعت إليها الفطرة (ص١٤).



# المبحث الخامس عشر

## خصائص رسالة نبينا محمد ﷺ

**جاء في نصوص الكتاب والسنة بيان جملة من خصائص رسالة نبينا ﷺ، ومن أهمها ما يلي:**

### ١- عمومها:

فقد كان الأنبياء السابقون يبعثون إلى قومهم خاصة، أما نبينا ﷺ فرسالته إلى الناس عامة، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]، وغيرها من الآيات.

وقال ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا؛ فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم، ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة**»[1]، وقال ﷺ: «**لا يسمع بي رجل من هذه الأمة، يهودي ولا نصراني، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**»[2].

(١) أخرجه البخاري (ح٣٣٥)، ومسلم (ح٥٢١).
(٢) أخرجه مسلم (ح١٥٣).

قال ابن أبي العز الحنفي: «وكونه ﷺ مبعوثًا إلى الناس كافة معلوم من دين الإسلام بالضرورة، وأما قول بعض النصارى: إنه رسول إلى العرب خاصة، فظاهر البطلان؛ فإنهم لما صدَّقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به، وقد قال: إنه رسول الله إلى الناس عامة، والرسول لا يكذب، فلزم تصديقه حتمًا، فقد أرسل رسله، وبعث كتبه في أقطار الأرض، إلى كسرى وقيصر، والنجاشي، والمقوقس، وسائر ملوك الأطراف، يدعو إلى الإسلام»(١).

### ٢- نسخها لجميع الرسالات قبلها:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار**»(٢).

### ٣- كمالها:

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

### ٤- خاتمة الرسالات:

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

### ٥- يسرها:

تميزت الرسالة المحمدية باليسر والسهولة في التشريعات والأحكام، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية (١/ ١٧٠). (٢) أخرجه مسلم (ح١٥٣).

عن النبي ﷺ قال: «**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا**»(١).

### ٦- حفظ الله لكتابها:

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر: ٩]، بينما استحفظ الله ما سبقه من الكتب إلى من أنزلت عليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ﴾ [المائدة: ٤٤].

### ٧- استمرار معجزتها إلى يوم القيامة:

لقد كانت معجزات الأنبياء السابقين معجزات مادية انتهت بموتهم ولم يبقَ منها إلا الخبر عنها، أما معجزة الرسالة المحمدية وهي القرآن الكريم فهي آية باقية، وحجة قائمة، لا تنقضي عجائبه، ولا يحاط بوجوه إعجازه.

### ٨- ومن خصائص هذه الرسالة أن الله تعالى خص نبيها محمدًا ﷺ بخصائص لا تحصى، منها ما يلي:

#### ١- أنه صاحب المقام المحمود:

وهو شفاعته في أهل الموقف، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال أكثر أهل العلم: ذلك هو المقام الذي هو يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدّة ذلك اليوم، وهو أصح الأقوال في تفسير المقام المحمود(٢)(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثًا (أي:

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري (١٧/ ٥٢٦)، تفسير القرطبي (١٠/ ٣٠٩).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (٦/ ١٧٦٦).

جماعات)، كل أمة تتبع نبيها يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود(١).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في آخر حديث الشفاعة، أنه تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩]، قال: وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم ﷺ(٢).

## ۞ ٢- تفضيل أمته على سائر الأمم:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، ومعلوم أن تفضيل أمته يقتضي تفضيله من باب أولى.

## ۞ ٣- سبق أمته الأممَ في دخول الجنة:

لعموم قوله ﷺ: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة**»(٣).

## ۞ ٤- أنه صاحب لواء الحمد:

لحديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذٍ؛ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي...**» الحديث(٤).

وفي حديث آخر، قال ﷺ: «**... ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر**»(٥).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «لواء الحمد بيد النبي ﷺ يوم القيامة صورة ومعنى، إشارة إلى سيادته لجميع الخلائق، فيكون الخلق تحت لوائه... وهو الذي يتقدم للشفاعة، فيحمد ربه بمحامد لا يحمده بها غيره، وهو محمد وأحمد، وأمته الحمَّادون الذين يحمدون على السراء والضراء، وهو أول من

(١) أخرجه البخاري (ح٤٧١٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤٣٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢٣٨)، ومسلم (ح٨٥٥).
(٤) أخرجه الترمذي (ح٣١٤٨) وحسنه.
(٥) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح١٠٩٨٧)، وابن ماجه في السنن (ح٤٣٠٨) بسند صحيح.

يدعى إلى الجنة فلا تفتح لأحد قبل صاحب لواء الحمد ﷺ»[(١)].

### ۞ ٥- أنه إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم:

لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غيرَ فَخْرٍ**»[(٢)].

قال المناوي: «لما كان ﷺ أفضلَ الأولين والآخرين كان إمامَهم فهم به مقتدون، وتحت لوائه داخلون، (وخطيبَهم) بما يفتح الله عليه من المحامد التي لم يحمده بها أحد قبله، فهو المتكلم بين الناس إذا سكتوا عن الاعتذار، فيعتذر لهم عند ربهم، فيطلق اللسان بالثناء على الله بما هو أهله، ولم يؤذن لأحد في التكلم غيره، (وصاحب شفاعتهم)؛ أي: الشفاعة العامة بينهم، أو صاحب الشفاعة لهم»[(٣)].

### ۞ ٦- أن له الوسيلة:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا عليَّ، فإنه من صلى عليَّ صلاة؛ صلى الله عليه بها عشرًا، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة**»[(٤)].

### ۞ ٧- أنه أُعطي مفاتيح خزائن الأرض:

عن عقبة بن عامر رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**... وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض؛ أو مفاتيح الأرض**»[(٥)].

---

(١) مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية، اختصرها بدر الدين البعلي (ص٥٧٩)، انظر: شرح المشكاة، للطيبي (ص٣٦٤٦)، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، للقرطبي (٣/ ٥٢٠).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح٢١٢٤٥)، والترمذي في السنن (ح٣٦١٣) وحسنه، وابن ماجه في سننه (ح٤٣١٤).

(٣) فيض القدير، للمناوي (١/ ٤٢٧).

(٤) أخرجه مسلم (ح٣٨٤).

(٥) أخرجه البخاري (ح١٣٤٤)، ومسلم (ح٢٢٩٦).

قال القاضي عياض: «يتأول على سلطانها وملكها، وفتح بلادها، وخزائن أموالها، كما كان بحمد الله»[(١)].

وقال الإمام النووي: «هذا من أعلام النبوة؛ فإنه إخبار بفتح هذه البلاد لأمته ووقع كما أخبر ﷺ، ولله الحمد والمنة»[(٢)].

### ۞ ٨- أنه اختبأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لكل نبي دعوة مستجابة يدعو بها**، - زاد مسلم: **فتعجل كل نبي دعوته**- **وأريد أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي في الآخرة**»[(٣)].

### ۞ ٩- أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنه لم يكن نبي إلا له دعوة قد تنجزها في الدنيا، وإني قد اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي، وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة، ولا فخر، وأنا أول من تنشق عنه الأرض، ولا فخر...**» الحديث[(٤)].

### ۞ ١٠- أنه أول شافع وأول مشفع:

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا أول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع، وأول مشفع ولا فخر، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة ولا فخر**»[(٥)].

### ۞ ١١- أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر:

قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢].

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم، للقاضي عياض (٧/ ٢٣٤).
(٢) شرح النووي على مسلم (٥/ ٥).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٣٠٤)، ومسلم (ح١٩٩).
(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح٢٥٤٦) وإسناده صحيح.
(٥) سبق تخريجه.

قال الحافظ ابن كثير: «هذا من خصائصه -صلوات الله وسلامه عليه- التي لا يشاركه فيها غيره، وليس في حديث صحيح في ثواب الأعمال لغيره (غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر)، وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله ﷺ، وهو -صلوات الله وسلامه عليه- في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة»(١).

## ۞ ١٢- أن الله أعطاه الكوثر:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١﴾ [الكوثر: ١].

وعن أنس رضي الله عنه، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة، ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**أنزلت عليَّ آنفًا سورة**»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر]، ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم...**» الحديث(٢).



(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٨).
(٢) أخرجه مسلم (ح٤٠٠).



# المبحث السادس عشر

## ختم النبوة

ختم الله جل وعلا بنبوة نبينا محمد ﷺ النبوات، وأكمل به الرسالات، فهو خاتم الأنبياء لا نبي بعده، وكل من ادعى النبوة بعده فهو كذاب أفاك دجَّال، ومن سنن الله سبحانه أن كل من ادعى النبوة بعده تجري على يديه من الأقوال والأعمال التي تفضحه وتبين كذبه، كما أن من سنته سبحانه ألا يؤيده وينصره ولا يبقي ذكره فتخلد دعوته؛ ولذلك لم يبقَ من دعوات المتنبئين الذين ظهروا على مدار التاريخ مع كثرتهم أحد، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «ولهذا قد يمكِّن الله كثيرًا من الملوك الظالمين مدة، وأما المتنبئون الكذابون فلا يطيل تمكينهم، بل لا بد أن يهلكهم؛ لأن فسادهم عام في الدين والدنيا والآخرة»(١).

وقد دل على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ الكتاب والسنة والإجماع.

**أما الكتاب** فقد قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، قال الإمام ابن كثير: «فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده، وإذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بطريق الأولى والأحرى؛ لأن

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥١٨).

مقام الرسالة أخص من مقام النبوة، فإن كل رسول نبي، ولا ينعكس، وبذلك وردت الأحاديث المتواترة عن رسول الله ﷺ من حديث جماعة من الصحابة»[(١)]، ثم قال: «فمن رحمة الله تعالى بالعباد: إرسال محمد -صلوات الله وسلامه عليه- إليهم، ثم من تشريفه لهم ختم الأنبياء والمرسلين به، وإكمال الدين الحنيف له، وقد أخبر تعالى في كتابه ورسوله في السنة المتواترة عنه: أنه لا نبي بعده؛ ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال ضالٌّ مضل، ولو تخرق وشعبذ، وأتى بأنواع السحر والطلاسم والنيرجيات، فكلها محال وضلال عند أولي الألباب، كما أجرى الله سبحانه وتعالى على يد الأسود العنسي باليمن، ومسيلمة الكذاب باليمامة، من الأحوال الفاسدة والأقوال الباردة، ما علم كل ذي لب وفهم وحِجًا أنهما كاذبان ضالان -لعنهما الله- وكذلك كل مدع لذلك إلى يوم القيامة حتى يختموا بالمسيح الدجال، فكل واحد من هؤلاء الكذابين يخلق الله معه من الأمور ما يشهد العلماء والمؤمنون بكذب من جاء بها»[(٢)].

وقال القاسمي: «وإنما ختمت النبوة به؛ لأنه شرع له من الشرائع ما ينطبق على مصالح الناس في كل زمان وكل مكان؛ لأن القرآن الكريم لم يدع أمًّا من أمهات المصالح إلا جلَّاها، ولا مكرمة من أصول الفضائل إلا أحياها، فتمت الرسالات برسالته إلى الناس أجمعين، وظهر مصداق ذلك بخيبة كل من ادعى النبوة بعده، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين»[(٣)].

وقال الزمخشري: «فإن قلت: كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان؟ قلت: معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا يَنَبَّأ أحد بعده، وعيسى ممن نُبِّئَ قبله، وحين ينزل ينزل عاملًا على شريعة محمد ﷺ، مصليًا إلى قبلته، كأنه

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٦/ ٤٣٠-٤٣١).

(٣) محاسن التأويل (٨/ ٨٠).

بعض أمَّته»[(١)].

**وأما السنة** فقد تواترت الأحاديث عنه ﷺ أنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده، قال عبد القاهر البغدادي: «وقد تواترت الأخبار عنه بقول: (لا نبي بعدي)، ومن رد حجة القرآن والسنة فهو الكافر»[(٢)]، وقال ابن حزم: «وقد صح عن رسول الله ﷺ بنقل الكواف التي نقلت نبوته وأعلامه وكتابه أنه أخبر أنه لا نبي بعده»[(٣)].

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**فُضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحِلَّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون**»[(٤)].

وعن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خلَّف رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في غزوة تبوك فقال: يا رسول الله تخلفني في النساء والصبيان؟ فقال: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبي بعدي**»[(٥)]، وهو حديث متواتر[(٦)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتًا فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلَّا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين**»[(٧)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ، قال: «**كانت بنو إسرائيل تسوسهم**

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (٣/ ٥٤٤-٥٤٥).
(٢) أصول الدين (ص١٦٣).
(٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٦٧-٦٨).
(٤) أخرجه مسلم (ح٥٢٣).
(٥) أخرجه مسلم (ح٢٤٠٤).
(٦) انظر: قطف الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة، للسيوطي (ص٢٨١).
(٧) أخرجه البخاري (ح٣٥٣٥)، ومسلم (ح٢٢٨٦).

**الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي»**[(١)].

وقد أجمع المسلمون على أن نبينا محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، ومن أنكر ذلك فهو كافر، ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب، وقد نقل ابن حزم الإجماع على «أنه لا نبي مع محمد ﷺ ولا بعده أبدًا»[(٢)]، وقال الغزالي: «إن الأمة فهمت بالإجماع من هذا اللفظ [يعني قوله ﷺ: «**لا نبي بعدي**»] ومن قرائن أحواله أنه أفهم عدم نبي بعده أبدًا، وعدم رسول لله أبدًا، وأنه ليس فيه تأويل ولا تخصيص، فمنكر هذا لا يكون إلا منكر الإجماع»[(٣)].

وقال القاضي عياض: «من ادعى نبوة أحد مع نبينا ﷺ أو بعده؛ كالعيسوية من اليهود القائلين بتخصيص رسالته إلى العرب، وكالخرَّمية القائلين بتواتر الرسل، وكأكثر الرافضة القائلين بمشاركة عليٍّ رضي الله عنه في الرسالة للنبي ﷺ وبعده، فكذلك كل إمام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة، وكالبزيغية والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيغ وبيان وأشباه هؤلاء، أو من ادعى النبوة لنفسه، أو جوَّز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب إلى مرتبتها كالفلاسفة وغلاة المتصوفة، وكذلك من ادعى منهم أنه يوحى إليه وإن لم يدَّع النبوة، أو أنه يصعد إلى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين، فهؤلاء كلهم كفار مكذبون للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر أنه خاتم النبيين لا نبي بعده، وأخبر عن الله تعالى أنه خاتم النبيين، وأنه أرسل كافة للناس، وأجمعت الأمة على حمل هذا الكلام على ظاهره، وأن مفهومه المراد به دون تأويل ولا تخصيص، فلا شك في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعًا إجماعًا وسمعًا»[(٤)].

وقال الإمام ابن أبي العز: «لما ثبت أنه خاتم النبيين، علم أن من ادعى بعده النبوة فهو كاذب، ولا يقال: فلو جاء المدعي للنبوة بالمعجزات الخارقة

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤٥٥)، ومسلم (ح١٨٤٢).
(٢) مراتب الإجماع (ص١٧٣).
(٣) الاقتصاد في الاعتقاد (ص١٣٧).
(٤) الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢/ ٢٨٥-٢٨٦).

والبراهين الصادقة كيف يقال بتكذيبه؟ لأنَّا نقول: هذا لا يتصور أن يوجد، وهو من باب فرض المحال؛ لأن الله تعالى لما أخبر أنه خاتم النبيين، فمن المحال أن يأتي مدعٍ يدعي النبوة، ولا يظهر أمارة كذبه في دعواه»[(١)].

وقال الآلوسي: «وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السُّنَّة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه، ويقتل إن أصرَّ»[(٢)].



(١) شرح الطحاوية (١/ ١٦٧).
(٢) روح المعاني (١١/ ٢١٩-٢٢٠).



# المبحث السابع عشر

## الإسراء والمعراج

### تعريفهما، والأدلة عليهما، ودلالتهما

### ۞ أولًا: تعريفهما:

**الإسراء لغة:** السير ليلًا[(١)]، والمراد به: انتقال النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى.

**والمعراج لغة:** آلة الصعود، وكل شيء عرجتَ فيه، فصعدتَ من سفل إلى علو فهو معراج[(٢)]، والمقصود به: صعود الرسول ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، «لكن لا نعلم كيف هو، وحكمه كحكم غيره من المغيبات، نؤمن به ولا نشتغل بكيفيته»[(٣)].

### ۞ ثانيًا: الأدلة عليهما:

قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ

(١) انظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٥٢)، لسان العرب (١٤/ ٣٧٧)، فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٩٩)، الروض الأنف للسهيلي (٣/ ٢٥٢).

(٢) انظر: جمهرة اللغة (٣/ ١٢٤١)، النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٠٣)، شرح الطحاوية (١/ ٢٧٠).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٧٠).

ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ [الإسراء: ١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٣ - ١٨].

وجاء في حديث الإسراء: «أنه ﷺ أسري بجسده في اليقظة، على الصحيح، من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، راكبًا على البراق صحبة جبريل عليه السلام، فنزل هناك، صلى بالأنبياء إمامًا، وربط البراق بحلقة باب المسجد. وقد قيل: إنه نزل بيت لحم وصلى فيه، ولا يصح عنه ذلك البتة، ثم عرج به من بيت المقدس تلك الليلة إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل، ففتح لهما، فرأى هناك آدم أبا البشر، فسلم عليه، فرحب به ورد عليه السلام، وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الثانية. فاستفتح له، فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم، فلقيهما، فسلم عليهما، فردَّا عليه السلام، ورحبا به، وأقرا بنبوته ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى فيها يوسف، فسلم عليه فرد عليه السلام ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى فيها إدريس، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأى فيها هارون بن عمران، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقي فيها موسى فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته... ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي فيها إبراهيم، فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ثم رفع له البيت المعمور، ثم عرج به إلى الجبار، جل جلاله وتقدست أسماؤه، فدنا منه حتى كان قاب قوسين أو أدنى، فأوحى إلى عبده ما أوحى، وفرض عليه خمسين صلاة، فرجع حتى مر على موسى، فقال: بِمَ أمرت؟ قال؟ بخمسين صلاة، فقال: إن أمتك لا تطيق ذلك، ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فالتفت إلى جبرائيل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار أن نعم إن شئت، فعلا به جبريل حتى

أتى به إلى الجبار تبارك وتعالى وهو في مكانه»[١].

قال الحافظ ابن كثير: «قال الحافظ أبو الخطاب عمر بن دحية في كتابه «التنوير في مولد السراج المنير» حديث الإسراء أجمع عليه المسلمون، واعترض فيه الزنادقة الملحدون: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝٨﴾ [الصف: ٨]»[٢].

## ۞ ثالثًا: هل كان الإسراء بالروح أم بالجسد؟

**الصواب الذي تواردت به الأخبار، وقال به أكثر أهل العلم**، وهو الحق الذي لا ينبغي العدول عنه -كما قال الحافظ ابن حجر- أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد جميعًا، قال الإمام الطبري: «الصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله أسرى بعبده محمد ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، كما أخبر الله عباده، وكما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ»[٣].

وقال الإمام ابن القيم: «أُسْرِي بروحه وجسده إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى فوق السماوات بجسده وروحه إلى الله ﷻ، فخاطبه وفرض عليه الصلوات، وكان ذلك مرة واحدة، هذا أصح الأقوال»[٤].

وقال الحافظ ابن كثير: «الأكثرون من العلماء على أنه أُسْري ببدنه وروحه يقظة لا منامًا»[٥].

وقال الحافظ ابن حجر: «الإسراء والمعراج وقعا في ليلة واحدة في اليقظة بجسد النبي ﷺ وروحه بعد المبعث، وإلى هذا ذهب الجمهور من علماء المحدثين والفقهاء والمتكلمين وتواردت عليه ظواهر الأخبار الصحيحة، ولا

(١) شرح الطحاوية (١/ ٢٧٣-٢٧٥)، وانظر: صحيح البخاري (ح٣٨٨٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٥).
(٣) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٦).

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٩٧).

(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣).

ينبغي العدول عن ذلك؛ إذ ليس في العقل ما يحيله حتى يحتاج إلى تأويل»[(١)] .

**والدليل على أن الإسراء والمعراج كانا بروحه وجسده ما يلي:**

١- «أن الله إنما أخبر في كتابه أنه أسرى بعبده، ولم يخبرنا أنه أسرى بروح عبده، وليس جائزًا لأحد أن يتعدى ما قال الله إلى غيره»[(٢)]، و«العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد»[(٣)]، قال ابن أبي العز الحنفي: «ومما يدل على أن الإسراء بجسده في اليقظة، قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١]، والعبد عبارة عن مجموع الجسد والروح، كما أن الإنسان اسم لمجموع الجسد والروح، هذا هو المعروف عند الإطلاق، وهو الصحيح، فيكون الإسراء بهذا المجموع»[(٤)] .

٢- «لا معنى لقول من قال: أسرى بروحه دون جسده؛ لأن ذلك لو كان كذلك لم يكن في ذلك ما يوجب أن يكون ذلك دليلًا على نبوته، ولا حجة له على رسالته... إذ لم يكن منكرًا عندهم، ولا عند أحد من ذوي الفطرة الصحيحة من بني آدم أن يرى الرائي منهم في المنام ما على مسيرة سنة، فكيف ما هو على مسيرة شهر أو أقل؟»[(٥)] .

٣- قوله ﷻ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]، «فالتسبيح إنما يكون عند الأمور العظام، ولو كان منامًا لم يكن فيه كبير شيء ولم يكن مستعظمًا، ولما بادرت كفار قريش إلى تكذيبه، ولما ارتد جماعة ممن كان قد أسلم»[(٦)] .

٤- أن وقوع الإسراء والمعراج بالروح والجسد معًا «لا يمتنع ذلك عقلًا، ولو جاز استبعاد صعود البشر لجاز استبعاد نزول الملائكة، وذلك يؤدي إلى إنكار النبوة وهو كفر»[(٧)] .

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٧/ ١٩٧).

(٢) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٧).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤).

(٤) شرح الطحاوية (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٥) تفسير الطبري (١٤/ ٤٤٦-٤٤٧).

(٦) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٣-٤٤).

(٧) شرح الطحاوية (١/ ٢٧٧).

٥- قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]، «أي: اختبارًا وامتحانًا»[١]، وذلك لا يكون إلا إذا كانت بالروح والجسد؛ لأنه ليس في إسراء الروح فقط فتنة ولا غرابة؛ ولذلك كذب بها المشركون حين سمعوها، فقد كانوا يقطعون هذه المسافة على ظهور الإبل أيامًا عديدة.

٦- قال تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧]، «والبصر من آلات الذات لا الروح»[٢].

٧- «أنه ﷺ حُمِلَ على البراق، وهو دابة بيضاء برَّاقة لها لمعان، وإنما يكون هذا للبدن لا للروح؛ لأنها لا تحتاج في حركتها إلى مركب تركب عليه، والله أعلم»[٣].

واستدل القائلون بأن الإسراء كان بروحه دون جسده بقول عائشة رضي الله عنها: «ما فقد جسد رسول الله ﷺ، ولكن الله عز وجل أسرى بروحه»[٤].

وأجيب عن هذا الاستدلال بأنه لم يثبت عن عائشة، قال ابن عبد البر: «وإنكار عائشة رضي الله عنها الإسراء بجسده لا يصح عنها، ولا يثبت قولها: (ما فُقِدَ جسد رسول الله ﷺ ولكن أُسْرِي بروحه)، وقد قال بعضهم عنها: (ما فَقَدت جسدَ رسول الله ﷺ في تلك الليلة)، وهذا من الكذب الواضح؛ لأنَّ عائشة لم تكن وقت الإسراء معه، وإنما ضمَّها بعد ذلك بسنين كثيرة بالمدينة»[٥].

وقال محمد بن يوسف الصالحي: «وأما ما يعزى لعائشة رضي الله عنها، فلم يرد بسند يصلح للحجة، بل في سنده انقطاعٌ وراوٍ مجهول... وقال أبو الخطاب ابن دحية في التنوير: (إنه حديث موضوع عليها)، وقال في معراجه الصغير:

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٩٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٤).
(٣) المصدر السابق.
(٤) السير والمغازي، لابن إسحاق (ص٢٩٥).
(٥) الأجوبة عن المسائل المستغربة من كتاب البخاري (ص١٥٦-١٥٧).

(قال إمام الشافعية القاضي أبو العباس بن سريج: هذا حديث لا يصح، وإنما وضع ردًّا للحديث الصحيح). انتهى»[١].

## ۞ رابعًا: تاريخها:

شاع عند كثير من المسلمين أن ليلة الإسراء والمعراج كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا لا يصح البتة، فلم يدل عليه دليل ثابت، وقد اختلف أهل العلم في تحديد سنتها وشهرها ويومها على أقوال كثيرة[٢].

ونقل الإمام ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «لم يقم دليل معلوم لا على شهرها ولا على عُشرها ولا على عينها، بل النقول في ذلك منقطعة مختلفة ليس فيها ما يقطع به»[٣].

كما أنه لا يشرع تخصيص ليلة الإسراء والمعراج بعبادة، وقد نقل ابن القيم عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله: «لا يعرف عن أحد من المسلمين أنه جعل لليلة الإسراء فضيلة على غيرها، لا سيما على ليلة القدر، ولا كان الصحابة والتابعون لهم بإحسان يقصدون تخصيص ليلة الإسراء بأمر من الأمور ولا يذكرونها؛ ولهذا لا يعرف أي ليلة كانت، وإن كان الإسراء من أعظم فضائله ﷺ، ومع هذا فلم يشرع تخصيص ذلك الزمان ولا ذلك المكان بعبادة شرعية»[٤].

## ۞ خامسًا: دلالتهما:

١- الإسراء والمعراج آيتان من آيات الله جل وعلا الدالة على إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ؛ لما اشتملت عليه من الدلائل والآيات الخارقة للعادة

(١) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٣/ ٧٠)، وانظر: مقال (في الإسراء والمعراج)، للشيخ أحمد شاكر (مجلة المنار ٣٥/ ٧١٤).
(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٢٠٣)، ويراجع: سبل الهدى والرشاد (٣/ ٦٤).
(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥٨).
(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (١/ ٥٩).

والخارجة عن قدرة البشر.

**٢-** الحكمة في الإسراء إلى بيت المقدس أولًا قبل المعراج أن في ذلك إظهارًا لصدق دعوى الرسول ﷺ المعراجَ حين سألته قريش عن نعت بيت المقدس فنعته لهم وأخبرهم عن عيرهم التي مر عليها في طريقه، ولو كان عروجه إلى السماء من مكة لما حصل ذلك؛ إذ لا يمكن إطلاعهم على ما في السماء لو أخبرهم عنه، وقد اطلعوا على بيت المقدس، فأخبرهم بنعته[(١)].

**٣-** في إمامة رسول الله ﷺ لإخوانه الأنبياء إشارة إلى أن دينهم واحد، وهو ما دل عليه الكتاب والسنة، ومن لطائف ما ذكره ابن جرير الطبري أنه نزل على النبي ﷺ ليلة الإسراء في بيت المقدس قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزخرف: ٤٥][(٢)].



(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٧٦-٢٧٧).

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٦٠٥).



# المبحث الثامن عشر

## ثمرات الإيمان بالرسل

### ۞ للإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:

**أولًا**: تحقيق السعادة في الدنيا، التي هي مطلب كل إنسان، قال جل وعلا: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، فالسعادة متوقفة على الإيمان بما جاءت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من الهدى ودين الحق.

**ثانيًا**: تحقيق النجاة في الآخرة؛ لأن النجاة في الآخرة متوقفة على الإيمان بما جاء به الرسل من الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فقد جاءت النصوص بأنه لا يخلد في النار موحد، وأن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وأسعد الناس بشفاعته ﷺ من قال: لا إله إلا الله خالصًا من قلبه.

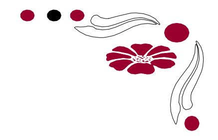
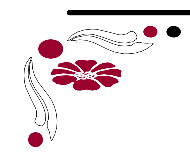
**ثالثًا**: التحرر من عبودية المخلوق، والخضوع والذل له بالإيمان بما جاء به الرسل من عبودية الله وحده لا شريك له، والكفر بما سواه، فيتحرر المخلوق بتحقيق العبودية لله من رق المخلوق وعبوديته والتحري لنفعه، والخوف من ضره، والنظر لمدحه وقدحه، وهذه قمة العزة والحرية، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩].

**رابعًا:** العلم برحمة الله تعالى بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله المستقيم، وعبادة الله وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

**خامسًا:** حمد الله وشكره على هذه النعمة الكبرى، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]، فبين أن إكمال الدين وإتمام الرسالة نعمة، وهي تستوجب الشكر والحمد باتباع ما جاء به الرسول ﷺ.

**سادسًا:** معرفة الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق الموصل إليه سبحانه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه، ومعرفة حال الناس وما يصيرون إليه بعد انتقالهم من هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء والخلود، وهو ما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر من الجنة والنار، وما قبل ذلك من الحساب والحوض، والميزان والصراط، وغيرها من أحوال اليوم الآخر، وهذه هي الأصول الثلاثة التي اتفقت عليها رسالات الرسل -عليهم الصلاة والسلام- وبها تتحقق هداية الناس وسعادتهم في الدنيا والآخرة.



## ملخص الفصل الثالث

❊ **النبي لغة:** مشتق من النبأ، وهو الخبر، وقيل: مشتق من النَّبْوة، **وأما شرعًا** فذهب جمهور المعتزلة إلى أنه لا فرق بين الرسول والنبي، والحق أن هناك فرقًا بين الرسول والنبي، وقد اختلف القائلون بالتفريق في معنى النبي والرسول وتحديد الفرق بينهما على أقوال، **منها:** **(١)** أن الرسول من أوحي إليه بشرع وأمر بتبليغه، والنبي من أوحي إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه، وهو قول الجمهور. **(٢)** أن الرسول من أوحي إليه بشرع جديد، والنبي من أوحي إليه بتجديد شرع من قبله. **(٣)** أن الرسول هو: النبي المرسل، والنبي هو: المحدَّث الذي لم يرسل. **(٤)** أن الرسول: الذي معه كتاب، والنبي: الذي ينبئ عن الله ﷻ وإن لم يكن معه كتاب، كيوشع. **(٥)** أن الرسول هو الذي يبعث لقوم كافرين، والنبي هو الذي يبعث إلى قوم مؤمنين، وهو أرجحها.

❊ **الوحي لغة:** الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجَّه إليه بحيث يخفى على غيره، **وشرعًا:** أن يُعلِمَ الله تعالى من اصطفاه من عباده كلَّ ما أراد إطلاعه عليه من أنواع الهداية والعلم، ولكن بطريقة سريعة خفية غير معتادة للبشر، **ويكون على أحد هذه الأوجه:** **(١)** إما أن يلقي الوحي في قلب الرسول، من غير إرسال ملك، ولا مخاطبة منه شفاهًا. **(٢)** أو يكلمه شفاهًا، لكن من وراء حجاب، كما حصل لكليم الله موسى عليه السلام. **(٣)** أو يكلمه الله بواسطة الرسول الملكي، فيرسل جبريل فيوحي بإذنه ما يشاء.

❊ **الإيمان بالرسل يتضمن أربعة أمور:** **(١)** الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، وأنَّ جميعهم صادقون مصدَّقون، وبالبراهين الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون. **(٢)** الإيمان بكل نبي أرسله الله؛ مَنْ علمنا اسمه منهم نؤمن باسمه، ومن لم نعلم نؤمن به إجمالًا. **(٣)** تصديق ما صح من

أخبارهم، ولا يصح من أخبارهم، إلا ما جاء في كتاب الله. **(٤)** العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم وهو خاتمهم محمد ﷺ.

❊ الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان، لا يصح الإيمان إلا به، وقد اتفق المسلمون على وجوب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، فمن كفر برسالة واحد منهم كان كمن كفر بجميعهم.

❊ **يتبين حاجة البشر إلى الرسل من وجوه:** **(١)** أن حاجة العبد إلى الرسالة ضرورية أعظم من حاجة المريض إلى الطب. **(٢)** أن البشر مهما أوتوا من عقول، لا يستطيعون أن يصلوا إلى الحق والهدى الذي فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة. **(٣)** أن سعادة العباد في معاشهم ومعادهم موقوفة على اتباع الرسالة. **(٤)** أنه لا سبيل لمعرفة العبد بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته على سبيل التفصيل إلا عن طريق الرسل. **(٥)** أن الله جل وعلا أخبر أن المقتضي الباعث لإرسال الرسل هو رحمته للعالمين. **(٦)** أن الرسالة ضرورية في إصلاح العبد في معاشه ومعاده.

❊ يزعم منكرو النبوات أنه يمكنهم الاستغناء عن الرسل بعقولهم، وأشهر من عرف عنهم إنكار النبوات هم البراهمة، وقد نقل أصحاب المقالات شبهاتهم، وبينوا وجوه بطلانها.

❊ ذكر الله جل وعلا في القرآن الكريم خمسة وعشرين نبيًّا ورسولًا بأسمائهم، منهم ثمانية عشر في «سورة الأنعام»، وبقيتهم وهم سبعة ذكروا في مواضع متفرقة من القرآن الكريم، وهناك من اختلف في نبوته؛ كذي القرنين، وتبَّع، وذي الكفل، والخضر.

❊ لا يعلم عدد الأنبياء والرسل إلا الله تعالى الذي أرسلهم، وقد ورد في عددهم عدة أحاديث، لكن الراجح أنها ضعيفة لا تصح.

❊ **تتبين منزلة الأنبياء والمرسلين من وجوه:** **(١)** أفضل الخلق. **(٢)** الاصطفاء. **(٣)** الكمال في تحقيق العبودية.

❊ **خص الله الأنبياء بخصائص لا توجد لغيرهم، ومنها:** (١) الوحي. (٢) الحرية. (٣) الذكورة. (٤) كونهم من الإنس. (٥) تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم. (٦) لا تأكل الأرض أجسادهم. (٧) يخيَّرون عند الموت بين الدنيا والآخرة. (٨) أحياء في قبورهم يصلون. (٩) يدفنون حيث يموتون. (١٠) لا يورثون بعد موتهم.

❊ **وظائف الأنبياء والرسل:** (١) أعظم وظائفهم الدعوة إلى إفراد الله وحده بالعبادة. (٢) أنهم الواسطة بين الله وخلقه في تبليغ شريعته. (٣) التبشير والإنذار، وإقامة الحجة على الناس. (٤) بيان ما أنزل الله عليهم من الوحي للناس.

❊ **اتفق المسلمون على أن الرسول أفضل من النبي** الذي ليس برسول، وأن أولي العزم من الرسل أفضلهم، وأما قوله ﷺ: «**لا تفضلوا بين أنبياء الله**»، فهو محمول على النهي عن التفضيل إذا كان على وجه الانتقاص من المفضول، **وقيل:** إنه نهي عن التفضيل الخاص؛ أي: لا يفضَّل بعض الرسل على بعضٍ بعينه.

❊ **العصمة لغة:** المنع، **وشرعًا:** حفظ الله لأنبيائه من النقائص، وتخصيصهم بالكمالات، والأنبياء والرسل معصومون من الوقوع في الكفر قبل النبوة، فلم يعرف عن نبي أو رسول أنه كان مشركًا قبل البعثة، وهم معصومون قبل النبوة من كل ما يعابون به بعد النبوة، ومعصومون من الخطأ في تبليغ شرع الله جل وعلا بالإجماع، والقول بأن الأنبياء معصومون عن الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، واختلف في عصمتهم من الصغائر على أقوال، والراجح الذي دلت عليه النصوص، أنهم قد يقعون في الصغائر بغير تعمد، لكنهم لا يقرون عليها، بل يستدركهم الله بالتوفيق للتوبة.

❊ **الآيات:** جمع آية، **والآية في اللغة:** العلامة، **وفي الاصطلاح:** الآيات والبراهين التي لا يقدر عليها إلا الله، ولا يمكن معارضتها بمثلها، والتي يجريها الله تعالى على أيدي أنبيائه، فتدل على صدقهم، وقد أطلق المتكلمون

على آيات الأنبياء اسم المعجزات، وعرفوا المعجزة بأنها: أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة، والأولى أن تسمى: الآيات، والدلائل، والبينات، والأعلام، والبراهين؛ ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجودًا في الكتاب والسنة، وقد حصر جمهور المتكلمين طريق إثبات النبوة في المعجزات، حتى صار تقرير النبوات بالمعجزات من أعظم الطرق عند أهل الكلام والنظر، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن دلائل النبوة ليست محصورة في المعجزات.

❁ **آيات الأنبياء من حيث الزمن نوعان:** **(١)** ما مضى وصار معلومًا بالخبر، كمعجزات موسى وعيسى عليهما السلام. **(٢)** ما هو باقٍ إلى اليوم؛ كالقرآن الذي هو من أعلام نبوة محمد ﷺ. وأما أنواعها بالنسبة لحياة كل نبي، فهي متنوعة؛ فمنها ما يكون قبل المبعث، ومنها ما يكون حين المبعث، في حياتهم، وبعد موتهم.

❁ **الفرق بين آيات الأنبياء وكرامات الأولياء:** **(١)** الفرق بينهما في اللفظ؛ حيث شاع عند المتأخرين تخصيص اسم (المعجزة) بالنبي، وتخصيص اسم (الكرامة) بالولي. **(٢)** الفرق بينهما في المرتبة، فلا تبلغ كرامات الأولياء درجة معجزات الأنبياء، كما أنهم لا يبلغون في الفضل منزلة الأنبياء. **(٣)** أن كل كرامة للولي فهي معجزة للنبي؛ لأنها ما حصلت إلا ببركة اتباع النبي.

❁ **الفرق بين آيات الأنبياء وخوارق السحرة:** **(١)** أن النبي صادقٌ فيما يخبر به لا يكذب قط، ومن خالفهم من السحرة والكهان لا بد أن يكذب. **(٢)** الأنبياء لا يأمرون إلَّا بعبادة الله وحده، وأعمالهم البر والتقوى، ومخالفوهم يأمرون بالشرك والظلم، وفي أعمالهم الإثم والعدوان. **(٣)** السحر والكهانة ونحوهما أمور معتادة معروفة لأصحابها، ليست خارقة لعادتهم، وآيات الأنبياء لا تكون إلا لهم ولمن اتَّبعهم. **(٤)** الكهانة والسحر يناله الإنسان بتعلُّمه وسعيه واكتسابه، بخلاف النبوة؛ فإنَّه لا ينالها أحدٌ باكتسابه. **(٥)** لو

قُدِّر أن النبوة تنال بالكسب، فإنّما تُنال بالأعمال الصالحة والصدق والعدل والتوحيد، لا تحصل مع الكذب، كما هو حال السحرة والكهان. (٦) أن ما يأتي به الكهان والسحرة لا يخرج عن كونه مقدورًا للجن والإنس، وآيات الرسل لا يقدر عليها لا جن ولا إنس، بل هي خارقة لعادة كل من أُرسل النبي إليه. (٧) أنَّ خوارق السحرة يمكن أن تُعارض بمثلها، وآيات الأنبياء لا يقدر أحد أن يعارضها بمثلها. (٨) أن خوارق السحرة ليست خارقة لعادات بني آدم، بل كل ضربٍ منها معتادٌ لطائفة غير الأنبياء، وأما آيات الأنبياء فليست معتادة لغير الصادقين على الله، ولمن صدَّقهم. (٩) أن آيات الأنبياء لا يقدر عليها مخلوق لا الملائكة ولا غيرهم؛ كإنزال القرآن وتكليم موسى، وخوارق السحرة تقدر عليها الجن والشياطين. (١٠) النبي لا يأمر إلا بجنس ما أمرت به الرسل قبله، فله نظراء يعتبر بهم، وكذلك الساحر والكاهن له نظراء يعتبر بهم. (١١) النبي لا يأمر إلا بمصالح العباد في المعاش والمعاد، بخلاف السحرة والكهان.

❊ **الفرق بين كرامات الأولياء وخوارق السحرة:** (١) أن الكرامة للولي إنما تقع للمؤمن التقي، فإذا وقع الخارق للعادة على يد معرض عن الشرع، واقع في المعاصي فهي من الأحوال الشيطانية. (٢) أن كرامات الأولياء سببها التقوى والعمل الصالح، وأعمال المشعوذين سببها الكفر والفسوق والفجور والاستعانة بالشياطين. (٣) أن كرامات الأولياء يستعان بها على البر والتقوى، أو على أمور مباحة، وأعمال المشعوذين والدجالين يستعان بها على أمور محرمة، من الشرك والكفر وقتل النفوس. (٤) أن كرامات الأولياء تقوى بذكر الله وتوحيده، وخوارق السحرة والمشعوذين تبطل أو تضعف عند ذكر الله وقراءة القرآن والتوحيد.

❊ دين الأنبياء واحد وهو الإسلام، فهو الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل، ولا يقبل من أحد دينًا غيره، وهو دين جميع الأنبياء

وأتباعهم.

❋ **المبشرات هي:** ما ورد في الكتب السابقة من الإخبار ببعثة رسول الله ﷺ؛ وطريق ثبوتها: **(١)** الأدلة من الكتاب والسنة على أن صفته موجودة في الكتب السابقة. **(٢)** ما ورد في التوراة والإنجيل من المبشرات بنبوة محمد ﷺ. **(٣)** الإرهاصات التي كانت توطئة لنبوته ﷺ، ومن أشهرها حادثة الفيل.

❋ **دلائل نبوة نبينا ﷺ أنواع يندرج تحتها أفراد كثيرة لا تحصى، ومنها:** **(١)** آيات النبوة؛ كإخباره ﷺ بأمور غيبية مستقبلية تحققت في حياته، أو بعد وفاته وفق ما أخبر عنها، والآيات الحسية، مثل: انشقاق القمر، وتكثير الماء والطعام والثمار، وتسخير الأحجار له ﷺ، ونحوها. **(٢)** قرائن أحواله وسيرته ﷺ. **(٣)** الآثار الباقية في العالم، ومنها: أنهم أخبروا الأمم بما سيكون من انتصارهم وخذلان أولئك، وبقاء العاقبة لهم. ومنها: ما أحدثه الله لهم من نصرهم وإهلاك عدوهم، ومنها: أن من عرف ما جاءت به الرسل من الشرائع وتفاصيل أحوالها، تبين له أنهم أعلم الخلق، وأنه لا يحصل مثل ذلك من كذاب جاهل. **(٤)** كرامات الأولياء. **(٥)** القرآن الكريم، وهو أعظم الآيات وأظهرها على نبوته ﷺ.

❋ **شهادة أن محمدًا رسول الله ﷺ تتضمن ما يلي:** **(١)** طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع. **(٢)** الإيمان بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده. **(٣)** الإيمان بأن هديه أكمل هدي، وشريعته أكمل شريعة. **(٤)** الاقتداء به ﷺ، **(٥)** محبته ﷺ أعظم من محبة النفس والولد والوالدين والناس أجمعين. **(٦)** توقيره وتعظيمه التعظيم اللائق به، من غير غلو ولا تقصير. **(٧)** الصلاة والسلام عليه ﷺ، **(٨)** الدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان، بحسب ما تتطلبه الحال.

❊ **من أهم خصائص رسالة نبينا ﷺ ما يلي:** (١) عمومها. (٢) نسخها لجميع الرسالات قبلها. (٣) كمالها. (٤) خاتمة الرسالات. (٥) يسرها. (٦) حفظ الله لكتابها. (٧) استمرار معجزتها إلى يوم القيامة.

❊ **خص الله نبينا محمدًا ﷺ بخصائص لا تحصى، منها ما يلي:** (١) أنه صاحب المقام المحمود. (٢) تفضيل أمته على سائر الأمم. (٣) سبق أمته الأممَ في دخول الجنة. (٤) أنه صاحب لواء الحمد. (٥) أنه إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم. (٦) أنه أعطي الوسيلة. (٧) أنه أعطي مفاتيح خزائن الأرض. (٨) أنه اختبأ دعوته شفاعة لأمته يوم القيامة. (٩) أنه أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة. (١٠) أنه أول شافع وأول مشفع. (١١) أن الله غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. (١٢) أن الله أعطاه الكوثر.

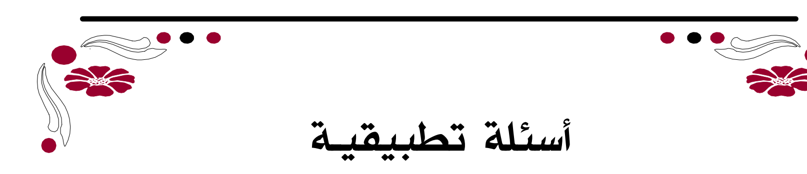
❊ ختم الله جل وعلا بنبوة نبينا محمد ﷺ النبوات، وأكمل به الرسالات، فهو خاتم الأنبياء، لا نبي بعده، وكل من ادعى النبوة بعده فهو كذَّاب أفاك دجَّال، وقد دل على ختم النبوة بنبينا محمد ﷺ الكتاب والسنة والإجماع، فمن أنكر ذلك فهو كافر، ومن ادعى النبوة بعده فهو كاذب.

❊ **الإسراء:** انتقال النبي ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى. والمعراج: صعود الرسول ﷺ من المسجد الأقصى إلى السماوات العلا، والحق الذي لا ينبغي العدول عنه أن الإسراء والمعراج كانا بالروح والجسد جميعًا يقظة لا منامًا، وقد شاع عند كثير من المسلمين أن ليلة الإسراء والمعراج كانت ليلة السابع والعشرين من شهر رجب، وهذا لا يصح البتة، فلم يدل عليه دليل ثابت، وقد اختلف أهل العلم في تحديد سنتها وشهرها ويومها على أقوال كثيرة، والإسراء والمعراج آيتان من آيات الله جل وعلا الدالة على إثبات نبوة نبينا محمد ﷺ؛ لما اشتملت عليه من الدلائل والآيات الخارقة للعادة والخارجة عن قدرة البشر.

❊ **للإيمان بالرسل ثمرات جليلة منها:** (١) تحقيق السعادة في الدنيا.

**(٢)** تحقيق النجاة في الآخرة. **(٣)** التحرر من عبودية المخلوق. **(٤)** العلم برحمة الله تعالى بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل ليهدوهم إلى صراط الله المستقيم، وعبادة الله وحده لا شريك له. **(٥)** حمد الله وشكره على هذه النعمة الكبرى. **(٦)** معرفة الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ومعرفة الطريق الموصل إليه سبحانه، وهي شريعته المتضمنة لأمره ونهيه، ومعرفة حال الناس وما يصيرون إليه بعد انتقالهم من هذه الدنيا الفانية إلى دار البقاء والخلود.





## أسئلة تطبيقيـة

**س١:** عرف النبي والرسول لغة واصطلاحًا، موضحًا الفرق بينهما، وأقوال العلماء في ذلك، مع الترجيح.

**س٢:** للأنبياء خصائص امتازوا بها عن سائر البشر، اذكرها باختصار، واشرح خمسًا منها مع ذكر الأدلة.

**س٣:** جاء في نصوص الكتاب والسنة بيان جملة من خصائص رسالة النبي ﷺ. اذكر خمسًا منها مع الأدلة.

**س٤:** عرف الوحي لغة وشرعا، واذكر أنواعه، ومثل لكل نوع بمثال، مع ذكر الحالات التي يأتي بها الملك الموكل بالوحي.

**س٥:** عرف آيات الأنبياء لغة واصطلاحًا، موضحًا تعريف المتكلمين للمعجزة، وما رأيك في حصر جمهور المتكلمين طريق إثبات النبوة في المعجزات؟

**س٦:** ورد في الكتاب والسنة ذكر آيات الأنبياء السابقين، اشرح خمسًا منها بأدلتها.

**س٧:** آيات نبينا ﷺ أنواع يندرج تحتها أعيان كثيرة لا تحصى، اذكر هذه الأنواع إجمالًا، ثم اشرح خمسًا منها بالأدلة.

**س٨:** من خصائص الأنبياء العصمة. اذكر معناها، وآراء العلماء في عصمتهم من الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها.

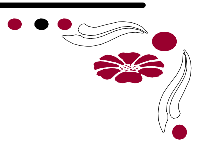
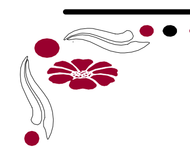
**س٩:** هناك فروق واضحة بين معجزات الأنبياء، وكرامات الأولياء، وخوارق السحرة. اشرح ذلك بإيجاز مع المقارنة والتحليل.

**س١٠:** هل تجوز المفاضلة بين الأنبياء؟ وضح ذلك بالأدلة.



# الفصل الرابع

# الإيمان باليوم الآخر

# الفصل الرابع

❁ **ويشتمل على ما يلي:**

١- اليوم الآخر؛ تعريفه، ومعنى الإيمان به، وأدلته.

٢- أشراط الساعة؛ تعريفها، وأقسامها.

٣- أشراط الساعة الصغرى.

٤- أشراط الساعة الكبرى.

٥- أحكام الموت والبرزخ.

٦- النفخ في الصور.

٧- البعث.

٨- الحشر.

٩- العرض.

١٠- الحساب.

١١- الجزاء.

١٢- الميزان.

١٣- الحوض.

١٤- الصراط.

١٥- الشفاعة.

١٦- الجنة.

١٧- رؤية الله في الجنة؛ أدلتها، وصفتها.

١٨- النار.





# المبحث الأول

## اليوم الآخر

### ۞ أولًا: تعريفه، ومعنى الإيمان به:

**اليوم الآخر:** هو ما يكون بعد الموت من أحوال البرزخ، وأهوال القيامة، والجنة والنار.

**ومعنى الإيمان به:** «التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك، ويدخل في ذلك: الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال والأفزاع، وتفاصيل المحشر: نشر الصحف، ووضع الموازين، وبالصراط، والحوض، والشفاعة وغيرها، وبالجنة ونعيمها الذي أعلاه النظر إلى وجه الله عز وجل، وبالنار وعذابها الذي أشده حجبهم عن ربهم عز وجل»[(١)].

**فالإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بخمسة أمور:**

١- بفتنة القبر ونعيمه وعذابه.

٢- وأشراط الساعة التي تكون قبل يوم القيامة.

٣- والبعث؛ وهو إخراج الناس من قبورهم وإحياؤهم بعد موتهم.

---

(١) أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ حكمي (ص٥٥).

٤- وأهوال يوم القيامة، وهو ما يحصل في ذلك اليوم من أمور عظام؛ كنشر الصحف، ووضع الموازين، وورود الحوض، والعبور على الصراط، وغيرها من أحوال ذلك اليوم العظيم.

٥- الجنة وما فيها من نعيم مقيم، والنار وما فيها من عذاب أليم.

## ۞ ثانيًا: حكمه:

الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد إلا به، كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ...﴾ [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩]. وفي حديث جبريل لما سئل ﷺ عن الإيمان قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(١)].

فمن كذَّب باليوم الآخر فهو كافر، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: ٢٩، ٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥].

قال الإمام ابن عبد البر: «وقد أجمع المسلمون على أن من أنكر البعث بعد الموت فليس بمؤمن ولا مسلم، ولا ينفعه ما شهد به»[(٢)].

## ۞ ثالثًا: أدلة الإيمان باليوم الآخر:

الأدلة على إثبات اليوم الآخر كثيرة جدًّا لا تكاد تحصى، فقد «دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة السليمة»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٨).

(٢) الاستذكار، لابن عبد البر (٧/ ٣٣٩).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٨٩).

**وسنشير فيما يلي إلى جملة من أنواع الأدلة في تقرير المعاد:**

## النوع الأول: الأدلة النقلية، ومنها:

**١-** أن الله أقسم به في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ١﴾ [القيامة: ١]، وأمر نبيه أن يقسم بالله على وقوعه في ثلاثة مواضع من القرآن، فقال تعالى: ﴿وَيَسۡتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلۡ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقّٞۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ٥٣﴾ [يونس: ٥٣]، وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ﴾ [سبأ: ٣]، وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾ [التغابن: ٧].

**٢-** أن الله أخبر عن اقترابه، فقال: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ١﴾ [القمر: ١]، ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١﴾ [الأنبياء: ١]، ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢﴾ [المعارج: ١، ٢] إلى أن قال: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧﴾ [المعارج: ٦، ٧].

**٣-** أن الله مدح المؤمنين به، كما في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ٤﴾ [البقرة: ٤].

**٤-** أن الله ذم المكذبين بالمعاد، فقال: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥]، ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِي ٱلسَّاعَةِ لَفِي ضَلَٰلِۢ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨]، ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلۡمُهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ بَلۡ هُمۡ فِي شَكّٖ مِّنۡهَاۖ بَلۡ هُم مِّنۡهَا عَمُونَ ٦٦﴾ [النمل: ٦٦]، ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ بَلَىٰ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا﴾ [النحل: ٣٨] إلى أن قال: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰذِبِينَ﴾ [النحل: ٣٩]، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤۡمِنُونَ ٥٩﴾ [غافر: ٥٩]، ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدًا ٩٨ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾ [الإسراء: ٩٧ - ٩٩].

**٥-** أن الله جل وعلا فصل القول في اليوم الآخر تفصيلًا عظيمًا، وبيَّنه بيانًا مفصلًا في سور كثيرة من القرآن، كما في «سورة الواقعة»، و«الحاقة»، و«التكوير»، و«الانفطار»، و«الانشقاق»، و«الزلزلة»، و«القارعة»، كلها في شأن القيامة وأحوالها.

قال الإمام ابن أبي العز: «إن القيامة الكبرى معروفة عند الأنبياء، من آدم إلى نوح، إلى إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عليهم السلام، وقد أخبر الله بها من حين أهبط آدم»(١)، و«محمد ﷺ لما كان خاتم الأنبياء، وكان قد بعث هو والساعة كهاتين، وكان هو الحاشر المقفي، بين تفصيل الآخرة بيانًا لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء»(٢).

### النوع الثاني: الأدلة العقلية:

وهي كثيرة جدًّا، ومن أعظم البراهين العقلية في تقرير البعث ما جاء في كتاب الله جل وعلا، **ومن ذلك ما يلي:**

**١-** الاستدلال بخلق السماوات والأرض على البعث، فإن من خلق السماوات والأرض وما فيها من عجائب المصنوعات قادر على إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال سبحانه: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٦-١١]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٩٠-٥٩١).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥٨٩-٥٩٠).

ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾ [يس: ٨١ - ٨٣].

٢- الاستدلال بالنشأة الأولى على النشأة الآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾﴾ [الحج: ٥]، وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ ۚ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾﴾ [ق: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [يس: ٧٨، ٧٩][١].

٣- الاستدلال بإحياء الأرض بعد موتها على إحياء الموتى: قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم: ٥٠]، وقال جل وعلا: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾ [ق: ٩ - ١١].

**٤- الاستدلال بما وقع من إحياء الموتى؛ فذكر الله في «سورة البقرة» خمس وقائع**[٢]:

**الأولى:** قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ

---

(١) انظر: شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٩٦-٥٩٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للبراك (ص٢٤٤).

ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥، ٥٦].

**الثانية:** قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢، ٧٣].

**الثالثة:** قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

**الرابعة:** قوله تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: ٢٥٩].

**الخامسة:** قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة: ٢٦٠].

**ومنها:** قصة أصحاب الكهف، قال تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الكهف: ١٨- ١٩].

٥- الاستدلال باليقظة من النوم على البعث؛ فالنوم أخو الموت، قال

تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: ٤٢].

«فبين سبحانه أنه يتوفى الأنفس على نوعين: فيتوفاها حين الموت، ويتوفى الأنفس التي لم تمت بالنوم، ثم إذا ناموا فمن مات في منامه أمسك نفسه، ومن لم يمت أرسل نفسه؛ ولهذا كان النبي ﷺ يقول إذا أوى إلى فراشه: «**باسمك اللهم أموت وأحيا**»، وكان إذا استيقظ يقول: «**الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور**»[(١)]، فقد سمى النوم موتًا والاستيقاظ حياة»[(٢)].

## النوع الثالث: الإجماع:

أجمع المسلمون وسائر أهل الأديان الكتابية على إثبات يوم القيامة، فمن أنكره أو شك فيه فهو كافر[(٣)]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «مذهب سائر المسلمين، بل وسائر أهل الملل إثبات القيامة الكبرى، وقيام الناس من قبورهم»[(٤)]، وقال الإمام الشوكاني: «والحاصل أن هذا [أي: المعاد] أمر اتفقت عليه الشرائع، ونطقت به كتب الله ﷻ سابقها ولاحقها، وتطابقت عليه الرسل أولهم وآخرهم، ولم يخالف فيه أحد منهم، وهكذا اتفق على ذلك أتباع جميع الأنبياء من أهل الملل، ولم يسمع عن أحد منهم أنه أنكر ذلك قط»[(٥)].

## النوع الرابع: الأدلة الفطرية:

الفطرة السالمة من الشبهات والشهوات تهتدي بذاتها إلى الإيمان بالبعث، وإن خفيت معالم هذه الفطرة لشبهة أو شهوة فلا تلبث أن تستيقظ في أوقات

(١) أخرجه البخاري (ح٦٣١٢). (٢) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٥).
(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٤/ ٢٩٥).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٢).
(٥) إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات، للشوكاني (ص١٤).

الشدة، حيث تجد كل نفس تتجه ضرورة إلى الله، وتجد راحتها وسلوتها في انتظار حياة أخرى تنعم فيها وتسعد، ويؤخذ فيها حق المظلوم من الظالم حين لا يؤخذ حقه في هذه الحياة، ويلقى المحسن ثواب إحسانه، والمسيء عقاب سيئاته.

### النوع الخامس: الأدلة العلمية:

كما أثبت العلم أن هذا الكون حادث وكائن بعد أن لم يكن، فقد أثبت أيضًا بأن مصيره إلى الفناء والزوال لا محالة، يقول وحيد الدين خان: «دراسة علم الفلك تؤكد إمكان اصطدام الأجرام السماوية، والحديث عن وجود النظام الشمسي يدور حول وقوع صدام كبير بين بعض الأجرام السماوية قديمًا، فإذا استطعنا أن نتصور هذا التصادم على نطاق أوسع لاستطعنا أن نفهم جيدًا ذلك الإمكان الذي نحن بصدده، فهذا الواقع هو بعينه ما نسميه القيامة». وبعد أن استعرض عددًا من الظواهر الطبيعية المدمرة؛ كالزلازل والبراكين انتهى إلى القول بأن «نظام الكون الموجود حاليًّا سوف يدمَّر يومًا... فالقيامة حقيقة معلومة في أعماقنا، ونحن اليوم نعرفها في حد الإمكان، ولسوف نلقاها غدًا في صورة الواقع»[(١)].

## ۞ رابعًا: أسماء اليوم الآخر، ودلالتها، وأدلتها:

لليوم الآخر أسماء كثيرة، وقد ذكر الإمام القرطبي أكثر من خمسين اسمًا، وبين معانيها[(٢)].

### ومن أسمائه:

١- **اليوم الآخر:** لأنه لا يوم بعده، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِ﴾ [البقرة: ٦٢].

---

(١) الإسلام يتحدى... مدخل علمي إلى الإيمان، لوحيد الدين خان (ص٨٣).

(٢) انظر: التذكرة، للقرطبي (ص٥٤٤) وما بعدها.

٢- **يوم الفصل:** لأن فيه الفصل بين الناس بالعدل، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ۝١٧﴾ [النبأ: ١٧].

٣- **يوم الحساب:** لأن فيه محاسبة الناس على أعمالهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

٤- **يوم الخلود، ودار الخلد:** لأن الحياة فيها خالدة دائمة، قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَـٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤﴾ [ق: ٣٤]، وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۝٢٨﴾ [فصلت: ٢٨].

٥- **الواقعة:** لتحقق وقوعها، قال تعالى: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢﴾ [الواقعة: ١، ٢].

٦- **التغابن:** قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩]، سمي بذلك؛ لأن الناس يتغابنون في المنازل عند الله: فريق في الجنة وفريق في السعير[١].

٧- **الغاشية:** قال سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ۝١﴾ [الغاشية: ١]؛ لأنها تغشى الناس وتعمهم[٢].

٨- **الصاخَّة:** قال جل وعلا: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤﴾ [عبس: ٣٣، ٣٤]؛ يعني: صيحة القيامة؛ سميت بذلك؛ لأنها تصخ الأسماع؛ أي: تبالغ في الأسماع حتى تكاد تصمها[٣].

٩- **الطامَّة:** قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٣٤﴾ [النازعات: ٣٤]، سُميت بذلك؛ لأنها تطم على كل أمر هائل مفظع[٤]، كما قال تعالى: ﴿وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦][٥].

---

(١) انظر: التذكرة (ص٥٧٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٨٤).
(٣) تفسير البغوي (٨/ ٣٣٩).
(٤) طمَّ الأمر، إذا علا وغلب. انظر: مقاييس اللغة (٣/ ٤٠٦).
(٥) تفسير ابن كثير (٨/ ٣١٧).

**١٠- يوم التناد:** قال جل وعلا: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ٣٢﴾ [غافر: ٣٢]، وسُمي يوم التناد؛ لأنه يوم ينادي الناس بعضهم بعضًا، وقرئ (التنادّ) - بتشديد الدال- من ندَّ البعير: إذا شرد وذهب(١).

### ۞ خامسًا: منازل الآخرة:

**منازل الآخرة ثلاثة:**

**الأول: القبر**، فعن هانئ مولى عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كان عثمان، إذا وقف على قبر بكى حتى يبل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي وتبكي من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه**»(٢).

**الثاني: أرض المحشر التي يكون فيها أحوال القيامة وأهوالها**، قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم: ٤٨]، قال الشوكاني: «والتبديل قد يكون في الذات كما في: (بدلت الدراهم دنانير)، وقد يكون في الصفات كما في: (بدلت الحلقة خاتمًا)، والآية تحتمل الأمرين، وقد قيل: المراد تغير صفاتها، وبه قال الأكثر، وقيل: تغير ذاتها»(٣).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة نقي(٤)**» قال سهل، أو غيره: «ليس فيها مَعْلَم لأحد»(٥).

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٥٠٣)، والترمذي (ح٢٣٠٨) وحسنه، وابن ماجه (ح٤٢٦٧)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٦٨٤).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٣/ ١٤٢).

(٤) **عفراء:** أي: شديدة البياض، قرصة النقِي: الدقيق النقي من الغش والنخال. انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٥).

(٥) أخرجه البخاري (ح٦٥٢١)، ومسلم (ح٢٧٩٠).

**الثالث: الجنة والنار**، وسيأتي الحديث عنهما مفصلًا إن شاء الله تعالى.

## ۞ سادسًا: آثار الإيمان باليوم الآخر على وجه الإجمال:

**من ثمرات الإيمان باليوم الآخر ما يلي:**

**١-** الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفًا من عقاب ذلك اليوم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٨١﴾﴾ [البقرة: ٢٨١].

**٢-** تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها[(١)]، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بأنعم أهل الدنيا من أهل النار يوم القيامة، فيصبغ في النار صبغة، ثم يقال: يا بن آدم، هل رأيت خيرًا قط؟ هل مر بك نعيم قط؟ فيقول: لا، والله يا رب. ويؤتى بأشد الناس بؤسًا في الدنيا، من أهل الجنة، فيصبغ صبغة في الجنة، فيقال له: يا بن آدم، هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مر بك شدة قط؟ فيقول: لا، والله يا رب، ما مر بي بؤس قط، ولا رأيت شدة قط»[(٢)].

**٣-** عِظَم الأجر وجَزالة المثوبة لمن آمن باليوم الآخر؛ فإنَّ الإيمان باليوم الآخِر من الإيمان بالغيب الذي وعد الله أهله بالاهتداء والفلاح، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة: ٣ - ٥].

**٤-** استشعار كمال عدل الله وحكمته وقدرته في ذلك اليوم، حيث يظهر فيه تمام ملكه وسلطانه، ويقتص فيه من الظالم، ويجازي كل إنسان بعمله، قال جل وعلا: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦].

(١) انظر: عقيدة أهل السنة والجماعة، لابن عثيمين (ص٣٣).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٨٠٧).





# المبحث الثاني

## أشراط الساعة

### ۞ أولًا: تعريف أشراط الساعة:

قال الحافظ ابن حجر في تعريفها: «العلامات التي يعقبها قيام الساعة»[(١)].

والساعة: القيامة[(٢)]، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلۡ إِنَّمَا عِلۡمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]. قال الزجاج: «الساعة في القرآن: الوقت الذي تقوم فيه القيامة، سُمِّيَتْ بذلك لسرعة الحساب فيها، أو لأنها تفجأ الناس في ساعة، فيموت الخلق كلهم إلا من شاء الله بصيحة واحدة»[(٣)]، وقال القرطبي: «الساعة: كلمة يعبر بها في العربية عن جزء الزمان غير محدود، وفي العرف على جزء من أربعة وعشرين جزءًا من يوم وليلة، واللذين هما أصل الأزمنة... وحقيقة الإطلاق فيها: أن الساعة بالألف واللام عبارة في الحقيقة عن الوقت الذي أنت فيه، وهو المسمى بالآن، وسميت به القيامة؛ إما لقربها فإن كل آتٍ قريب، وإما أن تكون سُميت بها تنبيهًا على ما فيها من الكائنات العظام التي تصهر الجلود وتكسر

(١) فتح الباري (١٣/ ٧٩)، وانظر: المصدر السابق (١١/ ٣٥٢)، المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ٤٢٢).

(٢) انظر: تفسير البغوي (٣/ ٣٠٩).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٨٩).

العظام، وقيل: إنما سميت بالساعة؛ لأنها تأتي بغتة في ساعة»[١]، وقال الشوكاني: «وسميت ساعة؛ لأنها تقوم في آخر ساعة من ساعات الدنيا»[٢].

## ۞ ثانيًا: أقسامها:

❋ قسمها البيهقي وغيره من حيث قدرها إلى قسمين، فقال: «الأشراط منها صغار وقد مضى أكثرها، ومنها كبار ستأتي»[٣].

وقسمها القرطبي بحسب مخالفتها للعادة إلى نوعين: نوع معتاد، ونوع غير معتاد[٤]، فمن المعتاد: ولادة الأمة ربتها، وتطاول رعاة البهم بالبنيان، ومن غير المعتاد: طلوع الشمس من مغربها.

❋ ومنهم من قسمها بحسب قربها من الساعة وحصولها، قال الطيبي: «الآيات أمارات للساعة إما على قربها وإما على حصولها؛ فمن الأول: الدجال، ونزول عيسى، ويأجوج ومأجوج، والخسف. ومن الثاني: الدخان، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة، والنار التي تحشر الناس»[٥]، وهذا التقسيم يتعلق بالأشراط الكبرى.

❋ ومنهم من قسمها بحسب مكان وقوعها إلى قسمين: أرضية، وسماوية، قال ابن أبي العز: «وأما خروج الدابة بشكل غريب غير مألوف، ثم مخاطبتها الناس ووسمها إياهم بالإيمان أو الكفر، فأمر خارج عن مجاري العادات، وذلك أول الآيات الأرضية، كما أن طلوع الشمس من مغربها، على خلاف عادتها المألوفة أول الآيات السماوية»[٦]، ويبدو أن هذا التقسيم يتعلق أيضًا بالأشراط الكبرى.

❋ وقسم شيخنا ابن عثيمين أشراط الساعة بحسب وقت ظهورها إلى ثلاثة

---

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٥٤٦).
(٢) فتح القدير، للشوكاني (٤/ ٢٣٢).
(٣) فتح الباري، لابن حجر (١٣/ ٨٥).
(٤) انظر: فتح الباري (١/ ١٢١).
(٥) فتح الباري (١١/ ٣٥٢-٣٥٣).
(٦) شرح الطحاوية (٢/ ٧٥٨).

أقسام، فقال: «أشراط الساعة تنقسم إلى ثلاثة أقسام: قسم مضى، وقسم ما زال يأتي، وقسم أكبر وهو الأشراط القريبة منها، وهي الأشراط الكبار، فمن الأشياء التي مضت: بعثة النبي ﷺ؛ فإن بعثته وجعله آخر الرسل تدل على أن الساعة قريبة؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهاتين**»(١)، ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى؛ يعني: أننا مقترنان، وليس بيننا إلا مثل ما بين السبابة والوسطى.

❁ وهناك أشراط ما زالت تقع، مثل: كثرة المال، وكثرة الهرْج- يعني: القتل- وتقارب الزمان، وغير ذلك.

❁ وقسم ثالث لم يأتِ بعد، وهو الأشراط الكبيرة؛ كنزول عيسى ابن مريم ﷺ، والدجال، ويأجوج ومأجوج، وما أشبهها»(٢).

## ۞ ثالثًا: قرب قيام الساعة:

قال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١﴾ [الأنبياء: ١]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَاوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَاذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ۝٩٧﴾ [الأنبياء: ٩٧]، وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١ لِّلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَاهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج: ١ - ٧]، وقال سبحانه: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: ١]، قال الإمام الطبري: «يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾: دنت الساعة التي تقوم فيها القيامة، وقوله: ﴿ٱقْتَرَبَتِ﴾: افتعلت من القرب، وهذا من الله تعالى ذكره إنذار لعباده بدنو القيامة، وقرب فناء الدنيا، وأمر لهم بالاستعداد لأهوال القيامة قبل هجومها عليهم، وهم عنها في غفلة ساهون»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٠٣)، ومسلم (ح٨٦٧).

(٢) شرح السفارينية (ص٤٢٩-٤٣٠).

(٣) تفسير الطبري (٢٢/ ١٠٣).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**بعثت أنا والساعة كهذه من هذه، أو: كهاتين**» وقرن بين السبابة والوسطى[(١)].

قال الإمام ابن القيم: «الدنيا كلها كيوم واحد، بعث رسول الله ﷺ في آخره قبل غروب شمسه بيسير»[(٢)].

وقال السفاريني: «فإن قيل: كيف يوصف بالاقتراب ما قد مضى قبل وقوعه ألف ومائة ونيف وسبعون عامًا[(٣)]؟ فالجواب: أن الأجَل إذا مضى أكثره وبقي أقله حسن أن يقال فيه: اقترب الأجل، ولا ريب أن أجل الدنيا قد مضى أكثره وبقي أقله»[(٤)].

## ۞ رابعًا: استئثار الله بعلم وقتها:

وقت قيام الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وهو مما استأثر الله بعلمه، فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، فضلًا عما سواهما، فلا يعلم متى تقوم الساعة إلا علام الغيوب جل وعلا.

قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وقال جل وعلا: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: ٦٣]، وقال سبحانه: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٢ - ٤٦]، وقال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ

---

(١) أخرجه البخاري (ح٥٣٠١)، ومسلم (ح٢٩٥٠).

(٢) عدة الصابرين (ص٢٤٤).

(٣) هذا بحسب زمنه.

(٤) لوامع الأنوار البهية (٢/ ٦٥).

بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾﴾ [لقمان: ٣٤]، وقال جل جلاله: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِۚ﴾ [فصلت: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الزخرف: ٨٥].

وفي حديث جبريل أنه قال للنبي ﷺ: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: «**تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله**»(٢).

## ۞ خامسًا: الحكمة من ذلك:

لعل من الحكمة في إخفاء وقت الساعة وتقدم أشراطها: حث العباد على العمل الصالح، قال الآلوسي: «وإنما أخفى سبحانه أمر الساعة لاقتضاء الحكمة التشريعية ذلك؛ فإنه أدعى إلى الطاعة، وأزجر عن المعصية، كما أن إخفاء الأجل الخاص للإنسان كذلك، ولو قيل بأن الحكمة التكوينية تقتضي ذلك أيضًا لم يبعد»(٣)، وقال العلامة السعدي: «لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه»(٤).



---

(١) أخرجه مسلم (ح٨).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٥٣٨).
(٣) روح المعاني (٥/ ١٢٥).
(٤) تيسير الكريم الرحمن (ص٩١٠).



# المبحث الثالث

## أشراط الساعة الصغرى

### ۞ أولًا: تعريفها:

هي: الأشراط المعتادة[١]، وهي التي تسبق الأشراط الكبرى، وسُميت صغرى بالنسبة إلى الأشراط الكبرى.

### ۞ ثانيًا: أمثلتها وأدلتها:

**وردت أحاديث كثيرة فيها ذكر كثير من أشراط الساعة الصغرى، ومنها:**

### ١- فتح بيت المقدس:

عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، وهو في قبة من أُدم، فقال: «**اعدد ستًّا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس...**» الحديث[٢].

وقد تم فتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، سنة ست عشرة من الهجرة[٣].

### ٢- ظهور الفتن من المشرق:

ففي حديث ابن عمر، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مستقبل المشرق،

(١) انظر: فتح الباري (١/ ١٢١).
(٢) أخرجه البخاري (ح٣١٧٦).
(٣) انظر: البداية والنهاية (٧/ ٥٥-٥٧).

يقول: «**ألا إن الفتنة هاهنا، ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**»[(١)]، وقد ظهرت من المشرق فتن كثيرة، كفتنة التجهم والتجسيم والرفض والقدر والتصوف والإلحاد وغيرها، ومن المشرق يخرج الدجال، كما سيأتي.

### ٣- ضياع الأمانة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: بينما النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في مجلس يحدث القوم، جاءه أعرابي، فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يحدث، فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع، حتى إذا قضى حديثه قال: «**أين- أراه- السائل عن الساعة**» قال: ها أنا يا رسول الله، قال: «**فإذا ضيعت الأمانة فانتظر الساعة**»، قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إذا وسِّد الأمر إلى غير أهله، فانتظر الساعة**»[(٢)].

### ٤- قبض العلم وظهور الجهل:

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم ويثبت الجهل**»[(٣)].

ورفع العلم إنما يكون بقبض العلماء، ففي حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يبقِ عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[(٤)].

### ٥- انتشار الزنا:

في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن من أشراط الساعة: أن يرفع العلم، ويثبت الجهل، ويشرب الخمر، ويظهر الزنا**»[(٥)].

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٠٥). (٢) أخرجه البخاري (ح٥٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح٨٠)، ومسلم (ح٢٦٧١).

(٤) أخرجه البخاري (ح١٠٠)، ومسلم (ح٢٦٧٣).

(٥) أخرجه البخاري (ح٨٠)، ومسلم (ح٢٦٧١).

### ٦- كثرة القتل:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر الهرْج**»، قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: «**القتل القتل**»(١).

عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**بين يدي الساعة أيام الهرج، يزول فيها العلم ويظهر فيها الجهل**»، قال أبو موسى: والهرج: القتل بلسان الحبشة(٢).

### ٧- كثرة الزلازل:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج -وهو القتل القتل- حتى يكثر فيكم المال فيفيض**»(٣).

### ٨- قتال اليهود:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي خلفي، فتعال فاقتله، إلا الغرقد، فإنه من شجر اليهود**»(٤).

### ٩- ظهور المهدي:

عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تمتلئ الأرض ظلمًا وعدوانًا**»، قال: «**ثم يخرج رجل من عترتي -أو من أهل بيتي- من يملؤها قسطًا وعدلًا، كما ملئت ظلمًا وعدوانًا**»(٥).

**والأحاديث الواردة في المهدي أربعة أقسام:** صحاح، وحِسان، وغرائب،

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٥٧).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٠٦٦).
(٣) أخرجه البخاري (ح١٠٣٦).
(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٢٢).
(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح١١٣١٣)، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وموضوعة[١].

وليس المهدي الذي وردت به الأحاديث هو مهدي الرافضة الذي لا وجود له إلا في خيالاتهم حتى صاروا ضحكة بين الأمم[٢]، قال ابن القيم: «ولقد أصبح هؤلاء [يعني: الروافض] عارًا على بني آدم، وضُحكة يسخر منهم كل عاقل»[٣].



(١) انظر: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، لابن القيم (ص١٤٨)، شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين (ص٤٥١).

(٢) انظر تفصيل ذلك في فصل (المهدية والغيبة) من: أصول مذهب الشيعة (٢/ ٨٢٣) وما بعدها.

(٣) المنار المنيف (ص١٥٢-١٥٣).



# المبحث الرابع

## أشراط الساعة الكبرى

### ۞ أولًا: تعريفها:

قال الحافظ ابن حجر في تعريفها: «هي التي تضمنها حديث حذيفة بن أسيد عند مسلم، وهي: الدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها كالحامل المتم[(١)]، ونزول عيسى ابن مريم، وخروج يأجوج ومأجوج، والريح التي تهب بعد موت عيسى فتقبض أرواح المؤمنين»[(٢)].

### ۞ ثانيًا: حصرها:

هي عشر علامات جاء النص عليها في حديث حذيفة رضي الله عنه الذي أشار إليه الحافظ ابن حجر، قال حذيفة رضي الله عنه: اطلع النبي صلى الله عليه وسلم علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة، قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات، فذكر: الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى**

---

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده (٦/ ١٩-٢٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الساعة كالحامل الـمُتِمِّ؛ التي لا يدري أهلها متى تفجؤهم بولادتها ليلًا أو نهارًا**»، قال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح». (مسند أحمد ٣/ ٤٨٤).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٨٥).

**محشرهم»**[(١)] .

## ۞ ثالثًا: ترتيبها:

لم يرد نص في ترتيب أشراط الساعة، وقد ورد في بعض الأحاديث ذكر أولها خروجًا، كما في حديث عبد الله بن عمرو، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**»[(٢)] .

ورجح طائفة من أهل العلم من مجموع الروايات أن خروج الدابة هو أول الآيات الأرضية التي ليست بمألوفة، وأن طلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات السماوية[(٣)] .

قال الحافظ ابن حجر: «وقد ثبت أن الآيات العظام مثل السِّلْك، إذا انقطع تناثر الخرز بسرعة»[(٤)] ، وهو يشير إلى حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «الأمارات خرزات منظومات بسِلْك، فإذا انقطع السلك تبع بعضه بعضًا»[(٥)] .

**وفيما يلي ذكر الآيات العشر وأدلتها:**

### ١- طلوع الشمس من مغربها:

قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٠١).    (٢) أخرجه مسلم (ح٢٩٤١).

(٣) انظر: النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (١/ ٢١٤)، فتح الباري (١١/ ٣٥٣).

(٤) فتح الباري (١٣/ ٧٧).

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٥٨٩)، وصححه، ووافقه الذهبي، وأخرجه أحمد في المسند من حديث عبد الله بن عمرو (ح ٧٠٤٠)، وقال الشيخ أحمد شاكر: «إسناده صحيح» (مسند أحمد ٦/ ٤٦٨).

إِيمَٰنِهَا خَيْرًاۗ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، والمراد: طلوع الشمس من مغربها، كما دلت على ذلك الأحاديث الصحيحة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، وذلك حين لا ينفع نفسًا إيمانها**» ثم قرأ الآية[١].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**»[٢].

## ٢- خروج الدابة:

وهي المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [النمل: ٨٢]، هذا ما ذهب إليه كثير من أهل العلم.

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الآيات خروجًا، طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا**»[٣].

## ٣- ظهور المسيح الدجال:

سمي بالمسيح؛ لأن إحدى عينيه ممسوحة؛ عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدجال ممسوح العين، مكتوب بين عينيه: كافر**»[٤]. وسُمِّي

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٦٣٦).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٣٣).

بالدَّجَّال من الدجل، وهو التلبيس والتمويه والكذب والادعاء، وقد جاء على وزن (فعَّال)، وهو من صيغ المبالغة لكثرة كذبه وتمويهه[(١)].

**زمانه:** «غير محدد، فلا نعلمه؛ لأنه لا يعلم متى تكون الساعة إلا الله، فكذلك أشراطها لا نعلم منها إلا ما ظهر، فوقت خروجه غير معلوم لنا»[(٢)].

**مكانه:** يخرج من جهة المشرق، ثم يسير فلا يترك بلدًا إلا دخله إلا مكة والمدينة، لأن الملائكة تحرسهما. قال ابن حجر: «وأما من أين يخرج؟ فمن قِبَل المشرق جزمًا»[(٣)].

**أتباعه:** يتبع الدجالَ سبعون ألفًا من يهود أصبهان، عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفًا عليهم الطيالسة**»[(٤)].

**صفته:** تضمنت الأحاديث صفة عينه وأنه أعور عين اليمنى كأن عينه عنبة طافية، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الناس، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال: «**إني أنذركموه، وما من نبي إلا قد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور**»، وزاد مسلم: أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال يومَ حذَّر الناسَ الدجَّالَ: «**إنه مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه من كره عمله، أو يقرؤه كل مؤمن**»[(٥)].

**فِتْنَتُه:** أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن فتنته أعظم فتنة، وكان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يستعيذ في صلاته من فتنة الدجال[(٦)]، ومن فتنته أن الدجال «**يمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف**

---

(١) انظر: النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير (٢/ ١٠٢).

(٢) الشرح الممتع على زاد المستقنع، لابن عثيمين (٣/ ١٩١).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٩١).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٤٤).

(٥) أخرجه مسلم (ح١٦٩).

(٦) أخرجه البخاري (ح٨٣٢).

**فيقطعه جَزْلَتَيْنِ رميةَ الغرض**(١)**، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك**»(٢).

**نهايته:** أخبر النبي ﷺ أن نبي الله عيسى ابن مريم ينزل من السماء عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيطلب الدجال حتى يدركه بباب لُدٍّ(٣)، فيقتله(٤).

ومجمل اعتقاد أهل السنة في الدجال بينه القاضي عياض بقوله: «وهذه الأحاديث التي أدخلها مسلم في قصة الدجال حجة أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص معين، ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من قدرته ليتميز الخبيث من الطيب؛ من إحياء الميت الذي يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب الذي معه، وجنته وناره، ونهريه، واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر، والأرض أن تنبت، فيكون ذلك كله بقدر الله ومشيئته، ثم يعجزه الله بعد ذلك كما قال: «**ولن يسلط على غيره**»، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ثانية، ولا على غيره، ويبطل أمره بعد، ويقتله عيسى عليه السلام ويثبت الله الذين آمنوا. هذا مذهب أهل السنة، وجماعة أهل الفقه والحديث ونظارهم، خلافًا لمن أنكر أمره وأبطله من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة»(٥).

### ٤- نزول المسيح عيسى ابن مريم:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما**

(١) **أي:** قطعتين، **ومعنى رمية الغرض:** أنه يجعل بين القطعتين مقدار رميته. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٦٧).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٩٣٧).

(٣) **هي:** بلدة قريبة من بيت المقدس. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٦٨).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٣٧).

(٥) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٨/ ٤٧٤- ٤٧٥).

**فيها**»، ثم يقول أبو هريرة: واقرؤوا إن شئتم: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٩][1].

## ٥- خروج يأجوج ومأجوج:

خروج يأجوج ومأجوج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦]، قال القرطبي: «في الكلام حذف، أي: حتى إذا فتح سد يأجوج ومأجوج»[2].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾﴾ [الكهف: ٩٤].

وسموا يأجوج ومأجوج من الأجيج، أي: أجيج النار، والنار إذا اضطرمت اضطربت وصار لهبها يتداخل بعضه في بعض، وذلك لكثرتهم، فهم كثيرون جدًّا[3].

## ٦- الدخان:

قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ ۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾ [الدخان: ١٠، ١١].

وقد ذهب ابن مسعود رضي الله عنه إلى أن هذه الآية قد وقعت ومضت، فقال: «خمس قد مضين: اللزام، والروم، والبطشة، والقمر[4]، والدخان»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٢٢٢)، ومسلم (ح١٥٥).

(٢) تفسير القرطبي (١١/ ٣٤١). (٣) انظر: شرح السفارينية (ص٤٥٩).

(٤) **(اللزام)** هو القتل الذي أصاب المشركين يوم بدر، وهو قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]، و**(الروم)** يعني انتصار الروم على فارس، و**(القمر)** يعني انشقاق القمر، و**(البطشة)** ما وقع يوم بدر، و**(الدخان)**: سَنَةٌ أصابت قريشًا بدعوة النبي ﷺ. انظر: التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (٢٣/ ٧١).

(٥) أخرجه البخاري (ح٤٨٢٥)، ومسلم (ح٢٧٩٨).

وذهب ابن عباس إلى أن الدخان آية لم تأت بعد، وستكون قرب يوم القيامة، فعن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ذات يوم، فقال: «ما نمت الليلة حتى أصبحت»، قلت: لم؟ قال: «قالوا: طلع الكوكب ذو الذنب، فخشيت أن يكون الدخان قد طرق، فما نمت حتى أصبحت»[(١)].

وقال النووي: «يحتمل أنهما دخانان للجمع بين هذه الآثار»[(٢)].

## ٧، ٨، ٩- الخسوفات الثلاثة:

وقد وردت في حديث حذيفة السابق، وفيه: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات** -فذكر- **ثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**»[(٣)].

وعن أم سلمة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون بعدي خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف في جزيرة العرب**»، فقالت: يا رسول الله يُخسف بالأرض وفيهم الصالحون؟، فقال لها رسول الله ﷺ: «**إذا كان أكثر أهلها الخبث**»[(٤)].

قال الحافظ ابن حجر: «وقد وجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قدرًا زائدًا على ما وُجِدَ، كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرًا»[(٥)].

---

(١) تفسير الطبري (٢١/ ١٨).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٨/ ٢٧)، وانظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٢٦٦).

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (٤/ ٧٤)، والكبير (٢٣/ ٢٧١)، وقال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط، وفيه حكيم بن نافع، وثقه ابن معين وضعفه غيره، وبقية رجاله ثقات». (مجمع الزوائد ٨/ ١١).

(٥) فتح الباري (١٣/ ٨٤).

### ١٠- النار التي تحشر الناس:

من أشراط الساعة الكبرى خروج نار عظيمة، وهي آخر أشراط الساعة الكبرى، وأول الآيات المؤذنة بقيام الساعة، جاء في حديث حذيفة: «... **وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»(١).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب...**» الحديث(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «ويجمع بينهما بأن آخريتها باعتبار ما ذكر معها من الآيات(٣)، وأوليتها باعتبار أنها أول الآيات التي لا شيء بعدها من أمور الدنيا أصلًا، بل يقع بانتهائها النفخ في الصور، بخلاف ما ذكر معها؛ فإنه يبقى بعد كل آية منها أشياء من أمور الدنيا»(٤).

وهذا الحشر المذكور في الأحاديث يكون في الدنيا، وليس المراد به حشر الناس بعد البعث من القبور، قال النووي: «قال العلماء: وهذا الحشر في آخر الدنيا قبيل القيامة وقبيل النفخ في الصور»(٥).

## ۞ رابعًا: ضوابط تنزيل ما أخبر به النبي ﷺ من أشراط الساعة على الواقع:

**لا يجوز تنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع إلا بضوابط(٦):**

**الضابط الأول:** التحقق من ثبوت النص وصحته؛ لأن الأحاديث الموضوعة

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٣٢٩).

(٣) أي: الآيات الواردة في حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.  (٤) فتح الباري (١٣/ ٨٢).

(٥) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٩٤-١٩٥)، وانظر: النهاية في الفتن والملاحم، لابن كثير (١/ ٢٨٧-٢٨٨).

(٦) للتوسع انظر: معالم ومنارات في تنزيل نصوص الفتن والملاحم وأشراط الساعة على الوقائع والحوادث، عبد الله العجيري.

والضعيفة في هذا الباب كثيرة، قال شيخنا ابن عثيمين: «وليعلم أن بعض العلماء- رحمهم الله- أفرط في سياق الأشراط، وذكر ما لا يصح عن النبي ﷺ، فذكر أحاديث لا زمام لها ولا صحة لها، ولهذا يجب التحرز من الكتب المؤلفة في هذا، مثل الإشاعة في أشراط الساعة، فإن فيه أشياء كثيرة غير صحيحة»(١).

**الضابط الثاني:** التحقق من فهم معناه على الوجه الصحيح بالرجوع إلى الراسخين في العلم من سلف الأمة وأئمتها، قال الإمام أحمد: «إياك أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام»(٢).

**الضابط الثالث:** جمع الروايات الصحيحة في المسألة؛ لأن روايات الحديث يفسر بعضها بعضًا، فما أطلق في رواية قد يقيد في رواية أخرى، قال الحافظ ابن حجر: «الأحاديث إذا ثبتت وجب ضم بعضها إلى بعض؛ فإنها في حكم الحديث الواحد، فيحمل مطلقها على مقيدها ليحصل العمل بجميع ما في مضمونها»(٣).

**الضابط الرابع:** ما أشكل فهمه من أحاديث الفتن وأشراط الساعة يرد إلى عالمه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ﴾ [النساء: ٨٣]، وقال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١]، يعملون بمحكمه، ويؤمنون بمتشابهه، ويكلون ما أشكل عليهم إلى عالمه.

**الضابط الخامس:** أن يكون النص هو الأصل في الحكم على الواقع، ولا يجعل الواقع أصلًا والنص فرعًا، وهذا مزلة أقدام، ومضلة أفهام، فنحن مكلفون بتطبيق ما ورد في النصوص، لا بتطبيق الوقائع على النصوص.

**الضابط السادس:** الحذر من تأويلها قبل اكتمال صفاتها؛ فلا يجوز تنزيلها

(١) شرح السفارينية (ص٤٣٠).
(٢) مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢١).
(٣) فتح الباري (١١/ ٢٧٠).

على الواقع إلا بعد اكتمال جميع صفاتها، وظهور كافة علاماتها؛ لأن تأويلها قبل ذلك هو من القول على الله بلا علم، وهو من أعظم المحرمات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣].

فمثلًا لا يصح تأويل أحاديث المهدي -على القول بثبوتها- إلا بعد اكتمال علاماتها وصفاتها، فإذا ملأ الدنيا كلها عدلًا كما ملئت ظلمًا وجورًا، وتحققت فيه سائر الصفات الواردة الثابتة، يقال حينئذ: هذا هو المهدي، وذلك لأن التأويل الخاطئ لأحاديث الفتن والملاحم والأشراط كثير، وقد يترتب على بعض هذه التأويلات فتن وشرور عظيمة، ويكفي النظر في مسألة واحدة، وهي مسألة تأويل أحاديث المهدي والنظر في التاريخ الدامي لدعاوى المهدي والمهدوية، وما جرَّته من مصائب على الأمة، كان آخرها ما شاهدناه وعايشناه عام (١٤٠٠هـ)[١] لإدراك خطر وضرر تأويل أحاديث الفتن وأشراط الساعة قبل التحقق من اكتمال صفاتها.

**الضابط السابع:** أن كون الشيء من أشراط الساعة لا يعني أنه بدعة، أو مكروه، أو محرم، بل العلامات قد تكون خيرًا؛ كالمهدي ونزول عيسى ابن مريم، وقد تكون شرًّا؛ كالمسيح الدجال، ويأجوج ومأجوج.

## ۞ خامسًا: نهاية الدنيا وقيام الساعة:

لا يعلم أحد متى تنتهي الدنيا إلا الله، وقد ورد في بعض الأحاديث بيان بعض الأحداث التي تقع في نهاية الدنيا قبيل قيام الساعة.

(١) وقد كان هذا الرجل المدعي بأنه المهدي طالبًا في كلية أصول الدين، ولم يكمل دراسته، ولم يكن لديه شيء يذكر من العلم والفقه والنباهة، إلى درجة أنه كان أحد طلابي الذين درستهم في المستوى الأول إبان ما كنت معيدًا في كلية الشريعة -يوم كان قسم أصول الدين فصلًا من فصولها- فلم أكن أحس بوجوده العلمي، بل لم أعلم أنه من الطلاب حتى أخبرني بذلك فيما بعد زميله د/ علي حسن.

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العواف** -يريد: عوافي السباع والطير- **وآخر من يحشر راعيان من مزينة، يريدان المدينة، ينعقان**(١) **بغنمهما فيجدانها وحشًا**(٢)**، حتى إذا بلغا ثنية الوداع، خرَّا على وجوههما**»(٣).

قال الخطابي: «وهذا الحديث يدل أن المدينة تُسكن إلى يوم القيامة وإن خلت فى بعض الأوقات، لقصد هذين الراعيين بغنمهما إلى المدينة، وهذا يكون قرب قيام الساعة، وأن آية قيام الساعة عند موت هذين الراعيين أحرى أن تصير غنمهما وحوشًا، فإن قيل: فما معنى قوله: (آخر من يحشر راعيان من مزينة) ولم يذكر حشرهما، وإنما ذكر أنهما يخران على وجوههما أمواتًا؟ **فالجواب:** أنه لا يُحشر أحدٌ إلا بعد الموت، فهما آخر من يموت بالمدينة، وآخر من يحشر بعد ذلك»(٤).

وفي آخر حديث حذيفة بن أسيد الغفاري الذي فيه تعداد أشراط الساعة أن النبي ﷺ قال: «... **وآخر ذلك نار تخرج من اليمن، تطرد الناس إلى محشرهم**»(٥).

وجاء في آخر حديث النواس بن سمعان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطويل في قصة الدجال ونزول عيسى وخروج يأجوج ومأجوج أن النبي ﷺ قال: «... **فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحُمُر، فعليهم تقوم الساعة**»(٦).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى**» فقلت: يا رسول الله، إن كنت لأظن حين أنزل

---

(١) **النعيق:** زجر الغنم. (فتح الباري لابن حجر ٤/ ٩١).

(٢) أي: خالية ليس بها أحد، أو سكنتها الوحوش. (فتح الباري لابن حجر ٤/ ٩١).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٨٧٤).

(٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٤/ ٥٤٧).

(٥) سبق تخريجه.

(٦) أخرجه مسلم (ح٢٩٣٧).

الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣] أن ذلك تامًّا. قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحا طيبة، فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله، الله**»(٢).

ف«إذا أذن بانقضاء هذه الدنيا؛ أمر إسرافيل عليه السلام أن ينفخ في الصور النفخة الأولى، فيصعق كل من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وتصبح الأرض صعيدًا جُرُزًا، والجبال كثيبًا مهيلًا، ويحدث كل ما أخبر الله به في كتابه، لا سيما في سورتي «التكوير» و«الانفطار»، وهذا هو آخر أيام الدنيا»(٣).

## ۞ سادسًا: ثمرات الإيمان بأشراط الساعة:

**للإيمان بأشراط الساعة ثمرات عديدة، منها:**

١- تحقيق الإيمان باليوم الآخر؛ لأن الإيمان بأشراط الساعة من الإيمان باليوم الآخر.

٢- أشراط الساعة تعد من دلائل النبوة؛ لأن كثيرًا منها وقع مطابقًا لخبر الصادق المصدوق ﷺ، فيحصل بالعلم بها زيادة الإيمان ورسوخ اليقين.

٣- إن في ذكر أشراط الساعة دافعًا للمسارعة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ، وللمزيد من العمل الصالح المثمر، وليس وسيلة للضعف أو التخاذل، أو الانتظار، أو التوقف عن العمل لانتظار الساعة، ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة، فإن استطاع أن لا**

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٩٠٧).
(٢) أخرجه مسلم (ح١٤٨).
(٣) شرح العقيدة الواسطية، للهراس (ص٢٠٥).

**يقوم حتى يغرسها فَلْيغرسها»**[(١)].

٤- تنبيه الناس من غفلتهم، وحثهم على التوبة استعدادًا ليوم الحساب، قال القرطبي: «قال العلماء -رحمهم الله تعالى-: والحكمة في تقديم الأشراط، ودلالة الناس عليها تنبيه الناس من رقدتهم، وحثهم على الاحتياط لأنفسهم بالتوبة والإنابة كي لا يباغتوا بالحول بينهم وبين تدارك العوارض منهم، فينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة قد نظروا لأنفسهم وانقطعوا عن الدنيا، واستعدوا للساعة الموعود بها، والله أعلم»[(٢)].

وقال الحليمي: «إن الحكمة في تقديم الأشراط دلالة الناس عليها، وإخبارهم بأن منها ما إذا وقع لم ينفع نفسًا إيمانها بتنبيه الناس عن رقداتهم... وليكونوا عند ظهور هذه الأشراط شيئًا فشيئًا كالمريض إذا صادف إشراف الموت عليه شيئًا فشيئًا، فإنه لا يألو في ذلك الوقت أن يتوب ويوصي ونظر لنفسه ولورثته وسائر أصحاب الوسائل عنده، ولذلك ينبغي للناس أن يكونوا بعد ظهور أشراط الساعة [أكثر][(٣)] نظرًا لأنفسهم وانقطاعًا عن الدنيا، واستبقاء بالساعة، واستعدادًا لها»[(٤)].

وقال الحافظ ابن حجر: «والحكمة في تقدم الأشراط إيقاظ الغافلين وحثهم على التوبة والاستعداد»[(٥)].

وقال شيخنا ابن عثيمين: «المقصود من هذه الأشراط هو إنذار الناس بقرب قيام الساعة، حتى يستعدوا لها ويعملوا لها»[(٦)].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ح٤٧٩)، وأحمد في المسند (ح١٢٩٨١) وإسناده صحيح.

(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص١٢١٧).

(٣) غير موجودة بالأصل، وهي زيادة يقتضيها السياق.

(٤) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٥٠).

(٦) شرح العقيدة السفارينية، لابن عثيمين (ص٤٦٦).



# المبحث الخامس

# أحكام الموت والبرزخ

## ۞ المسألة الأولى: الاحتضار؛ تعريفه، وأدلته، وأقسام الناس عند حصوله:

### أولًا: تعريف الاحتضار:

قال الزبيدي: «احتُضِرَ المريض وحُضِرَ -بالضم، أي: مبنيًّا للمفعول- إذا حضره الموت، ونزل به»[(١)].

### ثانيًا: أدلته وأقسام الناس عند حصوله:

ذكر الله جل وعلا أقسام الناس عند حصول الاحتضار، وأنهم ثلاثة أقسام، فقال سبحانه: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ۝٨٦ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٧]، **فقسمهم ثلاثة أقسام:**

**الأول: المقربون**، وذكرهم الله في قوله: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩﴾ [الواقعة: ٨٨، ٨٩].

**الثاني: أصحاب اليمين**، وذكرهم الله في قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١﴾ [الواقعة: ٩٠، ٩١].

(١) تاج العروس (١١/ ٥١)، وانظر: دستور العلماء (٣/ ١٦١)، الكليات (ص٥٧).

**الثالث: المكذبون الضالون**، وذكرهم الله في قوله: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾ [الواقعة: ٩٢ - ٩٤].

**أما خروج الروح؛ فإن الناس في ذلك قسمان:**

**الأول:** المؤمن، وتخرج روحه بيسر وسهولة ورفق.

**الثاني:** الكافر، وتخرج روحه بعسر وشدة وألم.

ويشهد لذلك حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر، ولما يُلْحَد، فجلس رسول الله ﷺ، وجلسنا حوله، كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عود ينكت في الأرض، فرفع رأسه، فقال: «**استعيذوا بالله من عذاب القبر**» مرتين، أو ثلاثًا، ثم قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزلت إليه الملائكة، كأن على وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس الطيبة، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان**»، قال: «**فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فِي السقاء، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين، حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط، وتخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض**»، قال: «**فيصعدون بها، فلا يمرون بها- يعني على ملأ من الملائكة- إلا قالوا: ما هذه الروح الطيبة؟ فيقولون: فلان بن فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء، فيستفتحون له، فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها، إلى السماء التي تليها، حتى ينتهى بها إلى السماء التي فيها الله، فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتاب عبدي في عليين، وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى**».

ثم قال: «**وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط**

**من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهي به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ:** ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، **فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا**. ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]»[(١)].

## ۞ المسألة الثانية: الموت، حقيقته، ومسمياته، وحكم الإيمان به:

### أولًا: حقيقة الموت:

* الموت هو مفارقة الأرواح للأجساد.

* والموت صفة وجودية، يعني ليس بعدم محض؛ لأن الروح باقية لا تموت، كما سيأتي، ولهذا قال العلماء: الموت ليس بعدم محض، ولا فناء صِرْف، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار[(٢)].

قال الإمام ابن أبي العز: «الموت صفة وجودية، خلافًا للفلاسفة ومن وافقهم. قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]. والعدم لا يوصف بكونه مخلوقًا. وفي الحديث: «**أنه يؤتى بالموت يوم القيامة على صورة كبش أملح، فيذبح بين الجنة والنار**»، وهو وإن كان عرَضًا، فالله تعالى يقلبه عينًا»[(٣)].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح١٨٥٣٤)، وأبو داود في السنن (ح٤٧٥٣) وإسناده صحيح.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (٧/ ٣٧٧).

(٣) شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي (١/ ٩٣).

### ثانيًا: مسمياته:

قال أبو هلال العسكري في أسماء الموت: «هو الموت، والحِمام، والحَتْفُ، والمنيَّة»[١].

وذكر ابن سيده من أسماء الموت في لغة العرب أيضًا: الوفاة، والهِمْيَغ، والرَّمْد، والمنون، والحِمام، والسام، والنحب، وغيرها[٢].

### ثالثًا: حكم الإيمان بالموت:

الإيمان بالموت داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، وهو من أركان الإيمان.

### والإيمان بالموت يتناول أمورًا:

**منها:** الإيمان بتحتمه على من كان في الدنيا من أهل السماوات والأرض، من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

**ومنها:** الإيمان بأن كل مخلوق له أجل محدود وأمد ممدود، ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْأَخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ﴾ الآية [آل عمران: ١٤٥].

**ومنها:** الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، قال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ﴾ الآية [لقمان: ٣٤].

**ومنها:** ذكر العبد الموت وجعله على باله، والتأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعي النافع

(١) التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص١٢٦).

(٢) انظر: المخصص لابن سيده (٢/ ٧١).

قبل دهوم البلاء وحلوله[١]؛ فإن «الغفلة عنه وعدم الإعداد له من أسباب سوء الخاتمة»[٢].

**ومنها:** أنه لا حرج في كراهية الموت والخوف منه، لحديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه**» فقلت: يا نبي الله أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت، فقال: «**ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بشر برحمة الله ورضوانه وجنته، أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه، كره لقاء الله، وكره الله لقاءه**»[٣].

## ۞ المسألة الثالثة: البرزخ، تعريفه، والأدلة عليه:

البرزخ في اللغة: هو الحاجز بين الشيئين، والمراد بالحياة البرزخية: ما بين الموت إلى يوم القيامة[٤].

فإن ما بين الموت الذي تنتهي به الحياة الدنيا وبين البعث الذي تبدأ به الحياة الأخرى مدة جاءت تسميتها في القرآن بالبرزخ؛ لأنها حاجز بين الدنيا والآخرة، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

قال مجاهد في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠]: «ما بين الموت إلى البعث»[٥].

وجاء تسميتها أيضًا في القرآن بزيارة القبور، كما في قوله سبحانه: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢﴾ [التكاثر: ١، ٢] - على المشهور عند المفسرين أن المراد به الموت- وسميت زيارة لقصر مدتها بالنسبة إلى ما

(١) انظر: معارج القبول (٢/ ٧٠٣) وما بعدها.
(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٦/ ٣١٣).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٦٨٤).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٢).
(٥) تفسير الطبري (١٧/ ١١٠).

بعدها، وهي الحياة الأخرى الباقية[١].

**والحياة البرزخية:** هي محل عذاب القبر ونعيمه، والبرزخ أعم من القبر؛ لأنه قد يموت إنسان ويلقى على وجه الأرض، فتأكله السباع، فهو حين ذلك لا يكون في قبر، وإنما هو في برزخ، قال الإمام ابن أبي العز: «واعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه -قبر أو لم يقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا ونسف في الهواء، أو صلب أو غرق في البحر- وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور»[٢].

## ۞ المسألة الرابعة: المراد بالروح، ومستقرها في البرزخ، والفرق بينها وبين النفس، وإبطال دعوى التناسخ وتحضير الأرواح:

### أولًا: المراد بالروح:

هي ما به حياة الأبدان؛ لأنها إذا فارقت البدن ذهبت عنه الحياة، وما دامت في البدن فهو حي. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الروح المدبِّرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»[٣]، و«لا اختصاص للروح بشيء من الجسد، بل هي سارية في الجسد كما تسري الحياة التي هي عرَض في جميع الجسد؛ فإن الحياة مشروطة بالروح، فإذا كانت الروح في الجسد كان فيه حياة، وإذا فارقته الروح فارقته الحياة»[٤].

أما ماهيتها فعلمها عند الله، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: ٨٥]. قال الحافظ ابن كثير: «وقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ أي: من شأنه، ومما استأثر بعلمه دونكم؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ أي: وما أطلعكم من علمه إلا على

(١) شرح الطحاوية، للبراك (ص٣٠٠).
(٢) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٨٠)، وانظر: الروح (ص٧٣).
(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٢).

القليل، فإنه لا يحيط أحد بشيء من علمه إلا بما شاء تبارك وتعالى. والمعنى: أن علمكم في علم الله قليل، وهذا الذي تسألون عنه من أمر الروح[١] مما استأثر به تعالى، ولم يطلعكم عليه، كما أنه لم يطلعكم إلا على القليل من علمه تعالى»[٢].

وقال الإمام السيوطي: «قال [أي: جلال الدين المحلي] في سورة ص: (والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذه فيه) وكنت تبعته أولًا، فذكرت هذا الحد في سورة الحِجْرِ، ثم ضربت عليه؛ لقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ الآية، فهي صريحة أو كالصريحة في أن الروح من علم الله تعالى لا نعلمه، فالإمساك عن تعريفها أولى»[٣].

ولذلك يجب الاقتصار على ما جاءت به النصوص من ماهية الروح، وقد دلت النصوص على أن «الروح عين موجودة قائمة بنفسها، ليست هي البدن ولا جزءًا من أجزائه، وليست مماثلة له، تخرج من البدن، وتصعد وتعرج، وتذهب وتجيء، وتنعَّم وتعذب، وتتكلم وتسأل وتجيب، ليست من جنس الأجسام المتحيزات المشهودة المعهودة، وهي موصوفة بما نطقت به النصوص حقيقة لا مجازًا، وهذا مذهب الصحابة والتابعين، وجمهور سلف الأمة وأئمة السنة»[٤].

### ثانيًا: الروح مخلوقة:

أجمعت الرسل على أن الروح مخلوقة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم،

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قيل: إن الروح هنا ليس هو روح الآدمي، وإنما هو ملَك [كما] في قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ [النبأ: ٣٨]، وقوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]، وقوله: ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم﴾ [القدر: ٤]، وقيل: بل هو روح الآدمي، والقولان مشهوران» (مجموع الفتاوى ٤/ ٢٢٦-٢٢٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ١١٦) باختصار.

(٣) تفسير الجلالين (ص٣٨٠).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ١١٦)، وانظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٢٧)، (٩/ ٣٠٢)، (١٧/ ٣٤١)، درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٥٢).

وأجمع أهل السنة على ذلك، وقد نقل الإجماع على ذلك غير واحد من أئمة أهل السنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «روح الآدمي مخلوقة مبدَعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي، الإمام المشهور الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والاختلاف، أو من أعلمهم، وكذلك أبو محمد بن قتيبة»(١).

وقال ابن القيم: «أجمعت الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- على أنها محدَثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبَّرة، هذا معلوم بالاضطرار من دين الرسل- صلوات الله وسلامه عليهم- كما يعلم بالاضطرار من دينهم أن العالم حادث، وأن معاد الأبدان واقع، وأن الله وحده الخالق وكل ما سواه مخلوق له، وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم- وهم القرون الفضيلة- على ذلك من غير اختلاف بينهم في حدوثها وأنها مخلوقة، حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه في الكتاب والسنة فزعم أنها قديمة غير مخلوقة»(٢).

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، وهي داخلة في هذا العموم، قال ابن القيم: «فهذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ما»(٣).

## ثالثًا: هل تموت الروح؟

قال الإمام ابن أبي العز: «اختلف الناس: هل تموت الروح أم لا؟

فقالت طائفة: تموت، لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت، وقد قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ۝٢٦﴾ [الرحمن: ٢٦]، قالوا: وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أولى بالموت.

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢١٦).
(٢) الروح، لابن القيم (ص١٤٤).
(٣) الروح (ص١٤٦).

**وقال آخرون:** لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان؛ قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها. والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر، فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية، فهي لا تموت بهذا الاعتبار، بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب»[١].

### رابعًا: اتصال الروح بالجسد:

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «**الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق، متغايرة الأحكام:**

**أحدها:** تعلقها به في بطن الأم جنينًا.

**الثاني:** تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض.

**الثالث:** تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه.

**الرابع:** تعلقها به في البرزخ، فإنها وإن فارقته وتجردت عنه، فإنها لم تفارقه فراقًا كليًّا بحيث لا يبقى لها إليه التفات البتة، فإنه ورد ردها إليه وقت سلام المسلم، وورد أنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه. وهذا الرد إعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل يوم القيامة.

**الخامس:** تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن، ولا نسبة لما قبله من أنواع التعلق إليه، إذ هو تعلق لا يقبل البدن معه موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، فالنوم أخو الموت. فتأمَّل هذا يزيح عنك إشكالات كثيرة»[٢].

### خامسًا: مستقر الأرواح بعد الموت:

هذه مسألة عظيمة اختلف الناس فيها اختلافًا كثيرًا، كما يقول الإمام ابن

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٧٠-٥٧١).

(٢) شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٧٨-٥٧٩).

القيم[١]، وهي إنما تتلقى من الوحي، وهو العاصم من الاختلاف، والقول الحق أن أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار، قال الإمام أحمد: «أرواح الكفار في النار، وأرواح المؤمنين في الجنة»[٢].

### أما منازلهم في الجنة فهي متفاوتة وفق ما جاءت به النصوص:

١- **فمنها** أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- وقد كان دعاء النبي ﷺ عند موته: «**اللهم الرفيق الأعلى**»[٣]، وهم متفاوتون في منازلهم كما رآهم النبي ﷺ ليلة الإسراء.

٢- **ومنها:** أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح الشهداء، فعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لما أصيب إخوانكم بأحد، جعل الله عز وجل أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب في ظل العرش**»[٤].

٣- أرواح المؤمنين طير تعلق في شجر الجنة، فعن كعب بن مالك رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنما نسمة المؤمن طائر في شجر الجنة، حتى يبعثه الله عز وجل إلى جسده يوم القيامة**»[٥].

### أقوال المخالفين في مستقر الأرواح:

**قالت فرقة:** مستقرها العدم المحض، وهذا قول من يقول: إن النفس عرَضٌ من أعراض البدن، كحياته وإدراكه! وقولهم مخالف للكتاب والسنة.

**وقالت فرقة:** مستقرها بعد الموت أبدان أخر تناسب أخلاقها وصفاتها التي اكتسبتها في حال حياتها، فتصير كل روح إلى بدن حيوان يشاكل تلك الروح!

(١) انظر: الروح (ص٩٠-٩١). (٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٢٤).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٣٤٨)، ومسلم (ح٢٤٤٤).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٤/ ٢١٨)، وحسنه محققوه.
(٥) أخرجه النسائي (ح٢٠٧٣)، وابن ماجه (ح٤٢٧١)، وصححه الألباني صحيح الجامع (ح٢٣٧٣).

وهذا قول التناسخية منكري المعاد، وهو قول خارج عن أهل الإسلام كلهم[(١)].

## سادسًا: الفرق بين الروح والنفس:

«اختلف الناس في ذلك، فمن قائل: إن مسمَّاهما واحد، وهم الجمهور، ومن قائل: إنهما متغايران»[(٢)]، والصحيح: أنه لا فرق بينهما، فالروح التي بها حياة البدن هي النفس، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»[(٣)]، «لكن يسمى نفسًا باعتبار تدبيره للبدن، ويسمى روحًا باعتبار لطفه؛ فإن لفظ (الروح) يقتضي اللطف»[(٤)].

قال جل وعلا: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فخاطبها بالرجوع إلى ربها وبالدخول في عباده ودخول جنته... والنفس هنا هي الروح التي تقبض، وإنما تتنوع صفاتها»[(٥)].

وقال سبحانه: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلۡأَنفُسَ حِينَ مَوۡتِهَا وَٱلَّتِي لَمۡ تَمُتۡ فِي مَنَامِهَاۖ﴾ [الزمر: ٤٢]، «والمقبوض المتوفى هي الروح»[(٦)].

ويشير الإمام ابن أبي العز الحنفي إلى اتحاد مدلولهما، لكنه يضيف بأنها إذا كانت متصلة بالبدن فالغالب أنها تسمى نفسًا، وإذا لم تكن متصلة فالغالب أنها تسمى روحًا، فيقول: «**التحقيق:** أن النفس تطلق على أمور، وكذلك الروح، فيتحد مدلولهما تارة، ويختلف تارة، فالنفس تطلق على الروح، ولكن غالب ما يسمى نفسًا إذا كانت متصلة بالبدن، وأما إذا أخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها»[(٧)].

---

(١) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٨٤).
(٢) الروح (ص٢١٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٩).
(٤) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٠).
(٥) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٢٥).
(٦) المصدر السابق.
(٧) شرح الطحاوية (٢/ ٥٦٧).

وقال الإمام ابن القيم: «أما الروح التي تتوفى وتقبض، فهي روح واحدة، وهي النفس»[(١)].

## سابعًا: إبطال دعوى التناسخ:

### معنى التناسخ:

**النسخ لغة:** إزالة الشيء ونقله من مكان إلى آخر[(٢)].

**والتناسخ في الاصطلاح:** انتقال الأرواح من جسد إلى آخر، حيث يزعم أصحاب هذا الاعتقاد أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد (بالموت) إلى أجساد أخرى[(٣)].

### نشأة عقيدة التناسخ:

**اختلف أهل العلم في نشأتها:**

١- **فقيل:** بأنها ظهرت في زمن فرعون موسى، يقول ابن الجوزي: «وقد لبَّس إبليس على أقوام فقالوا بالتناسخ، وأن أرواح أهل الخير إذا خرجت دخلت في أبدان خيِّرة فاستراحت، وأرواح أهل الشر إذا خرجت تدخل في أبدان شريرة فيتحمل عليها المشاق، وهذا المذهب ظهر في زمان فرعون موسى»[(٤)].

٢- **وقيل:** إن نشأتها ترجع إلى صابئة حران، يقول الشهرستاني: «إنما نشأ أصل التناسخ والحلول من هؤلاء القوم»[(٥)] يعني: الصابئة الحرنانية، ثم شاعت هذه العقيدة بين أصحاب الملل[(٦)].

٣- **وقيل:** إنها انبثقت من النِّحْلة الهندية، فيذكر البيروني تغلغل عقيدة

---

(١) الروح (ص٢١٩).
(٢) انظر: تاج العروس، للزبيدي (٧/ ٣٥٥).
(٣) انظر: الفصل لابن حزم (١/ ٧٧)، ويراجع تعريفات أخرى في: التعريفات، للجرجاني (ص٩٣)، دراسات في اليهودية والنصرانية وأديان الهند، للأعظمي (ص٦٢٠).
(٤) تلبيس إبليس، لابن الجوزي (ص٧٣).
(٥) الملل والنحل (٢/ ١١٣).
(٦) انظر: الملل والنحل (٣/ ١٠٠).

التناسخ في النحلة الهندية، قائلا: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات[١] علامة اليهودية، كذلك التناسخ علم النحلة الهندية، فمن لم ينتحلْه لم يك منها، ولم يعد من جملتها»[٢].

وهذه الأقوال تبين أن دعوى التناسخ من الأوهام التي شاعت بين الفراعنة وعند صابئة حران، وتغلغلت في النحل والملل الهندية.

وقد انتقلت هذه العقيدة إلى بعض الغلاة من الفرق الباطنية المنتسبة إلى التشيع[٣]، وبعض غلاة المعتزلة[٤].

## ❐ إبطال دعوى التناسخ:

دعوى التناسخ دعوى باطلة، ويكفي في بيان بطلانها مناقضتها لعقيدة الإيمان باليوم الآخر الذي اتفقت عليه الرسالات، وجاء بتقريرها جميع الرسل والأنبياء، وإنما ذهب إليها من لم يؤمن بما جاء به الأنبياء من المعاد واليوم الآخر.

ومما يبطل هذه العقيدة من القرآن قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، **ووجه الاستشهاد بها على بطلان التناسخ:** أن الآية تثبت أن الموت محتوم، فلا حياة للنفس في جسد آخر، والجزاء يكون يوم القيامة لا في الدنيا، وقوله سبحانه: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يس: ٣١].

(١) **الإسبات:** الدخول في السبت. انظر: لسان العرب (٣/ ١٩١٢)، ويوم السبت يوم مقدس عند اليهود يحرمون العمل فيه، جاء في سفر الخروج [إصحاح ٣١: ١٥]: «ستة أيام يُصنع عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب، كل من صنع عملًا في يوم السبت يقتل قتلًا».

(٢) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة، لأبي الريحان البيروني (ص٣٩).

(٣) **وهي:** البيانية والجناحية والخطابية والراوندية. انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٥٤).

(٤) **وهم:** أحمد بن حائط، وتلميذه أحمد بن أيوب بن مانوس، وأحمد القحطي، وأبو مسلم الحراني، وعبد الكريم بن أبي العوجاء. انظر: الفرق بين الفرق (ص٢٥٥-٢٥٦).

**وبالجملة؛** فكل آيات اليوم الآخر تبطل دعوى التناسخ، ووجه الاستشهاد: أن آيات اليوم الآخر تدل على أن الجزاء يكون يوم القيامة، لا في جسد آخر في الدنيا، كما يقوله هؤلاء المبطلون.

قال الإمام ابن حزم: «يكفي من الرد عليهم إجماع جميع أهل الإسلام على تكفيرهم، وعلى أن من قال بقولهم فإنه على غير الإسلام، وأن النبي ﷺ أتى بغير هذا، وبما المسلمون مجمعون عليه من أن الجزاء لا يقع إلا بعد فراق الأجساد للأرواح بالنكر أو التنعم قبل يوم القيامة، ثم بالجنة أو النار في موقف الحشر فقط إذا جمعت أجسادها مع أرواحها التي كانت فيها»[(١)].

## ثامنًا: إبطال دعوى تحضير الأرواح:

### ❐ تعريفها:

هي: «محاولات ترمي إلى الاتصال بأرواح الموتى عن طريق بعض الوسطاء»[(٢)].

جاء في مجلتهم (عالم الروح): «يمكن الاتصال بأرواح الموتى والإفادة منهم بعلم العالم، وطب الطبيب، وأدب الأديب. . .» إلخ[(٣)].

هذا ما يقولونه في تعريفها إلا أن حقيقتها وواقعها هي -كما جاء في جواب اللجنة الدائمة- أنها «استخدام الجني واستحضاره بأدعية وتعويذات يقوم بها مستحضره»[(٤)].

### ❐ وجوه بطلانها:

١- من الأدلة على بطلان تحضير الأرواح وعودتها إلى الحياة مرة أخرى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١/ ٧٧).

(٢) المعجم الفلسفي، مجمع اللغة العربية بالقاهرة (ص٤٠).

(٣) الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية، علي العبيدي (ص١٥).

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٦٤٤).

فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، فأخبر تعالى أن الروح إذا قبضها الله بالموت لا يملك أحد إرجاعها.

وقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الزمر: ٤٢]، فأخبر جل وعلا أنه يمسك الروح المقبوضة المحكوم عليها بالموت فلا يستطيع أحد أن يرسلها.

**٢-** لم يثبت أن أرواح الأموات تتصل بالأحياء في غير المنام، يقول الشيخ ابن باز: «الذي عليه السلف من أن أرواح الأموات باقية إلى ما شاء الله وتسمع، ولكن لم يثبت أنها تتصل بالأحياء في غير المنام، كما أنه لا صحة لما يدعيه المشعوذون من قدرتهم على تحضير أرواح من يشاؤون من الأموات ويكلمونها ويسألونها، فهذه ادعاءات باطلة ليس لها ما يؤيدها من النقل ولا من العقل»(١). أما اتصال الأموات بالأحياء في المنام فهذا يشهد له الواقع، ويذكر الإمام ابن القيم جملة من الشواهد على ذلك، فيقول: «قد دل التقاء أرواح الأحياء والأموات أن الحي يرى الميت في منامه فيستخبره، ويخبره الميت بما لا يعلم الحي فيصادف خبره كما أخبر في الماضي والمستقبل، وربما أخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه، وربما أخبره بدَين عليه، وذكر له شواهده وأدلته، وأبلغ من هذا أنه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه أحد من العالمين، وأبلغ من هذا أنه يخبره أنك تأتينا إلى وقت كذا وكذا، فيكون كما أخبر، وربما أخبره عن أمور يقطع الحي أنه لم يكن يعرفها غيره»(٢).

**٣-** ومما يدل على بطلانها أنها خرافة كانت منتشرة عند المصريين القدماء

(١) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣١١).
(٢) الروح (ص٢١).

والآشوريين والهنود والرومان والإسرائيليين[(١)]، ثم ساهم في انتشارها ما يسمى بـ(الروحية الحديثة)، وهي التي «تدَّعي استحضار أرواح الموتى بأساليب علمية، وتهدف إلى التشكيك في الأديان والعقائد، وتبشر بدين جديد، وتلبس لكل حالة لباسها، ظهرت في بداية هذا القرن في أمريكا، ومن ورائها اليهود ثم انتشرت في العالَمَين العربي والإسلامي»[(٢)]، وقد انخدع بها كثير ممن فقدوا نور الوحي حتى قيل: إن عدد من ينتمي إلى هذه الجمعيات ويترددون عليها في أمريكا وحدها عشرة ملايين[(٣)]، وهذا يدل على قدر الخواء الروحي الذي يعيشه هؤلاء، وقدر حاجتهم إلى الإيمان الحق الذي تحيا به الأرواح وتطمئن به القلوب.

**٤-** أنكر علماء الإسلام دعوى تحضير الأرواح، وقالوا بأنها من أعمال الجن والشياطين، يقول الشيخ محمد الخضر حسين: «رأيي أن إحضار الأرواح إنما هو إحضار للجن»[(٤)]، ويقول الشيخ محمد عبده: «حضرت في أوربا مؤتمرًا يجمع أكابر هذا الفن، فحضرتْ أرواحُ كَثِيرِين، وبعضهم ممن أعرفه قبل وفاته، ورأيت ذلك مطابقًا لما علمته عن هؤلاء الناس، فسألتهم- وكلهم اتجهوا إلي ليسمعوا سؤالي- فقلت لهم: إن رأيي في هذا أنه عمل من أعمال الجن، وناقشتهم مناقشة جدية في هذا الموضوع إلى أن تحديتهم بإحضار روح المصطفى -عليه الصلاة والسلام- لأسأله عن الأحاديث الصحيحة الواردة عنه، ولأتبين فصاحته وبلاغته في منطقه إذا تكلم في ذلك الوقت، وكثير من المستشرقين الحاضرين يمكنهم الحكم على ذلك، وليقيني بأن النبي ﷺ محفوظ من أن يتمثل الشيطان بصورته ويؤدي ما يؤديه علمت أني سأفوز عليهم، فلم يلبثوا أن عجزوا جميعًا معتذرين بأن هذه روح عالية لا

---

(١) انظر: دائرة معارف القرن العشرين، لمحمد فريد وجدي (٤/ ٣٦٦).

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (٢/ ٨٣٦).

(٣) انظر: الموسوعة الشاملة لمذهب الروحية (١/ ٣٧٥).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٥٢).

يمكن إحضارها، ومن ذلك يتبين جليًّا أن هذا عمل من أعمال الجن»[(١)].

ويقول الشيخ ابن باز: «شاع بين كثير من الناس من الكتّاب وغيرهم ما يسمى بعلم تحضير الأرواح، وزعموا أنهم يستحضرون أرواح الموتى بطريقة اخترعها المشتغلون بهذه الشعوذة، يسألونها عن أخبار الموتى؛ من نعيم وعذاب وغير ذلك من الشؤون التي يظن أن عند الموتى علمًا بها في حياتهم، ولقد تأملت هذا الموضوع كثيرًا فاتضح لي أنه علم باطل، وأنه شعوذة شيطانية يراد منها إفساد العقائد والأخلاق، والتلبيس على المسلمين، والتوصل إلى دعوى علم الغيب في أشياء كثيرة»[(٢)].

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة أن هذه الدعوى «نوع من الشعوذة والكهانة، وهو ممنوع شرعًا؛ لما فيه غالبًا من الشرك والكذب ودعوى علم الغيب ونحو ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا ٦﴾ [الجن: ٦]، وقال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ قَدِ ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِۖ وَقَالَ أَوۡلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ رَبَّنَا ٱسۡتَمۡتَعَ بَعۡضُنَا بِبَعۡضٖ وَبَلَغۡنَآ أَجَلَنَا ٱلَّذِيٓ أَجَّلۡتَ لَنَاۚ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعۡضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعۡضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٢٩﴾»[(٣)] [الأنعام: ١٢٩].

وجاء في فتاوى اللجنة الدائمة أيضًا: «تحضير الأرواح عمل شيطاني، واستخدام للجن ينافي عقيدة التوحيد؛ لأنه لا يتم إلا بأعمال شركية، والذي يتكلم ويعطي المعلومات المذكورة في السؤال ليس هو الأرواح، وإنما هم الشياطين تتكلم بهذه الأشياء تضل بني آدم، أما الأرواح فلا يقدر أحد على إحضارها إلا الله سبحانه وتعالى، فيجب اعتقاد بطلان هذا العمل وإنكاره، وعدم حضوره وعدم تصديقه»[(٤)].

(١) المصدر السابق (١/ ٣٥٢-٣٥٣).
(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣٠٩).
(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٦٤٤-٦٤٥).
(٤) فتاوى اللجنة الدائمة (١/ ٢٥٧).

**قلت:** وقد يكون منها ما لا حقيقة له أصلًا، وإنما هو من باب الخداع والدجل.

## ۞ المسألة الخامسة: فتنة القبر وسؤال منكر ونكير، وأدلة ذلك:

### أولًا: تعريفها:

هي الاختبار الذي يحصل للميت في قبره، وذلك بأن يأتيه ملكان، فيقعدانه، ويسألانه عن ربه ودينه ونبيه، قال الحافظ ابن حجر: «فتنة القبر هي سؤال الملكين وعذاب القبر»(١).

### ثانيًا: أدلة فتنة القبر:

فتنة القبر ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

**أما الكتاب** فقوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧]، قال البغوي: «قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ كلمة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا الله ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، يعني: قبل الموت، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ يعني في القبر. هذا قول أكثر أهل التفسير. وقيل: ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾؛ عند السؤال في القبر، ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾؛ عند البعث، والأول أصح»(٢)، ويؤيده حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر: يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧]»(٣).

**وأما السنة**: فعن أسماء، قالت: أتيتُ عائشةَ وهي تصلي فقلت: ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء، فإذا الناس قيام، فقالت: سبحان الله، قلت:

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ١٧٧).
(٢) تفسير البغوي (٤/ ٣٤٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٦٩٩).

آية؟ فأشارت برأسها: أي نعم، فقمت حتى تجلاني الغَشْيُ، فجعلت أصبُّ على رأسي الماء، فحمد اللهَ ﷻ النبيُّ ﷺ وأثنى عليه، ثم قال: «**ما من شيء لم أكن أُرِيتُه إلا رأيته في مقامي، حتى الجنة والنار، فأوحي إلي: أنكم تفتنون في قبوركم – مثل أو – قريب** – لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء – **من فتنة المسيح الدجال، يقال ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن** – لا أدري بأيهما قالت أسماء – **فيقول: هو محمد رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا واتبعنا، هو محمد ثلاثًا، فيقال: نم صالحًا قد علمنا إنْ كنتَ لموقنًا به. وأما المنافق أو المرتاب** – لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء – **فيقول: لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يقول: «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم، والمأثم والمغرم، ومن فتنة القبر، وعذاب القبر**»(٢).

وجاء في حديث البراء بن عازب الطويل أن النبي ﷺ قال: «**فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان، فيجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله...**» الحديث(٣).

وفي حديث آخر: «**أتاه ملكان أسودان أزرقان؛ يقال: لأحدهما المنكر، وللآخر: النكير**»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إن الميت إذا وضع في قبره؛ إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنًا؛ كانت الصلاة عند رأسه، والصيام عن يمينه، والزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان عند رجليه؛ فيؤتَى من قِبَل رأسه، فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى**

(١) أخرجه البخاري (ح٨٦)، ومسلم (ح٩٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٣٦٨)، ومسلم (ح٢٧٠٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (ح١٨٥٣٤)، وأبو داود في السنن (ح٤٧٥٣) وإسناده صحيح.

(٤) سبق تخريجه.

**من يمينه، فيقول الصيام: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى من يساره، فتقول الزكاة: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى من قِبَل رجليه، فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان: ما قِبَلي مدخل. فيقال له: اجلس. فيجلس، وقد مثلت له الشمس وقد أخذت في الغروب، فيقال له: هذا الرجل الذي كان فيكم؛ ما تقول فيه؟ وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي. فيقولون: إنك ستصلي؛ أخبرنا عمَّا نسألك عنه...»** الحديث[(١)].

وكان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، وقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له التثبيت؛ فإنه الآن يسأل**[(٢)]»[(٣)].

وأجمع السلف على إثبات فتنة القبر، قال الإمام الأشعري: «وقد أجمع على ذلك [أي: عذاب القبر] الصحابة والتابعون -رضي الله عنهم أجمعين»[(٤)].

وقال القرطبي: «الإيمان بعذاب القبر وفتنته: واجب، والتصديق به: لازم حسب ما أخبر به الصادق، وأن الله تعالى يحيي العبد المكلف في قبره بردِّ الحياة إليه، ويجعله من العقل في مثل الوصف الذي عاش عليه؛ ليعقل ما يسأل عنه وما يجيب به، ويفهم ما أتاه من ربه، وما أعد له في قبره من كرامة أو هوان، وبهذا نطقت الأخبار عن النبي المختار ﷺ وعلى آله آناء الليل وأطراف النهار، وهذا مذهب أهل السنة والذي عليه الجماعة من أهل

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٣٥)، وابن حبان كما في موارد الظمآن (ح٧٨١)، وقال البوصيري في الزوائد (٢/ ٤٩١): «رجاله ثقات»، وحسنه الألباني (التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان ٥/ ٩٥).

(٢) قال شيخنا عبد الرحمن البراك: «ويظهر لي أنه ليس لنا أن نقول: **(فإنه الآن يسأل)** وإنما نقول: استغفروا لأخيكم، واسألوا له التثبيت فقط، أما أن نحكم على الميت بأنه الآن يسأل، فهذا لا علم لنا به على الخصوص» (شرح الطحاوية، للبراك ص: ٢٩٥).

(٣) أخرجه أبو داود (ح٣٢٢١)، والبزار في السنن (ح٤٤٥)، والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٠) وصححه، وقال النووي في الخلاصة (٢/ ١٠٢٨): «إسناده حسن».

(٤) الإبانة عن أصول الديانة (ص١٥).

الملة»[١].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فيؤمنون بفتنة القبر وبعذاب القبر وبنعيمه، فأما الفتنة فإن الناس يفتنون في قبورهم، فيقال للرجل: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ فيثبِّتُ الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة، فيقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد ﷺ نبيِّي، وأما المرتاب فيقول: هاه هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئًا فقلته، فيضرب بمرزبة من حديد فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق، ثم بعد هذه الفتنة: إما نعيم وإما عذاب إلى أن تقوم القيامة الكبرى»[٢].

### وفي فتنة القبر مسائل، منها:

**الأولى**: أن السؤال يحصل حين يوضع الميت في قبره، وفي هذا رد على بعض أهل البدع[٣] الذي يقولون: إن السؤال يقع بين النفختين[٤].

**الثانية: هل السؤال للروح أم للبدن؟**

**قال بعض الناس**: إن السؤال للروح، وقال بعضهم: السؤال للبدن، والأحاديث الصحيحة ترد القولين؛ لأن فيها النص على أن الروح تعاد إلى جسد الميت، لكن هذه الإعادة ليست كالحياة المعهودة في الدنيا، فلا يعلم كيفيتها إلا الله، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «عود الروح إلى بدن الميت في القبر ليس مثل عودها إليه في هذه الحياة الدنيا؛ وإن كان ذاك قد يكون أكمل من بعض الوجوه، كما أن النشأة الأخرى ليست مثل هذه النشأة؛ وإن كانت

(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٣٦٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥).
(٣) وهم بعض المعتزلة. انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٢).
(٤) انظر: الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٢٧٣).

أكمل منها، بل كل موطن في هذه الدار وفي البرزخ والقيامة له حكم يخصه»[(١)].

**الثالثة: كيف يسأل من أكلته السباع أو ذرته الرياح أو تقطعت أوصاله؟**

**فإن قال قائل:** لو أن هذا الرجل تمزق أوصالًا، وأكلته السباع، وذرته الرياح؛ فكيف يكون عذابه، وكيف يكون سؤاله؟!

**فالجواب:** أن الله ﷻ على كل شيء قدير، وهذا أمر غيبي؛ فالله ﷻ قادر على أن يجمع هذه الأشياء في عالم الغيب، وإن كنا نشاهدها في الدنيا متمزقة متباعدة، لكن في عالم الغيب ربما يجمعها الله، فانظر إلى الملائكة تنزل لقبض روح الإنسان في المكان نفسه؛ كما قال تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ۝٨٥﴾ [الواقعة: ٨٥]، ومع ذلك لا نبصرهم. وملك الموت يكلم الروح، ونحن لا نسمع.

وجبريل يتمثل أحيانًا للرسول -عليه الصلاة والسلام- ويكلمه بالوحي في نفس المكان، والناس لا ينظرون ولا يسمعون.

فعالم الغيب لا يمكن أبدًا أن يقاس بعالم الشهادة، وهذه من حكمة الله ﷻ؛ فنفسك التي في جوفك ما تدري كيف تتعلق ببدنك؟! كيف هي موزعة على البدن؟! وكيف تخرج منك عند النوم؟! هل تحس بها عند استيقاظك بأنها ترجع؟! ومن أين تدخل لجسمك؟!

فعالم الغيب ليس فيه إلا التسليم، ولا يمكن فيه القياس إطلاقًا؛ فالله ﷻ قادر على أن يجمع هذه المتفرقات من البدن المتمزق الذي ذرته الرياح، ثم يحصل عليه المساءلة والعذاب أو النعيم؛ لأن الله سبحانه على كل شيء قدير[(٢)].

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٤).

(٢) انظر: شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١٢٣-١٢٤).

## ۞ المسألة السادسة: ضغطة القبر؛ معناها، والأدلة عليها، والفرق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر:

### أولًا: معناها:

قال الفيومي: «ضغطه ضغطًا من باب نَفَع: زَحَمَه إلى حائط وعَصَرَه، ومنه: ضغطة القبر؛ لأنه يضيق على الميت، والضُّغطة -بالضم: الشدة»(١).

و«المراد بضغطة القبر: التقاء جانبيه على جسد الميت»(٢).

### ثانيًا: أدلتها:

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: «**إن للقبر ضغطة، ولو كان أحدٌ ناجيًا منها نجا منها سعد بن معاذ**»(٣).

قال المناوي: «أفاد الخبر أن ضغطة القبر لا ينجو منها أحد صالح ولا غيره، لكن خص منه الأنبياء»(٤).

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن رسول الله ﷺ قال عن سعد بن معاذ - حين توفي: «**هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضم ضمة، ثم فرج عنه**»(٥).

وعن أبي أيوب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن صبيًّا دفن، فقال رسول الله ﷺ: «**لو أفلت أحدٌ من ضمة القبر؛ لأفلت هذا الصبي**»(٦).

---

(١) المصباح المنير (٢/ ٣٦٢).
(٢) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠١-١٠٢)، لوامع الأنوار، السفاريني (٢/ ١٦).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (٤٠/ ٣٢٧)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح١٦٩٥).
(٤) فيض القدير (٥/ ٣٣٣).
(٥) أخرجه النسائي (ح٢٠٥٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٦٩٨٧).
(٦) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤/ ١٢١)، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٣/ ٤٧)، وصححه الحافظ ابن حجر (المطالب العالية ١٨/ ٤٧٥)، والألباني (السلسلة الصحيحة ح٢١٦٤).

### ثالثًا: وقتها:

لم يرد في تحديد ذلك دليل، ولكن قيل: إن ذلك قبل سؤال الملكين، قال الرملي: «ضغطة القبر قبل سؤال الملكين؛ لأنها تعم المؤمن وغيره، فقد قال ابن أبي مليكة: ما أجير من ضغطة القبر أحد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها»[(١)]، ولكن المتعين في هذه المسألة وأمثالها من أمور الغيب التوقف حتى يرد دليل يعتمد عليه.

### رابعًا: الفرق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر:

**الفرق بينهما من وجهين:**

**الوجه الأول:** أن ضغطة المؤمن منقطعة، وضغطة الكافر مستمرة، فالمؤمن يضم في قبره ثم يفرج عنه ويفسح له في قبره، قال أبو القاسم السعدي: «لا ينجو من ضغطة القبر صالح ولا طالح، غير أن الفرق بين المسلم والكافر فيها دوام الضغط للكافر، وحصول هذه الحالة للمؤمن في أول نزوله إلى قبره ثم يعود إلى الإفساح له فيه»[(٢)].

وقال أبو المعين النسفي: «ضغطة القبر حق سواء كان مؤمنًا أو كافرًا أو مطيعًا أو فاسقًا، لكن إذا كان كافرًا فعذابه يدوم في القبر إلى يوم القيامة... ثم المؤمن على وجهين: إن كان مطيعًا لا يكون له عذاب القبر، ويكون له ضغطته فيجد هول ذلك وخوفه، لما أنه كان تنعم بنعمة الله تعالى ولم يشكر النعمة، وإن كان عاصيًا يكون له عذاب القبر وضغطة القبر، لكن ينقطع عنه عذاب القبر»[(٣)].

وقال الحكيم الترمذي: «سبب هذا الضغط أنه ما من أحد إلا وقد ألَمَّ بذنب ما فتدركه هذه الضغطة جزاءً لها، ثم تدركه الرحمة»[(٤)].

---

(١) فتاوى الرملي (٤/ ٣٨٤).
(٢) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠١). (٣) بحر الكلام (ص٢١٩-٢٢٠).
(٤) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠٢).

**الوجه الثاني**: أن ضمة القبر تكون للمؤمن الصالح ضمة رفق وحنان، وأما الكافر فضغطة شدة وعذاب، قال علي القاري: «ضغطة القبر لبعض المؤمنين بل لأكابر الموحدين -كسعد بن معاذ سيد الأنصار الذي حمل جنازته سبعون ألف ملك، واهتز لموته عرش الرحمن- فإنما هو ضمة للأرض كمعانقة الأم المشتاقة لولدها»[(١)]، وقال الشيخ ابن عثيمين: «ضمة القبر للمؤمن كضمة الأم الرحيمة لولدها، يعني: ليس هو ضمًّا يؤلم أو يؤذي»[(٢)].

وقيل: إن ضمة القبر للمؤمن فيها شدة، وتتفاوت شدتها بحسب حاله، وإليه يميل شيخ الإسلام ابن تيمية فيما يفهم من ظاهر كلامه؛ حيث ذكر أن من أسباب مغفرة الذنوب «ما يحصل في القبر من الفتنة والضغطة والروعة؛ فإن هذا مما يكفر به الخطايا»[(٣)].

والذي يؤيده ظاهر الأحاديث السابقة؛ هو أن ضغطة القبر للمؤمن فيها شدة؛ فإن التعبير بالنجاة والتفريج والإفلات لا يكون إلا فيما فيه شدة وألم، والله أعلم.

ويستثنى منها الأنبياء، قال الحكيم الترمذي: «وأما الأنبياء فلا يعلم أن لهم في القبور ضمة ولا سؤالًا لعصمتهم»[(٤)].

❊ ❊ ❊

---

(١) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ١١٨١)، وانظر: حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠٣).
(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧/ ٤٧٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠١).
(٤) حاشية السيوطي على سنن النسائي (٤/ ١٠٣).

## ۞ المسألة السابعة: أدلة عذاب القبر ونعيمه، والرد على منكري عذاب القبر إجمالًا:

### أولًا: أدلة عذاب القبر ونعيمه:

**الأدلة من القرآن على إثبات عذاب القبر ونعيمه كثيرة**، منها قوله تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، قال الحافظ ابن كثير: «وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ﴾»[١].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلۡمَوۡتِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ أَخۡرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُۖ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيۡرَ ٱلۡحَقِّ وَكُنتُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِهِۦ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٩٣﴾ [الأنعام: ٩٣]، قال الشوكاني: «أرادوا باليوم الوقت الذي يعذبون فيه الذي مبدؤه عذاب القبر»[٢].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٢١﴾ [السجدة: ٢١]، قال السعدي: «وهذه الآية من الأدلة على إثبات عذاب القبر، ودلالتها ظاهرة؛ فإنه قال: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ﴾؛ أي: بعض وجزء منه، فدل على أن ثمَّ عذابًا أدنى قبل العذاب الأكبر، وهو عذاب النار»[٣].

وقوله جل وعلا: ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٖ ١٠١﴾ [التوبة: ١٠١]، والمراد بقوله: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾: عذاب الدنيا وعذاب القبر، قاله مجاهد، والحسن البصري، وابن جريج، وقتادة[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١٤٦).
(٢) فتح القدير للشوكاني (٢/ ١٦٠).
(٣) تفسير السعدي (ص٦٥٦).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٢٠٥).

وقوله سبحانه: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الطور: ٤٥ - ٤٧]، قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا، وأن يراد به عذابهم في البرزخ، وهو أظهر، لأن كثيرًا منهم مات ولم يعذب في الدنيا، أو المراد أعم من ذلك»[(١)].

«**وأما نصوص السنة في إثبات عذاب القبر** فقد بلغت الأحاديث في ذلك مبلغ التواتر؛ إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول الله ﷺ»[(٢)].

قال الإمام ابن أبي العز: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتي بما تحار فيه العقول؛ فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا»[(٣)].

ومن هذه الأحاديث ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ مر بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما: فكان لا يستبرئ من البول، وأما الآخر: فكان يمشي بالنميمة**»، فدعا بجريدة رطبة، فشقها نصفين، وقال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليقل: أعوذ بالله من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا**

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٥٧٣).
(٢) معارج القبول (٢/ ٧٢١).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٧٨).
(٤) أخرجه البخاري (ح٢١٨)، ومسلم (ح٢٩٢).

**والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»**[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلت عليَّ عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت: إن أهل القبور يعذبون في قبورهم. قالت: فكذبتها ولم أنعم أن أصدقها، قالت: فخرجت فدخل علي رسول الله ﷺ، فقلت: يا رسول الله، عجوز من عجائز أهل المدينة دخلت علي، فزعمت أن أهل القبور يعذبون في قبورهم. فقال: «**صدقت. إنهم يعذبون عذابًا يسمعه البهائم كلها**»، فما رأيته بعد في صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر[٢].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت[٣] إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين؛ كالإسماعيلية والنصيرية وسائر القرامطة: من بني عبيد وغيرهم الذين بأرض مصر والشام وغيرهما؛ فإن أهل الخيل يقصدون قبورهم لذلك، كما يقصدون قبور اليهود والنصارى، والجهال تظن أنهم من ذرية فاطمة وأنهم من أولياء الله وإنما هو من هذا القبيل، فقد قيل: إن الخيل إذا سمعت عذاب القبر حصلت لها من الحرارة ما يذهب بالمغل»[٤].

**وأما الإجماع** فقد نقل الإمام الأشعري إجماع أهل السنة على أنهم «يقرون... بعذاب القبر»[٥]، وقال الإمام النووي: «اعلم أن مذهب أهل السنة إثبات عذاب القبر، وقد تظاهرت عليه دلائل الكتاب والسنة»[٦]، وقال الإمام عبد الغني المقدسي: «الإيمان بعذاب القبر حق واجب، وفرض لازم. رواه عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب، وأبو أيوب، وزيد بن ثابت، وأنس بن

(١) أخرجه مسلم (ح٥٨٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٦٣٦٦)، ومسلم (ح٥٨٦).
(٣) **مغلت الدابة:** أكلت التراب مع البقل، فأخذها لذلك وجع في بطنها، انظر: تاج العروس (٣٠/ ٤١٢).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٧).
(٥) مقالات الإسلاميين (ص٢٩٣).
(٦) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٠٠).

مالك، وأبو هريرة، وأبو بكرة، وأبو رافع، وعثمان بن أبي العاص، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وعائشة زوج النبي ﷺ، وأختها أسماء، وغيرهم رضي الله عنهم، وكذلك الإيمان بمساءلة منكر ونكير»[(١)].

وقال أبو حيان: «والأحاديث الصحيحة قد استفاضت بعذاب القبر، فوجب القول به واعتقاده»[(٢)].

## ثانيًا: الرد على منكري عذاب القبر ونعيمه:

المنكرون لعذاب القبر هم الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة[(٣)]، قال الأشعري: «الخوارج لا يقولون بعذاب القبر، ولا ترى أن أحدًا يعذب في قبره»[(٤)]، وقال أيضًا: «اختلفوا في عذاب القبر، فمنهم من نفاه، وهم المعتزلة والخوارج، ومنهم من أثبته وهم أكثر أهل الإسلام»[(٥)]، لكن قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هو قول البغداديين من المعتزلة دون البصرية»[(٦)]، وقال الملطي: «وأنكر جهم عذاب القبر ومنكرًا ونكيرًا»[(٧)].

قال العلامة ابن عثيمين: «وقد ضل قوم من أهل الزيغ فأنكروا عذاب القبر ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفة الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميت في قبره لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق، وهذا الزعم باطل»[(٨)].

---

(١) الاقتصاد في الاعتقاد للمقدسي (ص١٧٢-١٧٥).

(٢) البحر المحيط في التفسير (١/ ٢١١).

(٣) انظر: شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٠١).

(٤) مقالات الإسلاميين (ص١٢٧). (٥) مقالات الإسلاميين (ص٤٣٠).

(٦) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ٣٤٨)، وراجع كلام المعتزلة في: شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٢)، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، للقاضي عبد الجبار (ص٢٠٢)، الفائق في أصول الدين، لابن الملاحمي (ص٥٤١).

(٧) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص١٢٤).

(٨) شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص١٠٨).

### والرد عليهم من وجوه، منها:

**الأول:** أن عذاب القبر ونعيمه ثابت بالقرآن والسنة المتواترة، فلا يجوز معارضة هذه النصوص بالأوهام.

**الثاني:** أن ما ثبت في الكتاب والسنة وجب تصديقه والإيمان به، سواء أدركته عقولنا وحواسنا أم لا؛ لأنه لا يعارَض الشرع بالعقل، لا سيما في الأمور التي لا مجال للعقل فيها.

**الثالث:** أن أحوال القبر من أمور الآخرة التي اقتضت حكمة الله أن يحجبها عن حواس الخلق وعقولهم امتحانًا لهم، ولا يجوز أن تقاس بأحوال الدنيا لتباين ما بين الدنيا والآخرة[١].

**الرابع:** الاعتبار بحال النائم، فقد يرى في نومه أنه في مكان ضيق موحش فيتأذى به، وقد يرى أنه في مكان واسع فسيح فيتنعم به، وغير ذلك مما يشعر به الإنسان في نومه، ومن حوله لا يشعر بما يجري له[٢].

## المسألة الثامنة: وقوع العذاب والنعيم على الروح والبدن:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، تُنعَّم النفس وتُعذَّب منفردة عن البدن، وتعذب متصلة بالبدن، والبدن متصل بها، فيكون النعيم والعذاب عليهما في هذه الحال مجتمعين، كما يكون للروح منفردة عن البدن، وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة والكلام، وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث؛ قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح، وأن البدن لا ينعم ولا يعذب، وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان، وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين، ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين

---

(١) تعليقات على العقيدة الواسطية (٤/ ٢٩٤-٢٩٥) ضمن مجموع فتاوى ورسائل العثيمين.

(٢) انظر: شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (ص١٠٨).

يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ، وإنما يكون عند القيام من القبور، وقول من يقول: إن الروح بمفردها لا تُنعَّم ولا تُعذَّب، وإنما الروح هي الحياة، وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة، وأصحاب أبي الحسن الأشعري كالقاضي أبي بكر وغيرهم، وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وهذا قول باطل؛ خالفه الأستاذ أبو المعالي الجويني وغيره؛ بل قد ثبت في الكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن، وأنها منعمة أو معذبة»[(١)]، وقال أيضًا: «مذهب سلف الأمة وأئمتها أن العذاب أو النعيم لروح الميت وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأيضًا تتصل بالبدن أحيانًا فيحصل له معها النعيم أو العذاب، ولأهل السنة قول آخر أن النعيم أو العذاب يكون للبدن دون الروح، وعلماء الكلام لهم أقوال شاذة فلا عبرة بها»[(٢)].

ومن أدلة ذلك ما جاء في حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه**»، زاد في حديث جرير، قال: «**ثم يقيض له أعمى أبكم معه مرزبة من حديد، لو ضرب بها جبل لصار ترابًا**» قال: «**فيضربه بها ضربة يسمعها ما بين المشرق والمغرب إلا الثقلين فيصير ترابًا**» قال: «**ثم تعاد فيه الروح**»[(٣)]، «فقد صرح الحديث بإعادة الروح إلى الجسد، وباختلاف أضلاعه، وهذا بيِّنٌ في أن العذاب على الروح والبدن مجتمعَين»[(٤)].

قال الإمام ابن القيم: «إن الله سبحانه جعل الدُّور ثلاثًا: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا لها؛ ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٢- ٢٨٣)، وانظر: شرح حديث النزول (ص١٥٠).
(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٦٤-٣٦٥).
(٣) أخرجه أبو داود (ح٤٧٥٣)، وصححه الألباني (تخريج مشكاة المصابيح ح١٣١).
(٤) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٨٩)، وانظر: المصدر السابق (٤/ ٢٩٥).

وإن أضمرت النفوس خلافه، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعًا لها، فكما تبعت الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والْتَذَّت براحتها وكانت هى التي باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هى التي تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها تجري أحكام البرزخ على الأرواح، فتسري إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا، كما تجري أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيمًا أو عذابًا، فأحِطْ بهذا الموضع علمًا واعرفْه كما ينبغى، يُزِلْ عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج، وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجًا في الدنيا من حال النائم؛ فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلًا والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيرًا مشاهَدًا، فيرى النائم في نومه أنه ضرب، فيصبح وأثر الضرب في جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب، فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فِيهِ، ويذهب عنه الجوع والظمأ، وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك»[(١)].

وقال العلامة ابن عثيمين: «المعروف عند أهل السنة والجماعة أنه في الأصل على الروح، والبدن تابع لها؛ كما أن العذاب في الدنيا على البدن، والروح متابعة له، وكما أن الأحكام الشرعية في الدنيا على الظاهر، وفي الآخرة بالعكس؛ ففي القبر يكون العذاب أو النعيم على الروح، لكن الجسم يتأثر بهذا تبعًا، وليس على سبيل الاستقلال، وربما يكون العذاب على البدن والروح تتبعه، لكن هذا لا يقع إلا نادرًا؛ إنما الأصل أن العذاب على الروح والبدن تبع، والنعيم للروح والبدن تبع»[(٢)].

---

(١) الروح (ص٦٣-٦٤).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (٢/ ١٢٠).

## ۞ المسألة التاسعة: أنواع عذاب القبر:

عذاب القبر باعتبار دوامه وانقطاعه «**نوعان:**

منه ما هو دائم[١]، كما قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ [غافر: ٤٦]، وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر: «**ثم يفتح له باب إلى النار، فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة**»[٢].

**والنوع الثاني:** أنه مدة ثم ينقطع، وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم، فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه»[٣].

وأما باعتبار اختلاف أصناف العذاب بحسب الذنب الذي اقترفه صاحبه في الدنيا، سواء كان للكفار أم للعصاة، فقد جاءت الأحاديث الصحيحة ببيان أنواع من العذاب في القبور، **فمن ذلك:**

١- **الضرب بمطرقة من حديد**، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**العبد إذا وضع في قبره، وتولى وذهب أصحابه حتى إنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان، فأقعداه، فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدًا من الجنة**»، قال النبي ﷺ: «**فيراهما جميعًا، وأما الكافر - أو المنافق - فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين**»[٤].

---

(١) وهو عذاب الكافرين.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٨/ ٢٩١) لكن بدون قوله: «**فينظر...**»، وأخرجه الطبراني في الكبير (١٣/ ٣٥٥) بلفظ: «**فينظر إلى مقعده من النار بكرة وعشيًا**»، قال الهيثمي: «رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ٢/ ٣٢٨).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٥٨٢)، وانظر: الروح (ص٨٩).

(٤) أخرجه البخاري (ح١٣٣٨).

**٢- أن يفرش له قبره نارًا، ويلبس نارًا، ويفتح له باب إلى النار، ويضيّق عليه قبره، ويضرب بمطرقة عظيمة لو ضرب بها جبل لصار ترابًا، ويبشر بالعذاب في الآخرة، ولذلك يتمنى ألا تقوم الساعة**، ففي حديث البراء بن عازب: «**... وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه، معهم المسوح، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت، حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة، اخرجي إلى سخط من الله وغضب. قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السَّفُّود من الصُّوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يَدَعوها في يده طرفة عين، حتى يجعلوها في تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة، إلا قالوا: ما هذا الروح الخبيث؟ فيقولون: فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيستفتح له، فلا يفتح له، ثم قرأ رسول الله ﷺ**: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] فيقول الله ﷻ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]»[(١)].

**٣- شقُّ جانبي الفم إلى القفا، ورضخ الرأس بالحجارة، والحرق في تنور من نار، والسباحة في نهر من دم مع الضرب بالحجارة**، ففي حديث سمرة بن جندب رضي الله عنه، قال: كان رسول الله ﷺ مما يكثر أن يقول لأصحابه: «**هل رأى أحد منكم من رؤيا**» قال: فيقص عليه من شاء الله أن يقص، وإنه قال ذات غداة: «**إنه أتاني الليلة آتيان، وإنهما ابتعثاني، وإنهما قالا لي انطلق، وإني انطلقت معهما...**»، ثم ذكر رؤيته ﷺ لرجال يعذبون بأنواع من العذاب، وفي آخر الحديث بين أسباب عذابهم، فقال النبي ﷺ: «**قالا لي: أما إنا سنخبرك، أما الرجل الأول الذي أتيت عليه يثلغ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذ القرآن فيرفضه وينام عن الصلاة**

(١) سبق تخريجه.

**المكتوبة، وأما الرجل الذي أتيت عليه، يشرشر شِدْقه إلى قفاه، ومنخره إلى قفاه، وعينه إلى قفاه، فإنه الرجل يغدو من بيته، فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق، وأما الرجال والنساء العراة الذين في مثل بناء التنور، فإنهم الزناة والزواني، وأما الرجل الذي أتيت عليه يسبح في النهر ويلقم الحجر، فإنه آكل الربا...»** الحديث(١).

## ۞ المسألة العاشرة: أسباب عذاب القبر:

أجمل الإمام ابن القيم أسباب عذاب القبر بقوله: «إنهم يعذبون على جهلهم بالله، وإضاعتهم لأمره، وارتكابهم لمعاصيه... فمن أغضب الله وأسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك، كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه، فمستقل ومستكثر، ومصدق ومكذب»(٢).

**ومن الأسباب المفصلة التي وردت في بعض الأحاديث ما يلي:**

١، ٢- **عدم الاستتار من البول والنميمة**؛ ففي حديث ابن عباس ﵄ قال: مر النبي ﷺ بقبرين، فقال: «**إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير؛ أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة**»، ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله، لِمَ فعلت هذا؟ قال: «**لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا**»(٣). قال ابن القيم: «فهذا ترك الطهارة الواجبة، وذلك ارتكب السبب الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وإن كان صادقًا، وفي هذا تنبيه على أن الموقع بينهم العداوةَ بالكذب والزور والبهتان أعظم عذابًا، كما أن في ترك الاستبراء من البول؛ تنبيهًا على أن من ترك الصلاة التي الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها فهو أشد عذابًا»(٤).

٣- **الغلول**؛ وهو الخيانة في الغنيمة، عن أبي هريرة ﵁، قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ يوم خيبر، فلم نغنم ذهبًا ولا فضة، إلا الأموال والثياب

---

(١) أخرجه البخاري (ح٧٠٤٧). (٢) الروح (ص٧٧).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢١٨)، ومسلم (ح٢٩٢).
(٤) الروح (ص٧٧).

والمتاع، فأهدى رجل من بني الضبيب، يقال له: رفاعة بن زيد، لرسول الله ﷺ غلامًا، يقال له: مِدْعَم، فوجَّه رسول الله ﷺ إلى وادي القرى، حتى إذا كان بوادي القرى، بينما مِدْعَم يحطُّ رَحْلًا لرسول الله ﷺ إذا سهم عائر فقتله، فقال الناس: هنيئًا له الجنة، فقال رسول الله ﷺ: «**كلا، والذي نفسي بيده، إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم، لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارًا**» فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك - أو شراكين - إلى النبي ﷺ، فقال: «**شراك من نار -أو: شراكان من نار-**»[(١)].

٤- **من مات وعليه دَين**؛ عن سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ صاح مرتين، فقال: «**من هاهنا من بني فلان؟**» فلم يجبه أحد، ثم قام في الثالثة رجل فقال: أنا، قال: «**ما منعك أن تجيبني في المرتين الأُولَيَين، إني لم أنوه باسمك إلا لخير، إن صاحبكم محبوس بباب الجنة بدَين عليه**» قال: فقضى عنه حتى ما يطالبه أحد بشيء[(٢)].

٥- **البكاء بنياحة على الميت إذا أوصى بذلك**؛ عن أبي بردة، عن أبيه، قال: لما أصيب عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ جعل صهيب يقول: وا أخاه، فقال عمر: أما علمت أن النبي ﷺ قال: «**إن الميت ليعذب ببكاء الحي**»[(٣)]، قال الإمام النووي: «واختلف العلماء في هذه الأحاديث، فتأولها الجمهور على من وصى بأن يُبكى عليه ويُناح بعد موته، فنفذت وصيته، فهذا يعذب ببكاء أهله عليه ونوحهم؛ لأنه بسببه ومنسوب إليه، قالوا: فأما من بكى عليه أهله وناحوا من غير وصية منه فلا يعذب؛ لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: ١٦٤]»[(٤)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه أبو داود الطيالسي في المسند (ح٩٣٣)، والطبراني في الكبير (٧/ ١٧٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح٣٤١٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٢٩٠).

(٤) شرح النووي على مسلم (٦/ ٢٢٨).

٦- **الكبر والخيلاء**؛ عن ابن عمر، أن النبي ﷺ قال: «**بينما رجل يجر إزاره من الخُيلاء، خُسِف به، فهو يتجلجل في الأرض إلى يوم القيامة**»(١)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال أبو القاسم ﷺ: «**بينما رجل يمشي في حُلَّةٍ، تعجبه نفسه، مُرَجِّلٌ جُمَّتَه، إذ خسف الله به، فهو يتجلجل إلى يوم القيامة**»(٢).

٧- **الكذب**، لحديث سمرة بن جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الطويل: «**...أما الذي رأيته يشق شدقه، فكذاب يحدث بالكذبة، فتُحْمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به إلى يوم القيامة**»(٣).

٨- **أكل الربا**، لحديث سمرة بن جندب السابق، وفيه: «**فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم على وسط النهر، وعلى شط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذي في النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر في فيه، فرده حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر، فيرجع كما كان**»، ثم قال: «**... والذي رأيته في النهر آكلو الربا**»(٤).

٩- **الزنا**: جاء في حديث سمرة السابق: «**فانطلقنا إلى ثَقب مثل التنور، أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته نارًا، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة**»، ثم قال: «**... والذي رأيته في الثقب فهم الزناة**»(٥).

وغير ذلك من الأسباب، وقد فصل القول فيها الإمام ابن القيم في كتاب (الروح)، فليرجع إليه من أراد الوقوف على الأسباب على سبيل التفصيل(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤٨٥).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٧٨٩)، ومسلم (ح٢٠٨٨).
(٣) أخرجه البخاري (ح١٣٨٦).
(٤) سبق تخريجه.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) انظر: الروح (ص٧٧-٧٩).

## ۞ المسألة الحادية عشرة: المستثنون من فتنة القبر وعذابه، مع الأدلة:

**الفتنة ليست عامة لكل أحد، بل يسلم منها من شاء الله:**

**منهم:** الأنبياء؛ لأن الأنبياء يسأل عنهم فيقال: من نبيك؟ فهم مسؤول عنهم وليسوا مسؤولين، ولأن النبي أفضل من الشهيد، والشهيد لا يسأل.

**ومنهم:** الصديقون؛ لأن الصدِّيقين أعلى مرتبة من الشهداء، ولأن الصدِّيق على وصفه مصدَّق، وصادق، وذهب بعض العلماء إلى أنهم يسألون لعموم الأدلة.

**ومنهم:** الشهيد، لما ورد أن رجلًا قال: يا رسول الله، ما بال المؤمنين يفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال ﷺ: «**كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة**»[(١)].

**ومنهم:** المرابطون لا يفتنون؛ لحديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتَّان**»[(٢)].

**ومنهم:** الصغار والمجانين؛ قال بعض العلماء: إنهم يفتنون، لدخولهم في العموم، ولأنهم إذا سقط التكليف عنهم في حال الحياة، فإن حال الممات تخالف حال الحياة.

**وقال بعض العلماء:** إن المجانين والصغار لا يسألون؛ لأنهم غير مكلفين، وإذا كانوا غير مكلفين، فإنه لا حساب عليهم؛ إذ لا حساب إلا على من كان مكلفًا يعاقب على المعاصي، وهؤلاء لا يعاقبون، وليس لهم إلا الثواب، إن عملوا عملًا صالحًا يثابون عليه[(٣)].

---

(١) أخرجه النسائي (ح٢٠٥٣) وصححه الألباني.

(٢) أخرجه مسلم (ح١٩١٣).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٥٧)، شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١١٢).

## ۞ المسألة الثانية عشرة: عرض المقعد على الميت، معناه، وأدلته:

### أولًا: معناه:

**معناه:** «أن الميت يعرض عليه في قبره بالغداة والعشي مقعده من الجنة إن كان من أهلها، أو مقعده من النار إن كان من أهلها، ويقال له: هذا مقعدك، وفي هذا تنعيم لمن هو من أهل الجنة، وتعذيب لمن هو من أهل النار بمعاينة ما أعد له، وانتظاره ذلك إلى اليوم الموعود»(١).

### ثانيًا: أدلته:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»(٢).

قال الإمام ابن عبد البر: «معنى **(مقعده)** عندي -والله أعلم- مستقره وما يسير إليه من جنة أو نار... ويحتمل أن تكون الهاء في قوله: **(حتى يبعثك الله إليه)** راجعة على الله تعالى ذكره، أي: إلى الله، فإلى الله المصير وإليه ترجع الأمور، والأول أظهر عندي، والله أعلم»(٣).

وقال الحافظ ابن حجر: «وهذا العرض يقع على الروح حقيقة وعلى ما يتصل به من البدن الاتصال الذي يمكن به إدراك التنعيم أو التعذيب»(٤).

## ۞ المسألة الثالثة عشرة: أسباب النجاة من عذاب القبر:

**من الأعمال التي ورد في الكتاب والسنة أنها سبب للنجاة من عذاب القبر ما يلي:**

١- **الاستقامة على طاعة الله**، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ

---

(١) طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ٣٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٧٩)، ومسلم (ح٢٨٦٦).

(٣) الاستذكار (٣/ ٨٦).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٦٦).

تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

٢- **التقوى**، قال سبحانه: ﴿وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: ٥٣]، وقال جل وعلا: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ١٩٧].

٣- **الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال**، قال جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الصف: ١٠، ١١].

٤- **المرابطة في سبيل الله**، لحديث سلمان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتَّان**»[(١)]، وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمو عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر**»[(٢)].

٥- **الشهادة في سبيل الله**، فعن المقدام بن معدي كرب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**»[(٣)].

٦- **الموت بمرض في البطن**، فعن عبد الله بن يسار قال: كنت جالسًا مع

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الترمذي (ح١٦٦٣)، وابن ماجه (ح٢٧٩٩)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٥١٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي (ح١٦٦٣) وصححه، وابن ماجه (ح٢٧٩٩)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٣٢١٣).

سليمان بن صُرَدٍ، وخالد بن عُرْفُطَة وهما يريدان أن يتبعا جنازة مبطون، فقال: أحدهما لصاحبه، ألم يقل رسول الله ﷺ: «**من يقتله بطنه، فلن يعذب في قبره؟**» فقال: بلى[(١)].

٧- **الاستعاذة بالله من عذاب القبر،** فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال**»[(٢)].

٨- **الموت يوم الجمعة أو ليلتها،** فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر**»[(٣)].

٩- **قراءة «سورة الملك» والعمل بمقتضاها،** فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن سورة من القرآن ثلاثون آية شفعت لرجل حتى غفر له، وهي سورة تبارك الذي بيده الملك**»[(٤)].

١٠- **الأعمال الصالحة:** عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن الميت إذا وضع في قبره إنه يسمع خفق نعالهم حين يولون عنه، فإن كان مؤمنًا، كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه، فتقول الصلاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يمينه، فيقول الصيام: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل، ثم يؤتى من قبل رجليه،**

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٢٤٢)، والنسائي في السنن (ح٢١٩٠)، وصححه الألباني (أحكام الجنائز ص٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (ح٥٨٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١١/ ١٤٧)، والترمذي (ح١٠٧٤)، وقال: «ليس إسناده بمتصل»، لكن حسنه الألباني (صحيح الجامع ح٥٧٧٣).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٢٨٩١)، وابن ماجه (ح٣٧٨٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٠٩١).

**فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس، وقد مثلت له الشمس وقد أدنيت للغروب، فيقال له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وماذا تشهد به عليه؟ فيقول: دعوني حتى أصلي، فيقولون: إنك ستفعل، أخبرني عمَّا نسألك عنه، أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ما تقول فيه، وماذا تشهد عليه؟ قال: فيقول: محمد أشهد أنه رسول الله، وأنه جاء بالحق من عند الله، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله، ثم يفتح له باب من أبواب الجنة، فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفتح له باب من أبواب النار، فيقال له: هذا مقعدك منها وما أعد الله لك فيها لو عصيته، فيزداد غبطة وسرورًا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا، وينور له فيه، ويعاد الجسد لما بدأ منه، فتجعل نسمته في النسم الطيب؛ وهي طير يعلق في شجر الجنة، قال: فذلك قوله تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ إلى آخر الآية [إبراهيم: ٢٧]»(١).

## المسألة الرابعة عشرة: حكم تلاوة القرآن على القبور، وحكم أخذ الأجرة أو الرزق على ذلك:

قال الإمام ابن أبي العز: «اختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال: هل تكره، أم لا بأس بها وقت الدفن، وتكره بعده؟

**فمن قال بكراهتها**، كأبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية قالوا: لأنه محدث، لم ترد به السنة، والقراءة تشبه الصلاة، والصلاة عند القبور منهي عنها، فكذلك القراءة.

**ومن قال:** لا بأس بها -كمحمد بن الحسن وأحمد في رواية- استدلوا بما نقل عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه أوصى أن يقرأ على قبره وقت الدفن بفواتح «سورة

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٧/ ٣٨٠)، وحسنه الألباني (التعليقات الحسان ٥/ ٩٥).

البقرة» وخواتمها، ونقل أيضًا عن بعض المهاجرين قراءة «سورة البقرة».

**ومن قال:** لا بأس بها وقت الدفن فقط، وهو رواية عن أحمد أخذ بما نقل عن ابن عمر وبعض المهاجرين.

وأما بعد ذلك، كالذين يتناوبون القبر للقراءة عنده فهذا مكروه، فإنه لم تأت به السنة، ولم ينقل عن أحد من السلف مثل ذلك أصلًا، وهذا القول لعله أقوى من غيره؛ لما فيه من التوفيق بين الدليلين»[(١)].

والصحيح أن قصد المقابر لتلاوة القرآن عندها بدعة، وأخذ الأجرة على ذلك لا يجوز؛ **لما يلي:**

١- أنه لم يرد في الشرع المطهر ما يدل على ذلك، والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما شرعه الله ورسوله.

٢- أن المقابر ليست محلًّا للعبادة، فلا يجوز قصدها للقراءة عندها.

٣- أنه لم يثبت عن النبي ﷺ أنه قرأ على قبور أصحابه الذين ماتوا في حياته، وكذلك الخلفاء الراشدون الذين أمرنا بالاقتداء بهم لم يفعلوا ذلك.

قال الإمام ابن باز: «القراءة على الأموات بدعة، وأخذ الأجرة على ذلك لا يجوز؛ لأنه لم يرد في الشرع المطهر ما يدل على ذلك، والعبادات توقيفية لا يجوز منها إلا ما شرعه الله؛ لقول النبي ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**»[(٢)] متفق على صحته»[(٣)].

## ۞ المسألة الخامسة عشرة: زيارة القبور المشروعة والممنوعة:

### أولًا: معنى الزيارة:

**الزيارة لغة:** القصد، قال الفيومي: «زاره يزوره زيارة وزَوْرًا: قصده... والمَزَار يكون مصدرًا وموضع الزيارة، والزيارة في العرف: قصد المزور

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٧٥-٦٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٦٩٧)، ومسلم (ح١٧١٨).

(٣) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٤٦).

إكرامًا له واستئناسًا به»[(١)].

**ومعنى زيارة القبور شرعًا:** قصد القبور للسلام على أهلها والدعاء لهم وتذكر الآخرة واتباع السنة، كما في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تزهد في الدنيا، وتذكر الآخرة**»[(٢)].

ثم صار هذا اللفظ في عرف كثير من المتأخرين يتناول الزيارة الشرعية (بالمعنى المذكور) كما يتناول الزيارة البدعية الشركية وهو الغالب عند المتأخرين، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «صار لفظ (زيارة القبور) في عرف كثير من المتأخرين يتناول الزيارة البدعية والزيارة الشرعية، وأكثرهم لا يستعملونها إلا بالمعنى البدعي لا الشرعي»[(٣)]، وقال أيضًا: «هذا اللفظ قد صار كثير من الناس يريد به الزيارة البدعية، وهي قصد الميت لسؤاله ودعائه والرغبة إليه في قضاء الحوائج ونحو ذلك مما يفعله كثير من الناس، فهم يعنون بلفظ الزيارة مثل هذا، وهذا ليس بمشروع باتفاق الأئمة»[(٤)].

## ثانيًا: أقسامها:

### ❐ الزيارة ثلاثة أنواع:

**الأول: الزيارة الشرعية،** وهي زيارة القبور على الوجه المشروع، **وذلك يكون بزيارتها لأحد مقاصد أربعة أو لجميعها:**

(١) **السلام على أهلها،** فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[(٥)]، قال شيخ

---

(١) المصباح المنير (١/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٧/ ٣٤١)، والترمذي (ح١٠٥٤)، وابن ماجه (ح١٥٧١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٤٧٥).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١١٩).

(٤) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٥٨).

(٥) أخرجه مسلم (ح٢٤٩).

الإسلام ابن تيمية: «الزيارة الشرعية التي سنها رسول الله ﷺ لأمته تتضمن السلام على الميت والدعاء له»[(١)].

**(٢) الدعاء لهم** «بما كان الرسول ﷺ يدعو به من السلام وسؤال الرحمة، وأما أن يسأل الأموات ويتوسل بهم فإن هذا محرم ومن الشرك؛ ولا فرق في هذا بين قبر النبي ﷺ وقبر غيره»[(٢)]. فعن عائشة، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدًا، مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[(٣)]، وهذا من «الإحسان إلى الميت... فإذا زاره وأهدى إليه هدية من دعائه، أو صدقة، أو أهدى قربة، ازداد بذلك سروره وفرحه، كما يسر الحي بمن يزوره ويهدي له، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائرين أن يدعوا لأهل القبور بالمغفرة والرحمة، وسؤال العافية فقط، ولم يشرع أن يدعوهم، ولا يدعوا بهم، ولا يصلى عندهم»[(٤)].

**(٣) تذكر الآخرة والاتعاظ**، لقوله ﷺ: «**إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها؛ فإنها تذكِّر الآخرة**»[(٥)]، فينتفع «الزائر بتذكر الآخرة والاعتبار والاتعاظ، فإن هؤلاء القوم الذين هم الآن في بطن الأرض كانوا بالأمس على ظهرها، وسيجري لهذا الزائر ما جرى لهم، فيعتبر ويغتنم الأوقات والفرص، ويعمل لهذا اليوم الذي سيكون في هذا المثوى الذي كان عليه هؤلاء»[(٦)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ١٦٤-١٦٥)، وانظر: مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٣).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٢٤٣)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٩٣).

(٣) أخرجه مسلم (ح٩٧٤).

(٤) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٨).

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٣٨/ ١١٣)، والترمذي (ح١٠٥٤)، وقال: «حسن صحيح».

(٦) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٢/ ٢٤٣)، وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٩٣).

(٤) **اتباع السنة**، لقوله ﷺ: «**فزوروها**»، وهذا من «إحسان الزائر إلى نفسه باتباع السنة، والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ، فيحسن إلى نفسه وإلى المزور»[(١)].

**الثاني: الزيارة البدعية**، وهي زيارتها «للدعاء عندها، والصلاة عندها، والقراءة عندها، وهذا بدعة غير مشروع»[(٢)]، و«هي من أسباب الشرك بالله تعالى، ودعاء خلقه، وإحداث دينٍ لم يأذن به الله»[(٣)].

**الثالث: الزيارة الشركية**: وهي «أن يزوروها للذبح للميت والتقرب إليه بذلك، أو لدعاء الميت من دون الله، أو لطلب المدد منه، أو الغوث، أو النصر، فهذا شرك أكبر»[(٤)].

قال الإمام ابن القيم: «وأما الزيارة الشركية فأصلها مأخوذ عن عباد الأصنام... قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ۝٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤]، فأخبر أن الشفاعة لمن له ملك السموات والأرض، وهو الله وحده... وهذا ضد الشفاعة الشركية التى أثبتها هؤلاء المشركون ومن وافقهم، وهى التى أبطلها الله سبحانه فى كتابه، بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ﴾ [البقرة: ١٢٣]، وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌۗ﴾ [البقرة: ٢٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٥١﴾ [الأنعام: ٥١]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍۚ﴾ [السجدة: ٤]، فأخبر سبحانه أنه ليس للعباد شفيع من دونه، بل

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٨).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٤٥)، وانظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٢٧/ ١٦٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٤٣).

(٤) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٤٥).

إذا أراد الله سبحانه رحمة عبده أذن هو لمن يشفع فيه... وهذا الذى ذكره هؤلاء المشركون فى زيارة القبور هو الشفاعة التى ظنوا أن آلهتهم تنفعهم بها وتشفع لهم عند الله تعالى... وهو الذى بعث الله رسله، وأنزل كتبه بإبطاله... والقرآن من أوله إلى آخره مملوء من الرد على أهله، وإبطال مذهبهم»(١).

## ۞ المسألة السادسة عشرة: انتفاع الأموات بسعي الأحياء، وأقوال العلماء في ذلك مع الاستدلال والمناقشة والترجيح.

**أولًا: اتفق أهل السنة على أن الأموات ينتفعون بسعي الأحياء بأمرين:**

**أحدهما:** ما تسبب إليه الميت من أعمال صالحة في حياته، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»(٢)، «فأخبر أنه إنما ينتفع بما كان تسبب فيه في الحياة، وما لم يكن تسبب فيه في الحياة فهو منقطع عنه»(٣).

**الثاني:** انتفاع الميت بغير ما تسبب به في حياته مما ورد النص عليه، قال الإمام ابن قدامة: «أما الدعاء، والاستغفار، والصدقة، وأداء الواجبات، فلا أعلم فيه خلافًا إذا كانت الواجبات مما يدخله النيابة»(٤).

أما الدعاء والاستغفار فيدل عليه دعاء اللاحقين للسابقين من المؤمنين في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠]، «فأثنى عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم، فدل على انتفاعهم باستغفار الأحياء»(٥). كما دل عليه أيضًا «إجماع الأمة على الدعاء له في صلاة الجنازة، والأدعية التي وردت بها السنة في

---

(١) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (١/ ٢١٨-٢٢٠).
(٢) أخرجه مسلم (ح١٦٣١).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٤-٦٦٥).
(٤) المغني لابن قدامة (٣/ ٥١٩).
(٥) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٥).

صلاة الجنازة مستفيضة، وكذا الدعاء له بعد الدفن»[(١)]، ومن ذلك حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه، فقال: «**استغفروا لأخيكم، وسلوا له بالتثبيت، فإنه الآن يسأل**»[(٢)]، وحديث عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: كان رسول الله ﷺ كلما كان ليلتها من رسول الله ﷺ يخرج من آخر الليل إلى البقيع، فيقول: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غدًا مؤجلون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد**»[(٣)]، ودل عليه أيضًا ما في كتاب الله تعالى من الأمر بالدعاء للوالدين في قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٤]، واستغفار الملائكة للمؤمنين، قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥]، وقال تعالى في آية أخرى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧] وهو «قطعي في حصول الانتفاع بعمل الغير»[(٤)].

❁ وأما وصول ثواب الصدقة، فيدل عليه حديث عائشة رضي الله عنها: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: إن أمي افْتُلِتَتْ نفسها، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجر إن تصدقت عنها؟ قال: «**نعم**»[(٥)]، وحديث جابر بن عبد الله، قال: شهدت مع رسول الله ﷺ الأضحى بالمصلى، فلما قضى خطبته نزل من منبره وأتي بكبش فذبحه رسول الله ﷺ بيده، وقال: «**باسم الله، والله أكبر، هذا عني، وعمَّن لم يضحِّ من أمتي**»[(٦)]، قال الحنفية: «أي: جعل ثوابه لأمته، وهذا تعليم منه -عليه الصلاة والسلام- أن الإنسان ينفعه عمل غيره، والاقتداء به هو

(١) المصدر السابق.
(٢) أخرجه أبو داود (ح٣٢٢١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٩٤٥).
(٣) أخرجه مسلم (ح٩٧٤).
(٤) فتح القدير، لابن الهمام (٣/ ١٤٤).
(٥) أخرجه البخاري (ح١٣٨٨)، ومسلم (ح١٠٠٤).
(٦) أخرجه أبو داود (ح٢٨١٠)، والترمذي (ح١٥٢١)، وصححه الألباني (إرواء الغليل ح١١٣٨).

الاستمساك بالعروة الوثقى»[(١)].

❊ وأما قضاء الدين عن الميت، فيدل عليه حديث سلمة بن الأكوع رضي الله عنه، قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، إذ أتي بجنازة، فقالوا: صلِّ عليها، فقال: «**هل عليه دَين؟**»، قالوا: لا، قال: «**فهل ترك شيئًا؟**»، قالوا: لا، فصلى عليه، ثم أتي بجنازة أخرى، فقالوا: يا رسول الله، صلِّ عليها، قال: «**هل عليه دَين؟**» قيل: نعم، قال: «**فهل ترك شيئًا؟**»، قالوا: ثلاثة دنانير، فصلى عليها، ثم أتي بالثالثة، فقالوا: صلِّ عليها، قال: «**هل ترك شيئًا؟**»، قالوا: لا، قال: «**فهل عليه دين؟**»، قالوا: ثلاثة دنانير، قال: «**صلوا على صاحبكم**»، قال أبو قتادة: صلِّ عليه يا رسول الله وعليَّ دينه، فصلى عليه[(٢)]، «وأجمع المسلمون على أن قضاء الدين يُسقطه من ذمَّة الميت، ولو كان من أجنبي، ومن غير تركته»[(٣)].

❊ وأما وصول ثواب الحج، فيدل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما، أن امرأة من جهينة، جاءت إلى النبي ﷺ، فقالت: إن أمي نذرت أن تحج فلم تحج حتى ماتت، أفأحج عنها؟ قال: «**نعم حجي عنها، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضية؟ اقضوا الله فالله أحق بالوفاء**»[(٤)].

**المسألة الثانية: اختلف العلماء فيما عدا هذين الأمرين على قولين:**

**القول الأول:** أن أي قربة فعلها الحي وأهداها للميت نفعه ذلك، وهذا يشمل الدعاء والاستغفار والواجب الذي تدخله النيابة وصدقة التطوع والعتق وحج التطوع، فإذا فعلها المسلم وجعل ثوابها للميت المسلم نفعه ذلك إجماعًا، وكذا يصل إليه ثواب القراءة والصلاة والصيام[(٥)]، وهو مذهب الحنفية[(٦)]،

(١) تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق (٢/ ٨٤). (٢) أخرجه البخاري (ح٢٢٨٩).
(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٨).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٨٥٢)، ومسلم (ح١١٤٩).
(٥) انظر: الإنصاف للمرداوي (٢/ ٥٦٠).
(٦) انظر: تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق، للزيلعي (٢/ ٨٣).

والحنابلة[١].

واستدلوا بما سبق من الأدلة وغيرها، قال الإمام ابن أبي العز: «وكل ذلك جارٍ على قواعد الشرع، وهو محض القياس؛ فإن الثواب حق العامل، فإذا وهبه لأخيه المسلم لم يمنع من ذلك، كما لم يمنع من هبة ماله في حياته، وإبرائه له منه بعد وفاته»[٢].

وقال ابن قدامة بعدما ساق الأدلة على ذلك: «هذه أحاديث صحاح، وفيها دلالة على انتفاع الميت بسائر القرب؛ لأن الصوم والحج والدعاء والاستغفار عبادات بدنية، وقد أوصل الله نفعها إلى الميت، فكذلك ما سواها»[٣].

«ولأن الحديث صح عن النبي ﷺ: «**إن الميت يعذب ببكاء أهله عليه**»[٤]، والله أكرم من أن يوصل عقوبة المعصية إليه، ويحجب عنه المثوبة، ولأن الموصل لثواب ما سلموه، قادرٌ على إيصال ثواب ما منعوه، والآية[٥] مخصوصة بما سلموه[٦]، وما اختلفنا فيه في معناه، فنقيسه عليه»[٧].

وقال ابن أبي العز الحنفي في الجواب عن استدلالهم بالآية: «والجواب عمّا استدلوا به من قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ [النجم: ٣٩] **قد أجاب العلماء بأجوبة، أصحها جوابان:**

**أحدهما:** أن الإنسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الأصدقاء، وأولد الأولاد، ونكح الأزواج، وأسدى الخير وتودد إلى الناس، فترحموا عليه، ودعوا له، وأهدوا له ثواب الطاعات، فكان ذلك أثر سعيه، بل دخول المسلم

(١) انظر: الفروع، لابن مفلح (٣/ ٤٢٣)، كشاف القناع، للبهوتي (٤/ ٢٣٦).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٨).
(٣) المغني لابن قدامة (٣/ ٥٢١).
(٤) أخرجه البخاري (ح١٣٠٤)، ومسلم (ح٩٢٧).
(٥) يعني قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ٣٩﴾ [النجم: ٣٩].
(٦) أي: بما سلموا من المتفق عليه.
(٧) المغني (٣/ ٥٢٢).

مع جملة المسلمين في عقد الإسلام من أعظم الأسباب في وصول نفع كل من المسلمين إلى صاحبه، في حياته وبعد مماته، ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم. **يوضحه:** أن الله تعالى جعل الإيمان سببًا لانتفاع صاحبه بدعاء إخوانه من المؤمنين وسعيهم، فإذا أتى به فقد سعى في السبب الذي يوصل إليه ذلك.

**الثاني -وهو أقوى منه:** أن القرآن لم ينفِ انتفاع الرجل بسعي غيره، وإنما نفى ملكه لغير سعيه، وبين الأمرين من الفرق ما لا يخفى، فأخبر تعالى أنه لا يملك إلا سعيه، وأما سعي غيره فهو ملك لساعيه، فإن شاء أن يبذله لغيره، وإن شاء أن يبقيه لنفسه»[(١)].

وقال الشيخ ابن عثيمين: «قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾ المراد به -والله أعلم: أن الإنسان لا يستحق من سعي غيره شيئًا، كما لا يحمل من وزر غيره شيئًا، وليس المراد أنه لا يصل إليه ثواب سعي غيره؛ لكثرة النصوص الواردة في وصول ثواب سعي الغير إلى غيره وانتفاعه به إذا قصده به»[(٢)].

**القول الثاني:** عدم جواز إهداء ثواب الأعمال إلى الميت إلا بما ورد به الشرع، وإليه ذهب المالكية[(٣)] والشافعية[(٤)].

**واستدلوا بما يلي:**

١- قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾، قالوا: «وهذا عموم،

---

(١) شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٩-٦٧٠).

(٢) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (١٧/ ٢٥٦)، وانظر: أحكام الجنائز، الألباني (ص١٦٨) وما بعدها.

(٣) انظر: مواهب الجليل في شرح مختصر خليل (٢/ ٥٤٣)، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي (٢/ ١٠).

(٤) انظر: كتاب الأم، للشافعي (٥/ ٢٥٨)، المهذب في فقه الإمام الشافعي، للشيرازي (٢/ ٣٦٥).

إلا فيما خصه الدليل»[١].

٢- عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**»[٢].

**الترجيح:** الراجح الاقتصار على ما ورد؛ لأن العبادات توقيفية، ولأن الأصل في أفعال العباد أن ثوابها لفاعلها، ولا يخص من هذا العموم إلا ما دل عليه الدليل من الدعاء والصدقة ونحوهما، وأما ما سوى ذلك من العبادات فيبقى على الأصل، ويختص بفاعله ولا يتعداه، وذلك كالإسلام والصلاة وقراءة القرآن؛ لأن التعبد لله جل وعلا مبناه على التوقيف، **ويدل على ذلك ما يلي:**

١- عموم قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝٣٩﴾ [النجم: ٣٩].

٢- عن ابن عباس، قال: «لا يصلي أحدٌ عن أحد، ولا يصوم أحدٌ عن أحد، ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدًّا من حنطة»[٣].

٣- القياس الصحيح، فكما أنه في الحياة لا يفعله أحد عن أحد، ولا ينوب فيه عن فاعله غيره، فكذلك بعد الممات يختص ثوابه بفاعله ولا يتعداه إلى غيره[٤].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأمر الذي كان معروفًا بين المسلمين في القرون المفضلة أنهم كانوا يعبدون الله بأنواع العبادات المشروعة فرضها ونفلها من الصلاة والصيام والقراءة والذكر وغير ذلك، وكانوا يدعون للمؤمنين والمؤمنات كما أمر الله بذلك لأحيائهم وأمواتهم في صلاتهم على

(١) البيان في مذهب الإمام الشافعي، ليحيى بن أبي الخير العمراني (٨/ ٣١٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (ح١٦٣١).

(٣) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (ح٢٩٣٠)، وصحَّح إسناده الحافظ ابن حجر (التلخيص الحبير ٢/ ٣٩٩).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٦٥).

الجنازة وعند زيارة القبور وغير ذلك. . . فلم يكن من عادة السلف إذا صلوا تطوعًا، وصاموا وحجوا، أو قرؤوا القرآن يهدون ثواب ذلك لموتاهم المسلمين ولا لخصوصهم، بل كان عادتهم كما تقدم، فلا ينبغي للناس أن يعدلوا عن طريق السلف فإنه أفضل وأكمل، والله أعلم»[(١)].

وقالت اللجنة الدائمة: «لم يثبت عن النبي ﷺ فيما نعلم أنه قرأ القرآن ووهب ثوابه للأموات من أقربائه أو من غيرهم، ولو كان ثوابه يصل إليهم لحرص عليه، وبينه لأمته لينفعوا به موتاهم، فإنه -عليه الصلاة والسلام- بالمؤمنين رؤوف رحيم، وقد سار الخلفاء الراشدون من بعده وسائر أصحابه على هديه في ذلك ، ولا نعلم أن أحدًا منهم أهدى ثواب القرآن لغيره، والخير كل الخير في اتباع هديه ﷺ وهدي خلفائه الراشدين وسائر الصحابة ، والشر في اتباع البدع ومحدثات الأمور. . . وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت، ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة بل ذلك بدعة. أما أنواع القربات الأخرى فما دل دليل صحيح على وصول ثوابه إلى الميت وجب قبوله، كالصدقة عنه والدعاء له والحج عنه، وما لم يثبت فيه دليل فهو غير مشروع حتى يقوم عليه الدليل، وعلى هذا لا تجوز قراءة القرآن للميت ولا يصل إليه ثواب هذه القراءة في أصح قولي العلماء، بل ذلك بدعة»[(٢)].

وقال العلامة ابن باز: «أما قراءة القرآن فقد اختلف العلماء في وصول ثوابها إلى الميت على قولين لأهل العلم، والأرجح أنها لا تصل لعدم الدليل؛ لأن الرسول ﷺ لم يفعلها لأمواته من المسلمين؛ كبناته اللاتي متن في حياته عليه الصلاة والسلام، ولم يفعلها الصحابة - رضي الله عنهم وأرضاهم- فيما علمنا، فالأولى للمؤمن أن يترك ذلك، ولا يقرأ للموتى ولا للأحياء ولا يصلي لهم، وهكذا التطوع بالصوم عنهم؛ لأن ذلك كله لا دليل عليه، والأصل في

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٢٢-٣٢٣).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٩/ ٤٣)

العبادات التوقيف إلا ما ثبت عن الله سبحانه أو عن رسوله ﷺ شرعيته، أما الصدقة فتنفع الحي والميت بإجماع المسلمين، وهكذا الدعاء ينفع الحي والميت بإجماع المسلمين»[(١)].



(١) مجموع فتاوى ابن باز (٤/ ٣٤٨).



# المبحث السادس

## النفخ في الصور

### ۞ أولًا: تعريف الصور، والمراد بالنفخ فيه:

#### تعريف الصور:

**الصور:** قرن يُنفَخ فيه نفختان -على الصحيح؛ النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، وإطلاق هذا الاسم على القرن معروف في لغة العرب[(١)].

قال ابن فورك: «الصور: قرن ينفخ فيه فيخرج من جوفه صوت عظيم»[(٢)].

#### المراد بالنفخ في الصور:

قال الحافظ ابن كثير: «اختلف المفسرون في قوله: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ﴾ [الأنعام: ٧٣] فقال بعضهم: المراد بالصور هاهنا جمع (صورة) أي: يوم ينفخ فيها فتحيا... والصحيح: أن المراد بالصور: القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل عَلَيْهِ السَّلَامُ»[(٣)].

وهو يقع عند نهاية الحياة الدنيا وبدء الحياة الآخرة، حيث يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخ في الصور، فلا يبقى أحد من الخلق إلَّا مات إلَّا من استثناه الله.

---

(١) انظر: فتح القدير (٤/ ٤٢٩). (٢) تفسير ابن فورك (٢/ ١٩٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨١)، وانظر: فتح الباري (١١/ ٣٦٧).

## ۞ ثانيًا: الأدلة على النفخ في الصور:

من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالنفخ في الصور، كما ورد في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال جل وعلا: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقة: ١٣].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ فقال: «**قرن ينفخ فيه**»[(١)].

## ۞ ثالثًا: الملك الموكل بالنفخ في الصور:

اشتهر أن الملك الموكل بالنفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام، ونقل بعضهم الإجماع عليه، ووقع التصريح به في بعض الأحاديث، وكلها لا تخلو من ضعف[(٢)].

قال القرطبي: «قال علماؤنا: والأمم مجمعون على أن الذي ينفخ في الصور إسرافيل عليه السلام»[(٣)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن طرف صاحب الصور مذ وُكِّل به مستعد ينظر نحو العرش، مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دريان**»[(٤)].

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه أبو داود (ح٤٧٤٢)، والترمذي (ح٢٤٣٠)، والحاكم في المستدرك (ح٣٦٣١) وصححه، ووافقه الذهبي.

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٦٨-٣٦٩).

(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٤٨٨).

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٦٠٣) وصححه، وقال الذهبي: «صحيح على شرط مسلم»، وحسنه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١/ ٣٦٨).

## ۞ رابعًا: عدد النفخات، وما يترتب على كل منها:

**اختلف في عدد النفخات على قولين:**

**القول الأول: أن النفخ في الصور نفختان:**

**الأولى:** نفخة الصعق (الإفناء)، وفيها فناء كل شيء إلا من شاء الله.

**والثانية:** نفخة البعث والنشور (الإنشاء).

ويدل على ذلك آية الزمر، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ۝٦٨﴾ [الزمر: ٦٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦، ٧]. قال ابن عباس: الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية[١]، وهو اختيار القرطبي[٢]، وابن حجر[٣].

**القول الثاني: أنها ثلاث نفخات:**

**الأولى:** نفخة الفزع ودليلها آية النمل، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧].

**والثانية:** نفخة الصعق (الموت).

**والثالثة:** نفخة البعث كما تدل عليهما آية الزمر كما مر، وممن ذهب إلى ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[٤]، وابن كثير[٥]، والسفاريني[٦].

والصحيح أنهما نفختان فقط، كما تدل على ذلك آية الزمر وآيتا «سورة النازعات»، وكما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا، قال: أبيت، قال: أربعون

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٥).
(٢) انظر: التذكرة (ص٤٩١).
(٣) انظر: فتح الباري (١١/ ٣٦٩).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦٠)، (١٦/ ٣٥).
(٥) انظر: النهاية في الفتن والملاحم (١/ ٢٧٩).
(٦) انظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٦١-١٦٢).

سنة، قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا، قال: «**أبيت ويبلى كل شيء من الإنسان، إلا عجب ذنبه، فيه يركب الخلق**»[(١)].

**فهما نفختان:**

**إحداهما:** يموت فيها جميع الناس إلا من استثنى الله.

**والثانية:** يحيا فيها الناس ويبعثون.

## خامسًا: حقيقة الصعق، والمستثنون منه:

### حقيقة الصعق:

الصعق هو: موت الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله بعد النفخة الأولى.

قال الإمام الطبري: «وقوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزمر: ٦٨] يقول: مات، وذلك في النفخة الأولى»[(٢)].

وقال الحافظ ابن كثير: «نفخة الصعق، وهي التي يموت بها الأحياء من أهل السموات والأرض، إلا من شاء الله كما هو مصرح به مفسرًا في حديث الصور المشهور[(٣)]، ثم يقبض أرواح الباقين حتى يكون آخر من يموت ملك الموت، وينفرد الحي القيوم الذي كان أولًا، وهو الباقي آخرًا بالديمومة والبقاء»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٨١٤)، ومسلم (ح٢٩٥٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٠/ ٢٥٤).

(٣) يعني حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: حدثنا رسول الله ﷺ قال: «**إن الله لما خلق السماوات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل، فهو واضعه على فيه، شاخص بصره إلى العرش، ينتظر متى يأمره...**» الحديث. أخرجه محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٢٨٣)، وأبو الشيخ الأصبهاني في العظمة (٣/ ٨٢١)، والبيهقي في البعث والنشور (ح٦٠٩)، وضعفه ابن كثير. انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٧).

(٤) تفسير ابن كثير (٧/ ١١٦).

## المستثنون من الصعق:

اختلف العلماء في المراد بالمستثنى في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، على أقوال كثيرة، و«استضعف بعض أهل النظر أكثر هذه الأقوال»[١]، وقد ذكرها الحافظ ابن حجر، فقال: «وحاصل ما جاء في ذلك عشرة أقوال»[٢] ثم ذكرها، **ومن هذه الأقوال:**

١- أنهم الأنبياء، وإلى ذلك جنح البيهقي.

٢- **وقيل:** موسى وحده.

٣- **وقيل:** جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت، ثم يموت الثلاثة، ثم يقول الله لملك الموت: مُتْ؛ فيموت.

٤- **وقيل:** الملائكة كلهم.

٥- **وقيل:** الولدان الذين في الجنة والحور العين[٣].

**والراجح:** تفويض من استثناه الله من الصعق إلى علمه جل وعلا؛ لأنه لم يرد نص صحيح صريح في تعيين من استثناه الله تعالى من نفخة الصعق، فالأولى تفويض ذلك إلى الله تعالى، فنبهم ما أبهمه الله، ونقول: الله أعلم، قال قتادة: «قد استثنى الله، والله أعلم إلى ما صارت ثنيته»[٤]. قال القاسمي: «وهذا هو الوجه؛ إذ لا يصار إلى بيان المبهمات إلا بقاطع»[٥].

ويدل عليه حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي ﷺ قال: «**لا تخيروني على موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش جانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق، فأفاق قبلي أو كان ممن**

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٠).

(٣) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٠-٣٧١).

(٤) جامع البيان (٢٠/ ٢٥٨). (٥) محاسن التأويل (٨/ ٢٩٦).

**استثنى الله»**(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «النبي ﷺ قد توقف في موسى، وهل هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبي ﷺ لم يُخبَر بكل من استثنى الله، لم يمكنا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء وأمثال ذلك مما لم يخبر به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر»(٢).



(١) أخرجه البخاري (ح٢٤١١)، ومسلم (ح٢٣٧٣).
(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٦١).



# المبحث السابع

## البعث

### ۞ أولًا: تعريف البعث، وصفته، ومفهوم الإيمان به:

#### تعريف البعث:

قال الإمام ابن قتيبة: «معنى البعث: الإحياء بعد الموت، والإيقاظ من النوم»[(١)]، وقال ابن كثير: «البعث: هو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة»[(٢)].

والبعث والنشور بمعنى واحد[(٣)].

#### صفته:

جاء بيان صفة البعث والنشور في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما بين النفختين أربعون**» قال: أربعون يومًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت[(٤)]، قال: «**ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا**

(١) المسائل والأجوبة، لابن قتيبة (ص٣١٧). (٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٩٥).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٢٣)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٥٨).

(٤) **معناه:** أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا أو سنةً أو شهرًا، بل الذي أجزم به أنها أربعون. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٩١).

**عظمًا واحدًا وهو عَجْبُ الذَّنَب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة»**[١].

وجاء في حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «... **ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتًا ورفع لِيتًا»**[٢]، قال: «**وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله**»، قال: «**فيصعق، ويصعق الناس، ثم يرسل الله** -أو قال: **ينزل الله- مطرًا كأنه الطل** -أو **الظل**[٣]- **فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى، فإذا هُم قيام ينظرون**»[٤].

فإذا نفخ في الصور النفخة الثانية أحيا الله الناس جميعًا ليجازيهم بأعمالهم خيرها وشرها، ثم يحشرون بين يدي الله جل وعلا حفاة غير منتعلين، عراة غير مكتسين، غُرْلًا غير مختونين، بُهْمًا ليس معهم شيء، ويكون على هذه الصفة الأنبياء والرسل، والرجال والنساء، والمسلمون والكفار، قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، كما أن الإنسان يخرج من بطن أمه على هذه الصفة فإنه يخرج من بطن الأرض على هذه الصفة.

و«القول الذي عليه السلف وجمهور العقلاء: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل ترابًا، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، كما استحال في النشأة الأولى، فإنه كان نطفة، ثم صار علقة، ثم صار مضغة، ثم صار عظامًا ولحمًا، ثم أنشأه خلقا سويًّا، كذلك الإعادة؛ يعيده الله بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ، أنه قال: «**كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم، ومنه يركب**»[٥]... وبين لوازم الإعادة

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٩٣٥)، ومسلم (ح٢٩٥٥).

(٢) **اللِّيت:** صفحة العنق وهي جانبه، ومعنى أصغى: أمال. انظر: شرح النووي على مسلم (١٨/ ٧٦).

(٣) «قال العلماء: الأصح: الطل -بالمهملة- وهو الموافق للحديث الآخر أنه: «**كمني الرجال**» (شرح النووي على مسلم ١٨/ ٧٧).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٩٤٠).

(٥) سبق تخريجه.

ولوازم البداءة فرق؛ فعجب الذنب هو الذي يبقى، وأما سائره فيستحيل، فيعاد من المادة التي استحال إليها»(١).

والأجسام التي تعود ليست على هيئة أجسام الناس في الدنيا، بل ينشئها الله نشأة أخرى تناسب الحياة الآخرة ونعيمها وعذابها، كما قال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة: ٦٠ - ٦٢].

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «وليست صفة تلك النشأة الثانية مماثلة لصفة هذه النشأة، حتى يقال: إن الصفات هي المغيرة، لا سيما أهل الجنة إذا دخلوها فإنهم يدخلونها على صورة آدم، طوله ستون ذراعًا، كما ثبت في الصحيحين وغيرهما، وروي: أن عرضه سبعة أذرع. وتلك نشأة باقية غير معرضة للآفات، وهذه النشأة فانية معرضة للآفات»(٢).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وكذلك الإعادة يعيده بعد أن يبلى كله إلا عجب الذنب، كما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «**كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب، منه خلق ابن آدم ومنه يركب**»، وهو إذا أعاد الإنسان في النشأة الثانية لم تكن تلك النشأة مماثلة لهذه؛ فإن هذه كائنة فاسدة، وتلك كائنة لا فاسدة، بل باقية دائمة»(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين: «البعث إعادة، وليس تجديدًا، بل هو إعادة لما زال وتحول؛ فإن الجسد يتحول إلى تراب، والعظام تكون رميمًا؛ يجمع الله تعالى هذا المتفرق، حتى يتكون الجسد، فتعاد الأرواح إلى أجسادها»(٤).

## مفهوم الإيمان بالبعث:

**الإيمان بالبعث:** هو اليقين الجازم بأن الله تعالى سوف يبعث الخلائق بعد

---

(١) شرح الطحاوية، لابن أبي العز (٢/ ٥٩٩) بتصرف.
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٥٩٩). (٣) مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٤٩).
(٤) شرح العقيدة الواسطية للعثيمين (٢/ ١٢٨).

موتهم عند قيام الساعة، فيعيدهم كما بدأهم أول مرة.

## ۞ ثانيًا: أكل الأرض للموتى، وما يستثنى منه:

تأكل الأرض أجساد جميع الموتى ويستثنى من ذلك الأنبياء؛ لحديث أوس ابن أبي أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عَزَّ وَجَلَّ حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»[١].

كما أن الأرض تأكل جميع جسد بني آدم ويستثنى من ذلك عجب الذنب؛ لما ثبت عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى، إلا عظما واحدا وهو عَجْبُ الذَّنَب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[٢].

فدل هذا الحديث على أن جميع بني آدم تأكلهم الأرض ولا تبقي من أجسادهم إلا عجب الذنب[٣]، قال الإمام النووي: «قوله: **(عَجْبُ الذَّنَب)** هو بفتح العين وإسكان الجيم، أي: العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العصعص، ويقال له: (عجم) بالميم، وهو أول ما يخلق من الآدمي، وهو الذي يبقى منه ليعاد تركيب الخلق عليه... وهذا مخصوص فيخص منه الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم؛ فإن الله حرم على الأرض أجسادهم كما صرح به في الحديث»[٤].

وقال الإمام ابن عبد البر: «ظاهر هذا الحديث وعمومه يوجب أن يكون بنو

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٦/ ٨٤)، وأبو داود (ح١٠٤٧)، وابن ماجه في سننه (ح١٠٨٥)، وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (ح٤٩٣٥)، ومسلم (ح٢٩٥٥).

(٣) أثبت مجموعة من العلماء في عدد من التجارب المختبرية استحالة إفناء عجب الذنب، كيميائيًّا بالإذابة في أقوى الأحماض، أو فيزيائيًّا بالحرق، أو بالسحق، أو بالتعريض للأشعة المختلفة، وهذا من دلائل النبوة وآياتها في الإخبار عن هذه الحقيقة العلمية الثابتة التي لم تكتشف إلا في العصر الحديث. انظر:

http//:www.alittihad.ae/details.php?id = 65360&y = 2014.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم (١٨/ ٩٢).

آدم كلهم في ذلك سواء، إلا أنه قد روي في أجساد الأنبياء والشهداء أن الأرض لا تأكلهم، وحسبك ما جاء في شهداء أحد وغيرهم. . . وإذا جاز ألا تأكل الأرض عجب الذنب جاز ألا تأكل الشهداء، وذلك كله حكم الله وحكمته»[(١)].

ومن ذلك ما ثبت عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما حضر أحد دعاني أبي من الليل، فقال: ما أراني إلا مقتولًا في أول من يقتل من أصحاب النبي ﷺ، وإني لا أترك بعدي أعزَّ عليَّ منك، غير نفس رسول الله ﷺ، فإن عليَّ دينًا فاقض، واستوصِ بأخواتك خيرًا، فأصبحنا، فكان أول قتيل ودفن معه آخر في قبر، ثم لم تطب نفسي أن أتركه مع الآخر، فاستخرجته بعد ستة أشهر، فإذا هو كيوم وضعته هُنَيَّة غير أذنه[(٢)].

ولذا قال ابن حجر: «وفيه كرامته بوقوع الأمر على ما ظن، وكرامته بكون الأرض لم تُبْلِ جسده مع لبثه فيها، والظاهر أن ذلك لمكان الشهادة»[(٣)].

وقال الإمام ابن أبي العز: «حرم الله على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء، كما روي في السنن، وأما الشهداء فقد شوهد منهم بعد مُدَدٍ من دفنه كما هو لم يتغير، فيحتمل بقاؤه كذلك في تربته إلى يوم محشره، ويحتمل أنه يبلى مع طول المدة، والله أعلم، وكأنه -والله أعلم- كلما كانت الشهادة أكمل، والشهيد أفضل، كان بقاء جسده أطول»[(٤)].

وقد يلحق بمن لا تأكل الأرض أجسادهم الصديقون؛ لأنهم أفضل من الشهداء، قال الشيخ ابن عثيمين: «أما الشهداء والصديقون والصالحون فهؤلاء قد لا تأكل الأرض بعضهم كرامة لهم، وإلا فالأصل أنها تأكله ولا

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٨/ ١٧٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٥١).
(٣) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢١٧).
(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٥٨٨).

يبقى إلا عجب الذنب»[١].

### ۞ ثالثًا: عود الأرواح إلى أجسادها عند البعث:

تعود الأرواح إلى أجسادها عند البعث عودة لا يقبل البدن معها موتًا ولا نومًا ولا فسادًا[٢]؛ لما ثبت عن أم هانئ، أنها سألت رسول الله ﷺ: أنتزاور إذا متنا ويرى بعضنا بعضًا؟ فقال رسول الله ﷺ: «**تكون النسم طيرًا تعلق بالشجر، حتى إذا كان يوم القيامة دخلت كل نفس في جسدها**»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**كل ابن آدم تأكله الأرض، إلا عجب الذنب منه ينبت، ويرسل الله ماء الحياة، فينبتون فيه نبات الخضر، حتى إذا أخرجت الأجساد، أرسل الله الأرواح، وكان كل روح أسرع إلى صاحبه من الطرف، ثم ينفخ في الصور:** ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾»[٤].

قال الإمام ابن القيم: «تنبت أجسادهم في القبور فإذا نفخ في الصور رجعت كل روح إلى جسدها فدخلت فيه فانشقت الأرض عنه فقام من قبره»[٥].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «تعاد الأرواح إلى الأجساد، وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاةً عراةً غرلًا، وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق»[٦].

---

(١) لقاء الباب المفتوح (١٠/ ٢٠٤) بترقيم الشاملة آليًّا.

(٢) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٥٧٩).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤٥/ ٣٨٣)، والطبراني في المعجم الكبير (٢٤/ ٤٣٨)، قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام» (مجمع الزوائد ٢/ ٣٢٩)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٦٧٩).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٦١٦)، وقال الشيخ الألباني: «إسناده جيد» (ظلال الجنة ح٨٩١).

(٥) الروح (ص١٨٥).

(٦) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٥).

## ۞ رابعًا: أول من يبعث، مع الأدلة:

أول من يبعث هو نبينا محمد ﷺ، ومن الأدلة على ذلك ما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**»(١)، والشاهد قوله: (**أول من ينشق عنه القبر**) فدل على أن «أول من تنشق عنه الأرض نبينا محمد ﷺ، وهو أول من يفيق من الصعق»(٢).

## ۞ خامسًا: بعث العبد على ما مات عليه، ودليله:

يبعث كل إنسان على الحالة التي مات عليها من إيمان أو كفر، ومن طاعة أو معصية، ويدل على ذلك حديث جابر رضي الله عنه، قال: سمعت النبي ﷺ، يقول: «**يبعث كل عبد على ما مات عليه**»(٣).

قال الإمام النووي: «قال العلماء: معناه: يبعث على الحالة التي مات عليها»(٤).

قال الإمام ابن الجوزي: «اعلم أن الإنسان قد يبقى زمانًا على الكفر ثم ينتقل إلى الإيمان، أو على المعاصي ثم ينتقل إلى الطاعة، وقد يكون على الإيمان والطاعة فينتقل إلى الكفر والمعاصي، فالأحوال تتغير وتتقلب في الدنيا، والعمل على الخواتيم، فإذا مات الإنسان على حالة فقد ختم له بها، فعليها يبعث»(٥).

وقال الإمام ابن القيم: «العبد يموت على ما عاش عليه ويبعث على ما مات عليه»(٦).

يعني أنه يبعث كل عبد على ما مات عليه من خير أو شر، وهذا يتضمن حث

(١) أخرجه مسلم (ح٢٢٧٨).
(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ٤٥٨).
(٣) أخرجه مسلم (ح٢٨٧٨).
(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢١٠).
(٥) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٣/ ١١٢).
(٦) مفتاح دار السعادة (١/ ٣٥).

المسلم على أن يموت على خير الأحوال؛ لأنه سيبعث على الحالة التي كان عليها، وعلى المسارعة إلى الخير؛ فإنه لا يدري أحد متى يموت.

### ومما ورد من الشواهد على ذلك:

١- أن من مات وهو محرم يبعث ملبيًّا، لحديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قال: بينما رجل واقف بعرفة، إذ وقع عن راحلته، فوقصته -أو قال: فأوقصته- قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اغسلوه بماء وسدر، وكفنوه في ثوبين، ولا تحنطوه، ولا تخمروا رأسه، فإنه يبعث يوم القيامة ملبِّيًا**»[(١)].

٢- من مات شهيدًا يبعث يوم القيامة وجرحه يثعب دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، لحديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحدٌ في سبيل الله – والله أعلم بمن يكلم في سبيله – إلا جاء يوم القيامة، واللون لون الدم، والريح ريح المسك**»[(٢)].

٣- من غلَّ من الغنيمة أو من غيرها يبعث بما غل، يقول تعالى: ﴿وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران: ١٦١]، قال القرطبي: «أي: يأتِ به حاملًا له على ظهره ورقبته، معذبًا بحمله وثقله، ومرعوبًا بصوته، وموبخًا بإظهار خيانته على رؤوس الأشهاد»[(٣)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قام فينا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذات يوم، فذكر الغلول، فعظمه وعظم أمره، ثم قال: «**لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نَفْسٌ لها صياح، فيقول: يا رسول الله،**

(١) أخرجه البخاري (ح١٢٦٥)، ومسلم (ح١٢٠٦).
(٢) أخرجه البخاري (ح٢٨٠٣).
(٣) تفسير القرطبي (٤/ ٢٥٦).

**أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تَخْفِق، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا، قد أبلغتك»**(١).

٤- آكل الربا يبعث يوم القيامة كالذي يتخبطه الشيطان من المس، قال سبحانه: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، قال الحافظ ابن كثير: «أي: لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له»(٢).

٥- الغادر يرفع له لواء يوم القيامة يبين غدرته، ويفضحه على رؤوس الأشهاد، لحديث ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء، فقيل: هذه غدرة فلان بن فلان**»(٣).

## ۞ سادسًا: المنكرون للبعث والنشور، والرد عليهم إجمالًا:

### ١- المنكرون للبعث بالكلية:

وهم «طوائف من الكفار والمشركين وغيرهم ينكرون المعاد بالكلية، فلا يقرون لا بمعاد الأرواح؛ ولا الأجساد، وقد بين الله تعالى في كتابه على لسان رسوله أمر معاد الأرواح والأجساد، ورد على الكافرين والمنكرين لشيء من ذلك بيانًا في غاية التمام والكمال»(٤).

### ٢- المنكرون لبعث الأجساد:

وهم «طوائف من الكفار وغيرهم؛ من الصابئة والفلاسفة ومن وافقهم،

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٣١).
(٢) تفسير ابن كثير (١/ ٧٠٨).
(٣) أخرجه مسلم (ح١٧٣٥).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية (٤/ ٣١٤).

فيقرون بحشر الأرواح فقط، وأن النعيم والعذاب للأرواح فقط»[(١)].

### ٣- المؤولون لنصوص المعاد بالرجعة:

أول من قال بالرجعة[(٢)] السبئية، ثم ورثت هذه العقيدة طائفة الإثني عشرية، فأولت نصوص المعاد بالرجعة، ومن شواهد ذلك أن شيخ المفسرين عندهم زعم أن من أعظم الأدلة على الرجعة قوله سبحانه: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ۝٩٥﴾ [الأنبياء: ٩٥]، حيث يقول ما نصه: «هذه الآية من أعظم الأدلة على الرجعة؛ لأن أحدًا من أهل الإسلام لا ينكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة من هلك ومن لم يهلك»[(٣)].

وقد جعلوا ذلك قاعدة كلية، فكل آية في القرآن ذكر فيها يوم القيامة، فالمراد بها حسب زعمهم الرجعة، فقالوا: «كل ما عبر به بيوم القيامة في ظاهر التنزيل فتأويله بالرجعة»[(٤)].

ومن بدعهم أيضًا: قولهم بأن أمر الآخرة للإمام. جاء في أهم كتاب معتمد لديهم وهو (الكافي): «الآخرة للإمام، يضعها حيث يشاء، ويدفعها إلى من يشاء، جائز له ذلك من الله»[(٥)].

وأول ما يسأل عنه في القبر بزعمهم هو حب الاثني عشر. قالوا: «أول ما يسأل عنه العبد حبنا أهل البيت»[(٦)].

---

(١) انظر: المصدر السابق، الموضع نفسه.

(٢) معنى الرجعة: الرجوع إلى الدنيا بعد الموت. انظر: القاموس المحيط (٣/ ٢٨)، مجمع البحرين (٤/ ٣٣٤).

**وعرفها الشيعة الإثنا عشرية بأنها:** رجعة كثير من الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة، وعودتهم إلى الحياة بعد الموت، في صورهم التي كانوا عليها. انظر: أوائل المقالات، للمفيد (ص٥١، ٥٩).

(٣) تفسير القمي (٢/ ٧٦).

(٤) مرآة الأنوار، لأبي الحسن الشريف (ص٣٠٣). (٥) أصول الكافي (١/ ٤٠٩).

(٦) بحار الأنوار (٢٧/ ٧٩)، عيون أخبار الرضا (ص٢٢٢).

وجعلوا أمور الحساب، والصراط والميزان، والجنة والنار بيد الأئمة، قال أبو عبد الله: «إلينا الصراط، وإلينا الميزان، وإلينا حساب شيعتنا»[(١)].

وجعلوا من أصول الأئمَّة الإيمان بأنَّ حساب جميع الخلق يوم القيامة إلى أئمَّتهم[(٢)]، وجاءت عندهم روايات كثيرة تقول: «لا يجوز الصّراط أحد إلا ومعه ولاية من علي»[(٣)]، أو «جواز فيه ولاية علي»[(٤)]، أو «كتاب فيه براءة بولاية علي»[(٥)].

### الرد عليهم إجمالًا:

١- يبطل قول منكري البعث بالكلية ما سبق من الأدلة العقلية والنقلية في إثبات المعاد.

٢- ويبطل قول منكري البعث الجسماني الآيات القرآنية المصرحة ببعث الأجساد والنعيم والعذاب الحسي، ومنها قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ومعلوم أن ابتداء خلق الإنسان كان من جسد وروح، فكذلك بعثه وإعادته.

٣- ويبطل قول الشيعة الإثني عشرية أن الآية التي استدلوا بها حجة عليهم، فهي تدل على نفي الرجعة إلى الدنيا؛ إذ معناها كما صرح به ابن عباس وأبو جعفر الباقر وقتادة وغير واحد: حرام على أهل كل قرية أهلكوا بذنوبهم أنهم يرجعون إلى الدنيا قبل يوم القيامة[(٦)].

كما يبطل دعوى الرجعة من أصلها قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠]، فهذه الآية صريحة في نفي

(١) رجال الكشي (ص٣٣٧).
(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة (ص١٧١).
(٣) المعالم الزلفى (ص٢٣٩).
(٤) بحار الأنوار (٨/ ٦٨)، البرهان (٤/ ١٧).
(٥) بحار الأنوار (٨/ ٦٦).
(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٥).

الرجعة مطلقًا[١].

وأما دعواهم أن أمور الآخرة للإمام، فهو شرك صراح يبطله قول الله تعالى: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥﴾ [النجم: ٢٥]، وقوله جل وعلا: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص: ٧٠].



(١) انظر: مختصر التحفة الإثني عشرية، للآلوسي (ص٢٠١).



# المبحث الثامن

## الحشر

### ۞ أولًا: تعريف الحشر، والأدلة عليه:

#### تعريف الحشر:

**الحشر معناه:** جمع الخلق بعد إحيائهم من قبورهم وسَوْقهم إلى الموقف للحساب، قال الحافظ ابن حجر: «الحشر... حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعًا إلى الموقف»[(١)]، وقال البيجوري: «الحشر عبارة عن سوقهم جميعًا إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيه من أرض القدس[(٢)] المبدلة التي لم يُعْصَ الله عليها لفصل القضاء بينهم»[(٣)].

#### أدلة الحشر:

دل على إثبات الحشر الكتاب والسنة والإجماع.

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٩).

(٢) يشير إلى حديث ميمونة مولاة النبي ﷺ قالت: قلت: يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس، قال: «**أرض المحشر والمنشر ائتوه فصلوا فيه، فإن صلاة فيه كألف صلاة في غيره**» قلت: أرأيت إن لم أستطع أن أتحمل إليه؟ قال: «**فتهدي له زيتًا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه**» أخرجه ابن ماجه (ح١٤٠٧)، وضعفه البوصيري في (مصباح الزجاجة ٢/ ١٤)، والألباني في (ضعيف الجامع ح٢٣٤٥).

(٣) تحفة المريد على جوهرة التوحيد (ص٢٧٨).

**أما الكتاب** فقوله تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْآخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾﴾ [هود: ١٠٣].

قال السعدي: «يحشر الله جميع الخلق على تلك الأرض، فلا يغادر منهم أحدًا، بل يجمع الأولين والآخرين، من بطون الفلوات، وقعور البحار، ويجمعهم بعدما تفرقوا، ويعيدهم بعد ما تمزقوا، خلقًا جديدًا، فيعرضون عليه صفًّا ليستعرضهم وينظر في أعمالهم، ويحكم فيهم بحكمه العدل، الذي لا جَوْر فيه ولا ظلم»(١).

**ومن السنة** حديث عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**» قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»(٢).

**وأجمع** سلف الأمة وأئمتها على ثبوت الحشر.

والحشر عامٌّ يشمل جميع الخلق حتى البهائم، كما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾ [التكوير: ٥].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء**»(٣).

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص٤٧٩).

(٢) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٧)، ومسلم (ح٢٨٥٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٥٨٢).

قال الإمام النووي: «هذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها يوم القيامة كما يعاد أهل التكليف من الآدميين، وكما يعاد الأطفال والمجانين ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة»(١).

## ۞ ثانيًا: تبديل الأرض والسماوات يوم القيامة:

دل القرآن والسنة على أن السماوات والأرض تبدل ويخلق الله غيرهما، ومما يدل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

ومن السنة ما ثبت عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة نقي**(٢)» قال سهل، أو غيره: «**ليس فيها معلم لأحد**»(٣).

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: «**إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**»، فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ: «**أينفعك شيء إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «**سل**» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر**»(٤).

وعن عائشة، قالت: سألت رسول الله ﷺ عن قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٦).

(٢) **عفراء**: أي شديدة البياض، **قرصة النقِي**: الدقيق النقي من الغش والنخال. انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٧٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٢١)، ومسلم (ح٢٧٩٠).

(٤) أخرجه مسلم (ح٣١٥).

غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ فأين يكون الناس يومئذٍ يا رسول الله؟ فقال: «**على الصراط**»(١).

واختلف أهل العلم في حقيقة هذا التبديل: هل هو تبديل ذات؟ أم تبديل صفات؟ قال الحافظ ابن حجر: «وقد وقع للسلف في ذلك خلاف في المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ هل معنى تبديلها تغيير ذاتها وصفاتها؟ أو تغيير صفاتها فقط؟ وحديث الباب(٢) يؤيد الأول»(٣).

قال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «تبدل أرضًا بيضاء نقية كأنها فضة، لم يسفك فيها دم حرام، ولم يعمل فيها خطيئة»(٤).

قال القرطبي: «هذه الأحاديث نص في أن الأرض والسموات تبدل وتزال، ويخلق الله أرضًا أخرى يكون عليها الناس بعد كونهم على الجسر وهو الصراط، لا كما قال كثير من الناس: إن تبدل الأرض عبارة عن تغيير صفاتها، وتسوية آكامها، ونسف جبالها، ومدِّ أرضها»(٥).

## ۞ ثالثًا: صفة حشر الناس بعد البعث:

يحشر جميع الخلق يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، وقد جاء في القرآن والسنة هيئات وصفات لحشر الخلق يوم القيامة، ومن ذلك:

١- حشر المتقين إلى الرحمن وفدًا، وحشر المجرمين إلى جهنم وردًا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥، ٨٦]، قال الإمام ابن كثير: «يخبر تعالى عن أوليائه

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٧٩١).
(٢) أي: حديث سهل بن سعد المتقدم.
(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٧٥).
(٤) تفسير الطبري (١٣/ ٧٣٠)، وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١/ ٣٧٥).
(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٥٠٣).

المتقين، الذين خافوه في الدار الدنيا واتبعوا رسله وصدقوهم فيما أخبروهم، وأطاعوهم فيما أمروهم به، وانتهوا عما عنه زجروهم: أنه يحشرهم يوم القيامة وفدًا إليه. والوفد: هم القادمون ركبانًا، ومنه الوفود وركوبهم على نجائب من نور، من مراكب الدار الآخرة، وهم قادمون على خير موفود إليه، إلى دار كرامته ورضوانه. وأما المجرمون المكذبون للرسل المخالفون لهم، فإنهم يساقون عنفًا إلى النار، ﴿وِرْدًا﴾ عِطاشًا، قاله عطاء، وابن عباس، ومجاهد، والحسن، وقتادة، وغير واحد»[١].

**٢-** حشر الناس حفاة عراة غرلًا، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**» قلت: يا رسول الله، النساء والرجال جميعًا ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال ﷺ: «**يا عائشة، الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض**»[٢].

**٣-** حشر الكافر على وجهه، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلًا قال: يا نبي الله، كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**» قال قتادة: بلى وعزة ربنا[٣].

**٤-** حشر المتكبرين أمثال الذرِّ، فعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، أن النبي ﷺ قال: «**يحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الناس، يعلوهم كل شيء من الصغار، حتى يدخلوا سجنًا في جهنم، يقال له: بولس، فتعلوهم نار الأنيار، يسقَون من طينة الخبال، عصارة أهل النار**»[٤].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٢٦٣).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٣)، ومسلم (ح٢٨٠٦).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٢٦٠)، والترمذي (ح٢٤٩٢) وحسنه، وصححه الألباني في (صحيح الجامع ح٨٠٤٠).

٥- حشر مَن يسأل الناس ليس في وجهه مزعة لحم، فعن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**ما يزال الرجل يسأل الناس، حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم**»(١).

٦- حشر الغالِّ يحمل ما غل يوم القيامة، فعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بعثني النبي ﷺ ساعيًا، ثم قال: «**انطلق أبا مسعود، ولا ألفينك يوم القيامة تجيء وعلى ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء، قد غللته**» قال: إذًا لا أنطلق قال: «**إذًا لا أكرهك**»(٢).

٧- حشر هذه الأمة غرًّا محجلين، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**»(٣).

٨- حشر الشهيد وجرحه يسيل دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**كل كَلْمٍ يكلمه المسلم في سبيل الله، يكون يوم القيامة كهيئتها إذ طعنت، تفجر دمًا، اللون لون الدم، والعرف عرف المسك**»(٤).

## ۞ رابعًا: كسوة العباد يوم المعاد:

يحشر الناس يوم القيامة عراة غير مكتسين؛ لما ثبت عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلًا**»(٥).

لكن جاء في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه لما حضره الموت، دعا

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٤٧٤)، ومسلم (ح١٠٤٠).

(٢) أخرجه أبو داود (ح٢٩٤٧)، والطبراني في الكبير (١٧/ ٢٤٧)، قال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٣/ ٨٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٥٠٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٣٦)، ومسلم (ح٢٤٦).

(٤) أخرجه البخاري (ح٢٣٧)، ومسلم (ح١٨٧٦).

(٥) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٧)، ومسلم (ح٢٨٥٩) واللفظ له.

بثياب جدد فلبسها، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الميت يبعث في ثيابه التي يموت فيها**»(١).

**وللعلماء في التوفيق بين الحديثين أقوال:**

**الأول:** أنه لا تعارض بين الحديثين؛ لأن المقصود بقوله: «**يبعث في ثيابه**»، **يعني:** يبعث على ما مات عليه من عمل صالح أو عمل سيئ، كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، قال الخطابي: «وقد تأوَّله [يعني: حديث أبي سعيد الخدري] بعض العلماء على خلاف ذلك، فقال: معنى الثياب: العمل، كنى بها عنه، يريد أنه يبعث على ما مات عليه من عمل صالح أو عمل سيء»(٢)، قال الحافظ ابن حجر: «وإطلاق الثياب على العمل وقع في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدثر: ٤] على أحد الأقوال وهو قول قتادة، قال: معناه: وعملك فأخْلِصْه»(٣)، لكن هذا التأويل مخالف لظاهر الحديث، كما قال الإمام ابن عبد البر(٤).

**الثاني:** «قد يحتمل أن يكون أبو سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سمع الحديث في الشهيد فتأوله على العموم، ويكون الميت المذكور في حديثه هو الشهيد الذي أمر أن يزمل بثيابه، ويدفن فيها ولا يغسل عنه دمه، ولا يُغير شيء من حاله»(٥).

**وأرجح الأقوال** -إن صح حديث أبي سعيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أنهم «يخرجون من القبور بالثياب التي ماتوا فيها، ثم تتناثر عنهم عند ابتداء الحشر فيحشرون عراة، ثم

(١) أخرجه أبو داود (ح٣١١٤)، وابن حبان (ح٧٣١٦)، والحاكم في المستدرك (١/ ٤٩٠) وصححه، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٩٧١).
(٢) معالم السنن (١/ ٣٠١).
(٣) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٨٣).
(٤) التمهيد (١٩/ ١٥).
(٥) التمهيد (١٩/ ١٤)، وانظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٥٣٧)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن (١٩/ ٣٦٦)، فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٨٣).

يكون أول من يُكسى إبراهيم»[١].

وهو اختيار الإمام ابن قتيبة، حيث قال: «البعث غير الحشر وهو قبله... وكأن الناس حين يعادون خلقًا جديدًا تعاد عليهم الأكفان التي ماتوا فيها، فإذا حشروا إلى الله سلبوها، ولقوه عراة كما بدأ خلقهم حين خرجوا من الأرحام عراة، وكانوا في الأرحام مستترين استتار الموتى بالقبور، ومغَشِّين في الأرحام بالمشائم، كما كان أهل القبور مغَشِّين فيها بالأكفان»[٢].

## ۞ خامسًا: أول الخلائق كسوة في المحشر:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلًا**»، ثم قرأ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، **وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم**»[٣].

قال الإمام ابن الجوزي: «قوله: **(أول من يكسى إبراهيم)**؛ وذلك لأنه كان كالعريان من النفس والمال والولد، فأسلم نفسه إلى النيران، وولده إلى القربان، وماله للضيفان، فشُرِّف بابتدائه بالكسوة»[٤].

وقال شهاب الدين التوربشتي: «ونرى أن التقديم بهذه الفضيلة إنما وقع لإبراهيم عليه السلام؛ لأنه أول من عُري في ذات الله، حين أرادوا إلقاءه. **فإن قيل:** أوليس نبينا صلى الله عليه وسلم هو المحكوم عليه بالفضل على سائر الأنبياء، وتأخره في ذلك موهم أن الفضل للسابق؟

**قلنا:** إذا استأثر الله سبحانه عبدًا بفضيلة على آخر، واستأثر المستأثر عليه على المستأثر بتلك الواحدة بعشر أمثالها، أو أفضل كانت السابقة له، ولا يقدح استئثار صاحبه عليه بفضيلة واحدة في فضله، ولا خفاء بأن الشفاعة -

(١) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٨٣).
(٢) المسائل والأجوبة، لابن قتيبة (ص٣١٧-٣١٨).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٣٤٩).
(٤) كشف المشكل من حديث الصحيحين (٢/ ٣٥٦).

حيث لا يؤذن لأحد في الكلام- لم تسبق سابقة الأولى السابقة، ولا فضيلة لذوي الفضائل إلا أتت عليها، وكم له من فضائل مختصة به لم يسبق إليها، ولم يشارك فيها»[(١)].

وقال الحافظ ابن حجر: «يقال: إن الحكمة في خصوصية إبراهيم بذلك؛ لكونه أُلقي في النار عريانًا، وقيل: لأنه أول من لبس السراويل، ولا يلزم من خصوصيته عليه السلام بذلك تفضيله على نبينا محمد ﷺ؛ لأن المفضول قد يمتاز بشيء يخص به ولا يلزم منه الفضيلة المطلقة، ويمكن أن يقال: لا يدخل النبي ﷺ في ذلك على القول بأن المتكلم لا يدخل في عموم خطابه»[(٢)].

### ۞ سادسًا: أحوال الناس في المحشر:

وحشر الناس له صور مختلفة؛ فمن ذلك: أن الكفار يحشرون على وجوههم، قال تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن رجلًا قال: يا نبي الله، يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟!**»[(٣)].

**ومن ذلك:** أن الناس يحشرون على طرائق. عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يُحشر الناس ثلاثة أصناف: صنفًا مشاة، وصنفًا ركبانًا، وصنفًا على وجوههم**» قالوا: يا رسول الله، وكيف يمشون على وجوههم؟ فقال: «**إن الذي أمشاهم على أقدامهم، قادر على أن يمشيهم على وجوههم. أما إنه يتقون بكل حدب وشوك**[(٤)]»[(٥)].

---

(١) الميسر في شرح مصابيح السنة للتوربشتي (٤/ ١١٩٠)، وانظر: شرح المشكاة للطيبي (ص٣٤٩٩).
(٢) فتح الباري، لابن حجر (٦/ ٣٩٠).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٧٦٠)، ومسلم (ح٢٨٠٦).
(٤) قال عفان (أحد رواة الحديث): «يتقون بوجوههم كل حدب وشوك».
(٥) أخرجه أحمد في المسند (ح ٨٧٥٥)، وحسنه محققوه.

**ومنها:** أن المتقين يُحشرون على أحسن طريقة وهيئة. قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥-٨٦]، أي: عطاشًا.





# المبحث التاسع

## العرض

### ۞ أولًا: مجيء الرب تعالى للفصل بين العباد، وتجليه في الموقف:

يجيء الرب تبارك وتعالى -كما يليق بجلاله ويختص بعظمته- يوم القيامة للفصل بين العباد، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة.

**ومما يدل على ذلك من الكتاب**: قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾﴾ [البقرة: ٢١٠]، قال الإمام ابن كثير: «يعني: يوم القيامة؛ لفصل القضاء بين الأولين والآخرين، فيجزي كل عامل بعمله؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر»(١).

وقال جل وعلا: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وقال سبحانه: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

فإذا جاء الله جل وعلا أشرقت الأرض بنور ربها، ووُضع الكتاب، وقضى بين الناس بالحق، قال سبحانه: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزمر: ٦٩]، قال الإمام ابن كثير: «أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق تبارك وتعالى للخلائق لفصل القضاء، ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال،

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٥٦٦).

﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال ابن عباس: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم، ﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾، أي: الشهداء من الملائكة الحفظة على أعمال العباد من خير وشر، ﴿وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ﴾، أي: بالعدل ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾»(١).

**ومما يدل على ذلك من السنة:** حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم، وكل أمة جاثية**»(٢).

وحديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أن الناس قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: «**هل تمارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**فهل تمارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا، قال: «**فإنكم ترونه كذلك، يُحْشر الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئًا فليتبع، فمنهم من يتبع الشمس، ومنهم من يتبع القمر، ومنهم من يتبع الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته، ولا يتكلم يومئذٍ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل يومئذٍ: اللهم سَلِّمْ سَلِّمْ...**»(٣).

وأجمع على ذلك أهل السنة، قال الإمام الأشعري: «ويقرون [أي: أهل السنة] أن الله سبحانه يجيء يوم القيامة، كما قال: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢﴾ [الفجر: ٢٢]»(٤).

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ١١٨).
(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٣٨٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠/ ٣٩٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٧١٣).
(٣) أخرجه البخاري (ح٨٠٦)، ومسلم (ح١٨٢).
(٤) مقالات الإسلاميين (ص٢٩٥).

وقال الإمام ابن عبد البر: «يتجلى ويجيء بلا كيف، لا يقولون: كيف يجيء؟ وكيف يتجلى؟»[(١)].

## ۞ ثانيًا: رؤية الرب تعالى في العرصات[(٢)]، وتكليمه الناس:

يرى المؤمنون ربهم في عرصات القيامة، كما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ قال: «... **فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك، فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: حتى ننظر إليك، فيتجلى لهم يضحك**»[(٣)]، يعني: يتجلى لهم في عرصات القيامة.

**أما رؤية الكفار لله يوم القيامة فقد اختلف أهل السنة في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:** «**أحدها:** أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر ولا المسر له[(٤)]، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين، وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

**الثاني:** أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها وغُبَّرات[(٥)] من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أئمة أهل السنة، وقد ذكر القاضي أبو يعلى نحوه في حديث إتيانه سبحانه وتعالى لهم في الموقف الحديث المشهور.

**الثالث:** أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأى السلطان -

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٧/ ١٥٣).

(٢) **العرصات** جمع عرصة، وهي: كل موضع واسع لا بناء فيه، **وعرصات القيامة:** مواقف الحساب والعرض وغير ذلك. انظر: التنبيهات السنية على العقيدة الواسطية (ص٢١٨).

(٣) أخرجه مسلم (ح١٩١).

(٤) **يعني:** لا الكافر ولا المنافق.

(٥) **غبرات:** بقايا. انظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٤٧٠).

ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، وهذا قول أبي الحسن بن سالم وأصحابه وقول غيرهم؛ وهم في الأصول منتسبون إلى الإمام أحمد بن حنبل وإلى سهل بن عبد الله التستري، وهذا مقتضى قول من فسر (اللقاء) في كتاب الله بالرؤية»(١).

أما تكليم الله سبحانه الناس يوم القيامة، فقد ثبت أن الله ﷻ يكلم الناس يوم القيامة بلا حجاب ولا ترجمان، فعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه، ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه**»(٢).

وعن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخِذٌ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»(٣).

## ۞ ثالثًا: تعريف العرض، والأدلة عليه:

هو عرض العباد على ربهم، وعرض أعمالهم عليهم(٤).

قال الشيخ حافظ بن حكمي: «**العرض له معنيان:**

**معنى عام:** وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، بادية له صفحاتهم، لا تخفى عليه منهم خافية، هذا يدخل فيه من يناقش الحساب، ومن لا يحاسب.

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٧-٤٨٨)، وانظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٦٦-٤٦٧).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤٤٣)، ومسلم (ح١٠١٦).
(٣) أخرجه البخاري (ح٢٤٤١).
(٤) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، للبراك (ص٣٠٦).

**والمعنى الثاني:** عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرهم بها، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم»[(١)].

❋ أما عرض العباد على ربهم فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: ٤٧، ٤٨].

❋ وأما عرض الأعمال على العاملين، فيدل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وفي حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه: «**ما منكم أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه؛ فلا يرى إلا ما قدم من عمله، وينظر أشأم منه؛ فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه؛ فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة**»[(٢)]، وقال ﷺ: «**ليس أحدٌ يُحاسَب يوم القيامة إلا هلك**»، فقالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنما ذلك العرض، وليس أحدٌ يناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب**»[(٣)].

## ❁ رابعًا: عدد العرضات:

روي أنها ثلاث عرضات، فقد روي عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي، فآخِذٌ بيمينه، وآخِذٌ بشماله**»[(٤)].

---

(١) معارج القبول (٢/ ٨٢٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧٥١٢)، ومسلم (ح١٠١٦).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٣٧) واللفظ له، ومسلم (ح٢٨٧٦).

(٤) أخرجه ابن ماجه (ح٤٢٧٧)، والإمام أحمد في مسنده (٣٢/ ٤٨٦)، وقال محققوه: «إسناده =

قال الطيبي: «**قيل: هي ثلاث مرات، فأما المرة الأولى:** فيدفعون عن أنفسهم ويقولون: لم يبلغنا الأنبياء ويحاجُّون الله.

**والمرة الثانية:** يعترفون بذنوبهم ويعتذرون. ولا تتم قضيتهم في المرتين بالكلية.

**والمرة الثالثة:** فيطير كتابهم إما باليمين فذلك أهل السعادة، وإما بالشمال فذلك أهل الشقاوة- نعوذ بالله من ذلك- فتتم قضيتهم»[(١)].



= ضعيف لانقطاعه، الحسن البصري لم يسمع من أبي موسى»، وأخرجه الترمذي (ح٢٤٢٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال: «ولا يصح هذا الحديث من قِبَلِ أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي بن علي وهو الرفاعي، عن الحسن، عن أبي موسى، عن النبي ﷺ، ولا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي موسى»، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح٦٤٣٢)، وقال الحافظ ابن حجر: «أخرجه البيهقي في البعث بسند حسن عن عبد الله بن مسعود موقوفًا» (فتح الباري ١١/ ٤٠٣).

(١) شرح المشكاة للطيبي (ص٣٥١١).



# المبحث العاشر

## الحساب

### ۞ أولًا: تعريفه:

**الحساب في اللغة:** العدُّ، ويطلق بمعنى المحاسبة، ومن أسماء يوم القيامة: يوم الحساب، قال تعالى: ﴿بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

**والحساب شرعًا** -كما قال القرطبي: «أن الباري سبحانه يعدِّد على الخلق أعمالهم من إحسان وإساءة»[(١)].

وقال الثعلبي: «معنى الحساب: تعريف الله عباده مقادير الجزاء على أعمالهم، وتذكيره إياهم ما نسوه من ذلك»[(٢)].

وعرفه الشيخ ابن عثيمين بقوله: «إطْلاع العباد على أعمالهم يوم القيامة»[(٣)].

وكل هذه التعريفات بمعنى واحد، وهو أن الحساب تعريف العباد بأعمالهم.

❊ ❊ ❊

(١) التذكرة (ص٥٦٢).

(٢) تفسير الثعلبي (٢/ ١١٧)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٧١-١٧٢).

(٣) شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١٥٢).

## ۞ ثانيًا: الأدلة عليه:

ومن الأدلة على الحساب قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وقوله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: ١٤]، وقوله جل وعلا: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وقوله سبحانه: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

## ۞ ثالثًا: مقدار يوم الحساب:

الحساب يوم واحد مقداره خمسون ألف سنة من أيام الدنيا، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى: ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، يقول: قال رسول الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهب ولا فضة، لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة، صفحت له صفائح من نار، فأحمي عليها في نار جهنم، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد، فيرى سبيله، إما إلى الجنة، وإما إلى النار**»(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله سبحانه يحاسب الخلق في ساعة واحدة(٢)، لا يشغله حساب هذا عن حساب هذا»(٣).

### وأقسام الناس بالنسبة إلى الحساب ثلاث درجات:

**الأولى:** من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب؛ وهم الذين لا يسترقون، ولا يكتوون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون، ومنهم عُكَّاشة بن محصن(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٩٨٧).

(٢) يعني: في قدر يسير من الزمن.

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٤/ ١٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (ح٥٧٠٥)، ومسلم (ح٢٢٠).

**والثانية:** من يحاسب حسابًا يسيرًا، وينقلب إلى أهله مسرورًا، والحساب هنا بمعنى العرض؛ لما جاء من تفسير ذلك عن النبي ﷺ[(١)].

**والثالثة:** من يحاسب حسابًا شديدًا، ويكون منهم المسلم والكافر[(٢)].

قال ابن تيمية: «ويحاسب الله الخلائق، ويخلو بعبده المؤمن فيقرره بذنوبه كما وصف ذلك في الكتاب والسنة؛ وأما الكفار: فلا يحاسبون محاسبة من توزن حسناته وسيئاته؛ فإنه لا حسنات لهم، ولكن تعد أعمالهم وتحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها»[(٣)].

## ۞ رابعًا: الفرق بين العرض والحساب:

**الفرق بينهما من وجوه:**

**الأول:** أن العرض خاصٌّ بالمؤمنين، بخلاف الحساب فهو عامٌّ للمؤمن والكافر.

**الثاني:** أن العرض جاءت تسميته بالحساب اليسير، بخلاف الحساب فلا يسمى بذلك.

**الثالث:** أن حقيقة العرض هو «أن تعرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف مِنَّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة»[(٤)]، أما الحساب فهو مناقشة العبد على سيئاته وأعماله، كما دل عليه حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حوسب يوم القيامة، عُذِّب**» فقلت: أليس قد قال الله عز وجل: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: ٨]؟ فقال: «**ليس ذاك الحساب، إنما ذاك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عذب**»[(٥)].

**الرابع:** أن العرض عاقبته النجاة، أما الحساب فعاقبته العذاب، كما دل عليه

---

(١) أخرجه البخاري (ح١٠٣)، ومسلم (ح٢٨٧٦).

(٢) انظر: التذكرة (ص٦٧٦).

(٣) العقيدة الواسطية (ص٩٨-٩٩).

(٤) فتح الباري (١١/ ٤٠٢).

(٥) أخرجه البخاري (ح١٠٣)، مسلم (ح٢٨٧٦) واللفظ له.

الحديث السابق.

**الخامس:** جاءت صفة العرض في حديث صفوان بن محرز المازني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[(١)].

أما الحساب فقد جاء بيانه في حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا السابق، وفيه: «**من نوقش الحساب يوم القيامة عُذِّب**»[(٢)].

قال الإمام النووي: «قوله ﷺ: **(من نوقش الحساب يوم القيامة عذب) معنى (نوقش):** استقصي عليه، قال القاضي: **وقوله: (عذِّب) له معنيان:**

**أحدهما:** أن نفس المناقشة وعرض الذنوب والتوقيف عليها هو التعذيب؛ لما فيه من التوبيخ.

**والثاني:** أنه مُفْضٍ إلى العذاب بالنار، ويؤيده قوله في الرواية الأخرى: **(هلك)** مكان: **(عذب)**، هذا كلام القاضي، وهذا الثاني هو الصحيح، **ومعناه:** أن التقصير غالب في العباد، فمن استقصي عليه ولم يُسامَح هلك، ودخل النار، ولكن الله تعالى يعفو ويغفر ما دون الشرك لمن يشاء»[(٣)].

## ۞ خامسًا: إثبات أن الله تعالى هو الذي يتولى حساب العباد:

إن الله سبحانه هو الذي يتولى حساب العباد، ومما يدل على ذلك قوله

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٢٠٨-٢٠٩).

تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ٢٥ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ٢٦﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦]، ففي هذه الآيات إخبار من الله سبحانه بأنه هو الذي يحاسب الخلق على أعمالهم ويجازيهم بها.

وقد نفى الله سبحانه قيام أحد غيره بمحاسبة الخلق، فقال جل وعلا: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٖ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٖ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٥٢﴾ [الأنعام: ٥٢]، قال الإمام ابن كثير: «أي: إنما حسابهم على الله عَزَّ وَجَلَّ، وليس عليَّ من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء»(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: ٢٠٢]، قال الإمام الطبري: «وإنما وصف جل ثناؤه نفسه بسرعة الحساب؛ لأنه جل ذكره يحصي ما يحصى من أعمال عباده بغير عقد أصابع ولا فكر ولا روية فعل العجزة الضعفة من الخلق، ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما، ثم هو مجازٍ عباده على كل ذلك؛ فلذلك جل ذكره امتدح بسرعة الحساب، وأخبر خلقه أنه ليس لهم بمثل فيحتاج في حسابه إلى عقد كفٍّ أو وعي صدر»(٢).

وعن صفوان بن محرز المازني، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٥٩).

(٢) تفسير الطبري (٣/ ٥٤٩).

ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[١].

## ۞ سادسًا: المستثنون من الحساب، وصفاتهم، وبعض أعيانهم، وعددهم:

المستثنون من الحساب هم الذين جاء ذكرهم في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: لا رقية إلا من عين أو حمة، فذكرته لسعيد بن جبير، فقال: حدثنا ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**عرضت عليَّ الأمم، فجعل النبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد، حتى رفع لي سواد عظيم، قلت: ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: بل هذا موسى وقومه، قيل: انظر إلى الأفق، فإذا سواد يملأ الأفق، ثم قيل لي: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سواد قد ملأ الأفق، قيل: هذه أمتك، ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفًا بغير حساب**»، ثم دخل ولم يبين لهم، فأفاض القوم، وقالوا: نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله، فنحن هم، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام، فإنا ولدنا في الجاهلية، فبلغ النبي ﷺ فخرج، فقال: «**هم الذين لا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون**» فقال عكاشة بن محصن: أمنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**» فقام آخر فقال: أمنهم أنا؟ قال: «**سبقك بها عكاشة**»[٢].

**ويتبين من الحديث أن صفات المستثنين من الحساب هي كما يلي:**

١- **أنهم لا يسترقون**، أي: لا يطلبون الرقية من غيرهم[٣]، أو لا يرقون بالرقى الشركية، أو لا يعتقدون أن الرقى مؤثرة بذاتها[٤].

٢- **أنهم لا يتطيرون**، أي: «لا يتشاءمون بالطيور ونحوها، كما هو عادتهم قبل الإسلام»[٥].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (ح٥٧٠٥)، ومسلم (ح٢٢٠). (٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٧٨).

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٩٠)، فتح الباري (١١/ ٤٠٨-٤٠٩).

(٥) انظر: الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني (٢٠/ ٢١٩).

**٣- أنهم لا يكتوون**، «أي: لا يبلغ بهم التنطع في التداوي إلى الكي، وهو آخر الأدوية»[(١)]، وقال الطيبي: «الكي بالنار من العلاج المعروف في كثير من الأمراض، وقد جاء في أحاديث كثيرة النهي عن الكي، فقيل: النهي إنما كان لتعظيمهم أمرَه، ويرون أنه لا يحصل الشفاء إلا به. وأما إذا اعتقد أنه سبب للشفاء، وأن الله هو الشافي، فلا بأس به، ويجوز أن يكون النهي عنه من قبيل التوكل»[(٢)]، وقال ابن حجر: «قوله: **(لا يكتوون)** معناه: إلا عند الضرورة مع اعتقاد أن الشفاء من الله لا من مجرد الكي»[(٣)].

وقد ورد تعيين بعض أعيانهم، ومنهم عكاشة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كما في الحديث السابق.

وأما عددهم فلا يحصيه إلا الله، فعن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«وعدني ربي أن يُدخِلَ الجنة من أمتي سبعين ألفًا بغير حساب ولا عذاب، مع كل ألف سبعين ألفًا، وثلاث حَثَيَات من حَثَيَاتِ ربي»**[(٤)].

## ۞ سابعًا: عدد الدواوين، ومنزلتها عند الله تعالى:

عدد الدواوين ومنزلتها عند الله من حيث العقوبة والمغفرة يوم القيامة ثلاثة دواوين: **(١)** ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك. **(٢)** وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وهو المظالم بين العباد. **(٣)** وديوان لا يعبأ الله به، وهو تحت مشيئته، وهو المعاصي التي بين العبد وبين ربه[(٥)].

**ويدل على ذلك**: ما رُوي عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

(١) الإفصاح عن معاني الصحاح، لابن هبيرة (٣/ ٦٥).

(٢) الكاشف عن حقائق السنن، للطيبي (ص١٣٧١).

(٣) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤١٠).

(٤) أخرجه الترمذي (ح٢٤٣٧) وحسنه، وابن ماجه (ح٤٢٨٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٧١١١).

(٥) انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، على هذا الرابط:

https//:2u.pw/x7mD7.

«**الدواوين عند الله ﷻ ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوان الذي لا يغفره الله: فالشرك بالله، قال الله ﷻ:** ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢]. وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه، أو صلاة تركها، فإن الله ﷻ يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء. وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئًا فظلم العباد بعضهم بعضًا، القِصاص لا محالة»[(١)].

## ۞ ثامنًا: المساءلة فيما بين الرب تعالى وعبده، ونماذج من المساءلات التي دلت عليها النصوص:

يوقف الله جل وعلا العباد فيسألهم، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٤].

**ومن أمثلة المساءلات التي دلت عليها النصوص:**

**١- سؤال العباد عن الرسل: هل بلغوا رسالات ربهم؟ وسؤال الله الرسل، هل أجبتم من قِبَل المدعوين؟** قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأعراف: ٦]، وقال: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٥]، وعن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال للناس في حجة الوداع: «... **وأنتم تسألون عني، فما أنتم قائلون؟**» قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، فقال بإصبعه السبابة، يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: «**اللهم اشهد، اللهم اشهد**» ثلاث مرات[(٢)]، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤٣/ ١٥٥-١٥٦)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه صدقة ابن موسى، وقد ضعفه الجمهور، وقال مسلم بن إبراهيم: حدثنا صدقة بن موسى وكان صدوقًا، وبقية رجاله ثقات» (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٨).

(٢) أخرجه مسلم (ح١٢١٨).

رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى: هل بلغت؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا، ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد** ﷺ **وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]»[١].

٢- **سؤال المشركين عن افترائهم على الله وإشراكهم مع الله غيره**، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: ٥٦]، ودعواهم أن الملائكة إناث، قال جل وعلا: ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

٣- **سؤال العبد عن السمع والبصر والفؤاد، هل استعملها في طاعة الله أم في معصيته؟** قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦]، قال القرطبي: «أي: يُسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع، وقيل: المعنى: أن الله سبحانه وتعالى يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده»[٢].

٤- **السؤال عن الأعمال**، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣]، وعن أبي بكرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال يوم النحر: «... **وستلقون ربكم، فسيسألكم عن أعمالكم...**»[٣].

٥- **سؤال العبد يوم القيامة عن ذنوبه**، فعن صفوان بن محرز المازني رضي الله عنه، قال: بينما أنا أمشي مع ابن عمر رضي الله عنهما آخذ بيده، إذ عرض رجل، فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله يُدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا، أتعرف**

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٣٣٩). (٢) تفسير القرطبي (١٠/ ٢٥٩).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٤٠٦)، ومسلم (ح١٦٧٩).

**ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعطى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافقون، فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[(١)].

وعن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال: إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملتَ هذا؟ فيقول: نعم أي رب، فيقول له: إني لم أفضحك به، وإني قد غفرت لك فيقول عند ذلك: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ [الحاقة: ١٩، ٢٠] حين نجا من فضيحته يوم القيامة[(٢)].

٦- **سؤال العبد يوم القيامة عن إنكار المنكرات**، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**إن الله ليسأل العبد يوم القيامة، حتى يقول: ما منعك إذ رأيت المنكر أن تنكره؟ فإذا لقَّن الله عبدًا حجتَه، قال: يا رب رجوتك، وفرقتُ من الناس**[(٣)]»[(٤)].

٧- **سؤال العبد عن وفائه بالعهود**، قال تعالى: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ [الإسراء: ٣٤]، قال الإمام ابن كثير: «﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ﴾ أي: الذي تعاهدون عليه الناس والعقود التي تعاملونهم بها، فإن العهد والعقد كل منهما يسأل صاحبه عنه ﴿إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا﴾ أي: عنه»[(٥)].

٨- **سؤال العبد عن النعيم الذي أنعم الله به عليه في الدنيا**، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ٨﴾ [التكاثر: ٨]، وعن محمود بن لبيد، قال: لما نزلت: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾ [التكاثر: ١]، فقرأها حتى بلغ: ﴿لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١٠/ ٣٣٧١).
(٣) **أي**: خفت من الناس.
(٤) أخرجه ابن ماجه (ح٤٠١٧)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح١٨١٨).
(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ٧٤).

ﭐلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، قالوا: يا رسول الله، عن أي نعيم نسأل؟ وإنما هما الأسودان: الماء والتمر، وسيوفنا على رقابنا والعدو حاضر، فعن أي نعيم نسأل؟ قال: «**إن ذلك سيكون**»[(١)].

**٩- سؤال العبد عن صحته وعمره وماله وعلمه،** عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**لا تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيم فعل، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسمه فيم أبلاه**»[(٢)].

**١٠- سؤال كل راعٍ عن رعيته،** عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته، فالأمير الذي على الناس راع، وهو مسؤول عن رعيته، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عنهم، والمرأة راعية على بيت بعلها وولده، وهي مسؤولة عنهم، والعبد راعٍ على مال سيده وهو مسؤول عنه، ألا فكلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن رعيته**»[(٣)].



(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٩/ ٤٧) وحسنه محققوه، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه محمد ابن عمرو بن علقمة وحديثه حسن، وفيه ضعف لسوء حفظه، وبقية رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٧/ ١٤٢).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٢٤١٧) وقال: «حسن صحيح»، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٧٣٠٠).

(٣) أخرجه البخاري (ح٨٩٣)، ومسلم (ح١٨٢٩).



# المبحث الحادي عشر

## الجزاء

### أولًا: تعريفه والأدلة عليه:

هو: «الثواب على الأعمال الصالحة، والعقاب على ضدها من الكفر والفسوق والعصيان»[(١)]، والجزاء هو الغاية من البعث والنشور.

**ومن الأدلة عليه:** قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقوله سبحانه: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وجزاء الإيمان والحسنات مبنيٌّ على الفضل والزيادة والمضاعفة، وجزاء السيئات مبني على العدل، قال تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِّنْهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [القصص: ٨٤]، وفي الآية الأخرى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾ [الأنعام: ١٦٠]، ولا يُعذب أحد بذنب غيره، يقول تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [الأنعام: ١٦٤]، والله تعالى يبين أن دخول أهل الجنةِ الجنةَ بسبب أعمالهم؛ ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، و(الباء) سببية؛ فالإيمان والعمل الصالح سبب دخول الجنة، والكفر والمعاصي سبب

---

(١) شرح الطحاوية، للبراك (ص٣٠٥).

دخول النار ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [التوبة: ٨٢]، وتفصيل هذا في القرآن كثير جدًّا[١].

## ۞ ثانيًا: جزاء حسنات الكافر يوم القيامة:

يُجْزَى الكافر على حسناته في الدنيا، أما في الآخرة فليس له فيها نصيب.

**والدليل على أنه يُجازى على حسناته في الدنيا:** حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه حدَّث عن رسول الله ﷺ، قال: «**إن الكافر إذا عمل حسنة أُطْعِمَ بها طُعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقًا في الدنيا على طاعته**»[٢].

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم، ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه؛ إنه لم يقل يومًا: ربِّ اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»[٣].

وعن عدي بن حاتم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قلت: يا رسول الله، إن أبي كان يصل الرحم، ويفعل كذا وكذا، قال: «**إن أباك أراد أمرًا فأدركه**»، يعني: الذِّكْر[٤].

**وأما الدليل على أنه ليس له في الآخرة نصيب،** فقوله سبحانه: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥]، وقوله جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ يَحۡسَبُهُ ٱلظَّمۡـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمۡ يَجِدۡهُ شَيۡـٔٗا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٣٩﴾ [النور: ٣٩]، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]، قال الإمام ابن كثير: «هذا يوم القيامة، حين يحاسب الله العباد على ما عملوه من خير وشر، فأخبر أنه لا يتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال -التي ظنوا أنها منجاة لهم- شيء؛ وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي؛ إما الإخلاص فيها،

---

(١) انظر: شرح الطحاوية، للبراك (ص٣٠٤-٣٠٥).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٨٠٨).

(٣) أخرجه مسلم (ح٣٦٥).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٢٠٠)، وحسنه محققوه.

وإما المتابعة لشرع الله. فكل عمل لا يكون خالصًا وعلى الشريعة المرضية، فهو باطل، فأعمال الكفار لا تخلو من واحد من هذين، وقد تجمعهما معًا، فتكون أبعدَ من القَبول حينئذٍ»(١).

**وأجمع سلف الأمة وأئمتها** على أن الكافر إذا مات على كفره فليس له ثواب في الآخرة، يقول الإمام النووي: «أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الآخرة، ولا يُجازى فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربًا إلى الله تعالى، وصرح في هذا الحديث(٢) بأن يطعم في الدنيا بما عمله من الحسنات، أي: بما فعله متقربًا به إلى الله تعالى مما لا يفتقر صحته إلى النية؛ كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها، وأما المؤمن فيدخر له حسناته وثواب أعماله إلى الآخرة ويُجزى بها مع ذلك أيضًا فى الدنيا، ولا مانع من جزائه بها في الدنيا والآخرة، وقد ورد الشرع به فيجب اعتقاده»(٣).

ونقل القاضي عياض أيضًا الإجماع «على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم ولا يثابون عليها بنعيم ولا بتخفيف عذابٍ»، لكنهم يتفاوتون في العذاب بقدر ما أحدثوه من الفساد، يقول القاضي عياض: «لكنهم بإضافة بعضهم للكفر كبائر المعاصي، وأعمال الشر، وأذى المؤمنين، وقتل الأنبياء والصالحين، يزدادون عذابًا، كما قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢] الآيات، وكذلك الكافر يُعذَّبُ بكفره، ثم يزداد إجرامه وإفساده فى الأرض وعُتوه، وكثير إحداثه في العباد والبلاد، فذاك يُعذَّبُ أشدَّ العذاب كما قيل في فرعون، ومن لم يكن بهذه السبيل عُذِّب بقدر كفره، فكان أخف عذابًا ممن عُذِّب أشد العذاب، فليس إذًا عذاب أبي طالب كعذاب أبي جهل وإن اجتمعا في الكفر، ولا عذاب عاقر الناقة من قوم ثمود كعذاب غيره من قومه، ولا

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ١٠٣).
(٢) يعني: حديث عائشة رضي الله عنها السابق.
(٣) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٥٠).

عذاب قتلة عيسى ويحيى وزكريا وغيرهم من الأنبياء كغيرهم من الكفار، فبهذا تتوجه خِفَّةُ العذاب، لا أنه على المجازاة على أفعال الخير»[(١)].

وقال الشيخ محمد هراس: «والصحيح أن أعمال الخير التي يعملها الكافر يُجازى بها في الدنيا فقط، حتى إذا جاء يوم القيامة وجد صحيفة حسناته بيضاء. وقيل: يخفف بها عنه من عذاب غير الكفر»[(٢)].

## ۞ ثالثًا: أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، وأول ما يُقضى فيه:

أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، ويدل على ذلك حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**إن أول ما يحاسب الناس به يوم القيامة من أعمالهم الصلاة**»، قال: «**يقول ربنا جل وعز لملائكته – وهو أعلم: انظروا في صلاة عبدي أتمها أم نقصها؟ فإن كانت تامة كتبت له تامة، وإن كان انتقص منها شيئًا، قال: انظروا هل لعبدي من تطوع؟ فإن كان له تطوع، قال: أتموا لعبدي فريضته من تطوعه، ثم تؤخذ الأعمال على ذاكم**»[(٣)].

وأول ما يُقضى فيه بين الناس الدماء، ودليل ذلك حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[(٤)]. قال الإمام النووي: «فيه تغليظ أمر الدماء، وأنها أول ما يقضى فيه بين الناس يوم القيامة، وهذا لعظم أمرها وكثير خطرها»[(٥)].

ولا تعارض بين الحديثين؛ لأن حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فيما يتعلق بحقوق

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٩٧).

(٢) شرح العقيدة الواسطية (ص٢١٠).

(٣) أخرجه أبو داود (ح٨٦٤)، والترمذي (ح٤١٣)، والنسائي (ح٤٦٥)، وابن ماجه (ح١٤٢٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٠٢٠).

(٤) أخرجه مسلم (ح١٦٧٨).

(٥) شرح النووي على مسلم (١١/ ١٦٧).

الله، وحديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما يتعلق بحقوق العباد، قال الإمام النووي -تعليقًا على حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ليس هذا الحديث مخالفًا للحديث المشهور في السنن: «**أول ما يحاسب به العبد صلاته**»؛ لأن هذا الحديث الثاني فيما بين العبد وبين الله تعالى، وأما حديث الباب فهو فيما بين العباد، والله أعلم بالصواب»(١).

وقال الحافظ ابن حجر: «ولا يعارض هذا حديث أبي هريرة رفعه: «**إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته**» الحديث أخرجه أصحاب السنن؛ لأن الأول محمول على ما يتعلق بمعاملات الخلق، والثاني فيما يتعلق بعبادة الخالق»(٢).

## ۞ رابعًا: تعدد الأشهاد على الإنسان يوم القيامة:

**يتعدد الشهود على ابن آدم يوم القيامة، ومنهم:**

١- **الأنبياء**: قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١]، قال الإمام البغوي: «قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ أي: فكيف الحال وكيف يصنعون إذا جئنا من كل أمة بشهيد؟ يعني: بنبيها يشهد عليهم بما عملوا، ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ يا محمد، ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ شاهدًا يشهد على جميع الأمم على من رآه وعلى من لم يره»(٣)، وقال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النحل: ٨٤].

٢- **الملائكة**: قال جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: ١٨]، قال الإمام الشوكاني: «الأشهاد: هم الملائكة الحفظة»(٤)، وفي الآية أقوال أخرى.

(١) شرح النووي على مسلم (١١/ ١٦٧).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٩٦).
(٣) تفسير البغوي (٢/ ٢١٧).
(٤) فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٥٦).

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١﴾ [ق: ٢١]، قال الإمام ابن كثير: «أي: ملك يسوقه إلى المحشر، وملك يشهد عليه بأعماله»[(١)].

٣- **الأرض التي يعيش عليها ابن آدم:** قال تعالى: ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ١ وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣ يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوۡحَىٰ لَهَا ٥﴾ [الزلزلة: ١ - ٥]، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا ٤﴾ قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**» قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول: عمل يوم كذا كذا وكذا، فهذه أخبارها**»[(٢)].

٤- **الجوارح:** قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾ [يس: ٦٥]، وقال سبحانه: ﴿وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖ وَهُوَ خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ ٢٢﴾ [فصلت: ٢١، ٢٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كنا عند رسول الله ﷺ فضحك، فقال: «**هل تدرون مم أضحك؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**من مخاطبة العبد ربه، يقول: يا رب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا، وبالكرام الكاتبين شهودًا، قال: فيختم على فِيهِ، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بُعْدًا لَكُنَّ وسحقًا، فعنكنَّ كنت أناضل**»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٠١).

(٢) أخرجه الترمذي (ح٣٣٥٣) وقال: «حسن صحيح»، وضعفه الألباني (ضعيف الجامع ح٦٤٥٠).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٩٦٩)، وانظر: صحيح مسلم (ح٢٩٦٨).

### ۞ خامسًا: الامتحان يوم القيامة:

ثبت أن من الناس مَن يُمتحن في عرصات القيامة، وهم الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام، كأهل الفترة، وهم من عاش في زمن لم يأتهم فيه رسول، أو كانوا في مكان لم تصلهم فيه الدعوة، ومن في حكمهم كأطفال المشركين، والهرم، والمجنون، ونحوهم؛ لأن الله جل وعلا لكمال عدله لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

ويدل على الامتحان يوم القيامة حديث الأسود بن سريع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن نبي الله ﷺ قال: «**أربعة يحتجون يوم القيامة: رجل أصم لا يسمع شيئًا، ورجل أحمق، ورجل هَرِمٌ، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئًا، وأما الأحمق فيقول: ربِّ، لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول: رب، لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئًا، وأما الذي مات في الفترة فيقول: رب، ما أتاني لك رسول، فيأخذ مواثيقهم لَيُطِيعُنَّه، فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال: فوالذي نفس محمد بيده، لو دخلوها لكانت عليهم بردًا وسلامًا**»(١).

قال الحافظ ابن حجر: «وقد صحت مسألة الامتحان في حق المجنون ومن مات في الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقي في كتاب «الاعتقاد» أنه المذهب الصحيح، وتُعُقِّب بأن الآخرة ليست دار تكليف فلا عمل فيها ولا ابتلاء، وأجيب بأن ذلك بعد أن يقع الاستقرار في الجنة أو النار، وأما في عرصات القيامة فلا مانع من ذلك، وقد قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القلم: ٤٢]، وفي «الصحيحين»: أن الناس يؤمرون بالسجود فيصير ظهر المنافق طبقًا، فلا يستطيع أن يسجد»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٦/ ٢٢٨)، وحسنه محققوه، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٨٨١).

(٢) فتح الباري، لابن حجر (٣/ ٢٤٦-٢٤٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التكليف إنما ينقطع بدخول دار الجزاء وهي الجنة والنار، وأما عرصات القيامة فيمتحنون فيها كما يمتحنون في البرزخ فيقال لأحدهم: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟»[(١)].

وقال الإمام ابن القيم بعد سياق الأحاديث الواردة في امتحان هؤلاء ووجوه ترجيحها: «إنها هي الموافقة للقرآن، وقواعد الشرع، فهي تفصيل لما أخبر به القرآن أنه لا يُعَذَّب أحد إلا بعد قيام الحجة عليه، وهؤلاء لم تقم عليهم حجة الله في الدنيا، فلا بد أن يقيم حجته عليهم، وأحق المواطن أن تقام فيه الحجة يوم يقوم الأشهاد، وتسمع الدعاوى، وتقام البينات، ويختصم الناس بين يدي الرب، وينطق كل أحد بحجته ومعذرته، فلا تنفع الظالمين معذرتهم وتنفع غيرهم»[(٢)].

وممن يمتحن في الآخرة أيضًا -على أصح الأقوال[(٣)]- أطفال المشركين، قال الإمام ابن القيم: «المذهب العاشر: أنهم يمتحنون في الآخرة، ويرسل إليهم الله تبارك وتعالى رسولًا، وإلى كل من لم تبلغه الدعوة؛ فمن أطاع الرسول دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار، وعلى هذا، فيكون بعضهم في الجنة وبعضهم في النار، وهذا قول جميع أهل السنة»[(٤)].

## ۞ سادسًا: شهادة الأمة المحمدية على سائر الأمم يوم القيامة:

ثبت في الكتاب والسنة شهادة هذه الأمة على سائر الأمم السابقة يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]، وقال سبحانه: ﴿وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ

(١) مجموع الفتاوى (٢٤/ ٣٧٣).
(٢) أحكام أهل الذمة (٢/ ١١٤٩-١١٥٠).
(٣) انظر تفصيل الأقوال بأدلتها في: أحكام أهل الذمة (٢/ ١٠٨٦) وما بعدها، فتح الباري (٣/ ٢٤٦-٢٤٧).
(٤) أحكام أهل الذمة (٢/ ١١٣٧).

سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

قال الطبري: «معنى ذلك: وكذلك جعلناكم أمة وسطًا عدولًا لتكونوا شهداء لأنبيائي ورسلي على أممها بالبلاغ أنها قد بلغت ما أمرت ببلاغه من رسالاتي إلى أممها، ويكون رسولي محمد ﷺ شهيدًا عليكم بإيمانكم به، وبما جاءكم به من عندي»[١].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يجيء نوح وأمته، فيقول الله تعالى، هل بلغت؟ فيقول نعم أي رب، فيقول لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: لا ما جاءنا من نبي، فيقول لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته، فنشهد أنه قد بلغ، وهو قوله جل ذكره:** ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ والوسط: العدل»[٢].

## ۞ سابعًا: القصاص يوم القيامة:

### تعريفه:

**هو:** تتبُّع ما بين العباد من المظالم، وإسقاط بعضها ببعض[٣].

### أنواعه والأدلة عليه:

١ - **اقتصاص المؤمنين بعضهم من بعض**، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا**»[٤]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**من كانت عنده**

---

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٢٩-٦٣٠).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) انظر: فتح الباري (٥/ ٩٦).

(٤) أخرجه البخاري (ح٢٤٤٠).

**مظلمة لأخيه فليتحلله منها، فإنه ليس ثَمَّ دينار ولا درهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه»**(١) .

**٢- اقتصاص جميع الخلق بعضهم من بعض،** كما جاء عن جابر بن عبد الله، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يحشر الناس يوم القيامة** - أو قال: **العباد - عراة غُرْلًا بُهْمًا**» قال: قلنا: وما بُهْمًا؟ قال: «**ليس معهم شيء، ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُدَ كما يسمعه مَن قَرُبَ: أنا الملك، أنا الديان، ولا ينبغي لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وله عند أحد من أهل الجنة حق، حتى أقصه منه، ولا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة، ولأحد من أهل النار عنده حق، حتى أقصه منه، حتى اللطمة**» قال: قلنا: كيف وإنا إنما نأتي الله ﷻ عراة غرلًا بهمًا؟ قال: «**بالحسنات والسيئات**»(٢) .

**٣- اقتصاص البهائم بعضها من بعض،** كما ثبت عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ، قال: «**لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء، من الشاة القرناء**»(٣) .

قال الإمام النووي: «وأما القصاص من القرناء للجلحاء فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها، بل هو قصاص مقابلة، والجلحاء بالمد هي الجماء التي لا قرن لها، والله أعلم»(٤) .

## ۞ ثامنًا: قضاء الله تعالى لأمة محمد ﷺ قبل الخلائق يوم القيامة:

أول من يقضى بينهم من الأمم يوم القيامة هم أمة محمد ﷺ، فهم وإن كانوا آخر الأمم زمانًا، فهم أول من يقضى بينهم، كما أنهم أول من يحشر،

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٣٤).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٤٣٢)، والطبراني في الكبير (١٣/ ١٣٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٥) وصححه ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٥٨٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٣٧).

وأول من يحاسب، وأول من يدخل الجنة، وكل هذه خصائص خص الله بها هذه الأمة إكرامًا لنبينا محمد ﷺ.

ومما يدل على ذلك ما جاء عن أبي هريرة، وحذيفة بن اليمان رضي الله عنهما، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أضلَّ الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق**»، وفي رواية: «**المقضي بينهم**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي ﷺ، قال: «**نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية، ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون**»(٢).

قال الحافظ ابن حجر: «هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة؛ بأنهم أول من يحشر، وأول من يحاسب، وأول من يقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة»(٣).

## ۞ تاسعًا: صحائف الأعمال وصفاتها:

صحائف الأعمال: «هي الكتب التي كتبتها الملائكة، وأحصَوا فيها ما فعله كل إنسان في الحياة الدنيا من الأعمال القولية والفعلية»(٤).

**ومن صفات صحائف الأعمال:**

١- **أنها تنشر وتفتح يوم القيامة**، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠﴾ [التكوير: ١٠]، ونشرها: هو فتحها وبثها(٥).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٨٥٦).

(٢) أخرجه ابن ماجه (ح٤٢٩٠)، وقال البوصيري: «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات» (مصباح الزجاجة ٤/ ٢٥٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٦٧٤٩).

(٣) فتح الباري (٢/ ٣٥٤).

(٤) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للفوزان (ص٢٨٩).

(٥) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص١٢١).

**٢- أنه قد كتب فيها كل كبير وصغير من أعمال العبد،** قال سبحانه: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

**٣- أن كل إنسان سيقرأ صحيفته التي هي ديوان عمله،** قال جل وعلا: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤].

**٤- أن المؤمن يسر بما يجد في صحيفته من حسنات، والكافر يساء بما يجد في صحيفته من الكفر،** قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٧].

**٥- أن صحائف الأعمال توزن،** كما سيأتي في الميزان.

## ۞ عاشرًا: صفة أخذ الناس صحفهم:

**بين الله جل وعلا صفة أخذ الناس صحفهم يوم القيامة، وأنها على هيئتين:**

**الأولى:** أخذ الكتاب باليمين، وهي لأهل الإيمان، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩ - ٢٤]، وقوله سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: ٧ - ٩].

**الثانية:** أخذ الكتاب بالشمال، وهي لأهل الكفر، قال جل وعلا: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ - ٢٧]، وقال سبحانه: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ١٠ - ١٢]، قال الإمام ابن كثير:

«تثنى يده إلى ورائه ويعطى كتابه بها كذلك»[١]، وقال الإمام البغوي: «فتغل يده اليمنى إلى عنقه، وتجعل يده الشمال وراء ظهره، فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره، وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره»[٢]، وقال الإمام الشِّنْقيطي: «لا منافاة بين أخذه بشماله، وإيتائه وراء ظهره؛ لأن الكافر تغل يمناه إلى عنقه، وتجعل يسراه وراء ظهره، فيأخذ بها كتابه»[٣].



(١) تفسير ابن كثير (٨/ ٣٥٨).

(٢) تفسير البغوي (٨/ ٣٧٤).

(٣) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، للشنقيطي (ص٢٥٥-٢٥٦)، وانظر: لوامع الأنوار البهية (٢/ ١٨٣)، شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١٥٠-١٥١).



# المبحث الثاني عشر

## الميزان

### ۞ أولًا: تعريف الميزان:

**الميزان هو:** ما يوزن به الأعمال لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، وهو غير العدل، كما دل على ذلك الكتاب والسنة[1].

### ۞ ثانيًا: صفته مع الأدلة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما كيفية تلك الموازين فهو بمنزلة كيفية سائر ما أخبرنا به من الغيب»[2]، يعني: نؤمن به، ولا نتكلف طلب علم ما لم يخبر الله به من كيفيته.

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «والذي دلَّت عليه السنة [من صفته]: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان»[3].

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

---

(١) انظر: التذكرة (ص٧١٥)، مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٣٠٢).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٩).

## ۞ ثالثًا: معنى الإيمان بالميزان:

**معنى الإيمان بالميزان:** هو التصديق بأنه ميزان حقيقي، كما وردت به النصوص، وليس مجازًا عن العدل كما يقوله بعض أهل البدع، قال الحافظ ابن حجر: «قال أبو إسحاق الزجاج: أجمع أهل السنة على الإيمان بالميزان، وأن أعمال العباد توزن يوم القيامة، وأن الميزان له لسان وكفتان، ويميل بالأعمال»(١).

## ۞ رابعًا: الأمور التي يقع عليها الوزن (الموزونات):

وردت النصوص في الميزان بالجمع والإفراد مثال الجمع: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾، ومثال الإفراد: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(٢).

فقيل: إنها موازين، وهو ظاهر القرآن، وقيل: إنه ميزان واحد، وإنما جمع باعتبار الموزونات، والله أعلم.

ودلت النصوص على أن الأعمال توزن، وصحف الأعمال توزن، والعامل يوزن.

١- **فالعامل يوزن مع عمله**، ويشهد له حديث أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة، وقال: اقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»(٣).

وروى ابن مسعود: أنه كان يجني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال: «**والذي نفسي بيده، لهما**

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٥٦٣)، ومسلم (ح٢٦٩٤).
(٣) أخرجه البخاري (ح٤٧٢٩)، ومسلم (ح٢٧٨٥).

**أثقل في الميزان من أحد»**[١].

**٢-** وقد وردت الأحاديث أيضًا بوزن الأعمال أنفسها، كما في حديث أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان...**» الحديث[٢].

وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[٣].

**٣-** ووردت النصوص بأن صحف الأعمال توزن كما في حديث صاحب البطاقة[٤].

قال ابن كثير: «وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالُّها، وتارة يوزن فاعلها، والله أعلم»[٥].

## ۞ خامسًا: الرد على من أنكر الميزان إجمالًا:

أنكر الميزان بعض المبتدعة كالجهمية، قال الملطي: «ومنهم [أي: الجهمية] صنف أنكروا الميزان؛ أنكروا أن يكون لله ميزان يزن فيه الخلق وأعمالهم»[٦]، وقال الأشعري: «قال أهل البدع بإبطال الميزان، وقالوا: موازين وليس بمعنى كفات وألسن، ولكنها المجازاة يجازيهم الله بأعمالهم وزنًا بوزن، وأنكروا الميزان، وقالوا: يستحيل وزن الأعراض؛ لأن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٧/ ٩٩)، والطبراني في الكبير (٩/ ٧٨)، وقال الهيثمي: «رواه البزار، والطبراني، ورجالهما رجال الصحيح». مجمع الزوائد (٩/ ٢٨٩).

(٢) أخرجه مسلم (ح٢٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٦٨٢)، ومسلم (ح٢٦٩٤).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦١٠-٦١٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٩٠).

(٦) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص٩٨).

الأعراض لا ثقل لها ولا خفة، وقال قائلون بإثبات الميزان، وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الأخرى، فكان رجحانها دليلًا على أن الرجل من أهل الجنة، وكذلك إذا رجحت الكفة الأخرى السوداء كان رجحانها دليلًا على أن الرجل من أهل النار»(١)، وهو قول المعتزلة، فقد أنكروا تأويل الميزان بالعدل، وأثبتوا أنه ميزان حقيقي، لكنهم يرون أن الحسنات والسيئات أعراضٌ لا يتصور فيها الوزن(٢).

### والرد عليهم من وجوه:

**١-** أن تأويل الميزان بالعدل، وإنكار كونه ميزانًا حقيقيًّا، تأويل فاسد ليس عليه دليل، بل الأدلة من الكتاب والسنة على بطلانه، وربما يصح تأويل الميزان بالعدل في بعض الآيات لقرينة، لكن ميزان يوم القيامة قد تواترت بذكره حقيقة الأحاديث، فلا يجوز صرفه عن ظاهره بلا دليل، بل صرفه عن ظاهره تحريف وليس بتأويل، قال الإمام ابن كثير: «الميزان في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ۝٧﴾ [الرحمن: ٧]، أي: العدل، أمر الله عباده أن يتعاملوا به فيما بينهم، فأما الميزان المذكور في زنة القيامة، فقد تواترت بذكره الأحاديث كما رأيت، وهو ظاهر القرآن، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨]، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: ٩]، وهذا إنما يكون للشيء المحسوس»(٣).

**٢-** أنه قول مُحْدَث مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وأئمتها، قال الحافظ ابن حجر: «أنكرت المعتزلة الميزان، وقالوا: هو عبارة عن

(١) مقالات الإسلاميين (ص٤٧٢).

(٢) انظر: شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٥)، الفائق في أصول الدين، لابن الملاحمي (ص٥٤١).

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٣٥).

العدل[١]، فخالفوا الكتاب والسنة؛ لأن الله أخبر أنه يضع الموازين لوزن الأعمال ليرى العباد أعمالهم ممثلة ليكونوا على أنفسهم شاهدين»[٢].

**٣-** أن إنكار الميزان أو تأويله بالعدل أو إنكار وزن الحسنات والسيئات فيه معارضة الوحي بالعقل، ومصادمة الشرع بالهوى، قال الحافظ ابن حجر: «وحكى حنبل بن إسحاق في كتاب السنة عن أحمد بن حنبل أنه قال ردًّا على من أنكر الميزان ما معناه: قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧]، وذكر النبي ﷺ الميزان يوم القيامة، فمن رد على النبي ﷺ فقد رد على الله ﷻ»[٣]، وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع، لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقَّال والفَوَّال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا، ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فلا أحد أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين، فكيف ووراء ذلك من الحِكَم ما لا اطلاع لنا عليه»[٤].

**٤-** أن هذا التأويل يفتح باب شر لتأويل جميع أحوال القيامة وحملها على غير ظاهرها، قال القرطبي: «قال علماؤنا: ولو جاز حمل الميزان على ما ذكروه لجاز حمل الصراط على الدين الحق، والجنة والنار على ما يرد على الأرواح دون الأجساد من الأحزان والأفراح، والشياطين والجن على الأخلاق المذمومة، والملائكة على القُوَى المحمودة، وهذا كله فاسد؛ لأنه رد لما جاء به الصادق»[٥].

---

(١) لعله قول بعض المعتزلة، لا جميعهم؛ لأن الموجود في مصادر المعتزلة -كما سبق نقله عنهم- إثبات ميزان حقيقي.

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٣٨).

(٣) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٥٣٨).

(٤) شرح الطحاوية (٢/ ٦١٣).

(٥) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧٢٤).

## ۞ سادسًا: المستثَنون من الوزن:

### المستثنون من الوزن طائفتان:

**الأولى:** الكفار؛ لأنهم لا حسنات لهم فتوزن، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥﴾ [الكهف: ١٠٥] قال ابن عباس: «يريد أن ليس لهم وزن يوم القيامة، إنما يوزن من له عمل صالح، وكان على التوحيد»[(١)].

وذهب بعض العلماء إلى أن الكفار توزن أعمالهم، واستدل بقوله تعالى: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ ٩﴾ [الأعراف: ٩]، وقوله: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣﴾ [المؤمنون: ١٠٣]، قال القرطبي: «هذه الآيات إخبار لوزن أعمال الكفار؛ لأن عامة المعنيين بقوله: ﴿خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ في هذه الآيات هم الكفار»[(٢)]، وقال في معنى قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾: «فلا قدر لهم عندنا يومئذٍ»[(٣)]، والجمع بين القولين: أنه إن أريد بالوزن موازنة الحسنات بالسيئات فلا وزن لهم؛ لأنهم لا حسنات لهم، وعليه يحمل قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾، وإن أريد بالوزن إظهار خفة موازينهم وإقامة الحجة عليهم فهذا حق، وعليه يدل قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ...﴾ الآية، ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الكافر لا حسنات له توزن بسيئاته؛ إذ أعماله كلها حابطة، وإنما توزن لتظهر خفة موازينه، لا ليتبين رجحان حسنات له»[(٤)].

---

(١) التفسير البسيط، للواحدي (١٤/ ١٦٦).
(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧١٥)، وانظر: شعب الإيمان، للبيهقي (١/ ٤٣٨).
(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧١٦).
(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٧).

**الثانية:** المؤمنون الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

قال الحافظ ابن حجر تعليقًا على قول الإمام البخاري: (وإن أعمال بني آدم، وقولهم يوزن): «ظاهره التعميم لكن خُصَّ منه طائفتان، فمن الكفار من لا ذنب له إلا الكفر ولم يعمل حسنة، فإنه يقع في النار من غير حساب ولا ميزان، ومن المؤمنين من لا سيئة له وله حسنات كثيرة زائدة على محض الإيمان، فهذا يدخل الجنة بغير حساب، كما في قصة السبعين ألفًا، ومن شاء الله أن يلحقه بهم، وهم الذين يمرون على الصراط كالبرق الخاطف وكالريح وكأجاويد الخيل، ومن عدا هذين من الكفار والمؤمنين يحاسبون، وتعرض أعمالهم على الموازين»(١).

وقال القرطبي: «الميزان حق، ولا يكون في حق كل أحد، بدليل قوله ﷺ: «**فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه...**» الحديث(٢)، وقوله تعالى: ﴿يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ﴾ الآية [الرحمن: ٤١]، وإنما يكون لمن بقي من أهل المحشر، ممن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا من المؤمنين، وقد يكون للكافرين»(٣).

## ۞ سابعًا: أحوال الناس بعد الوزن:

**ينقسم الناس بعد الميزان إلى ثلاثة أقسام:**

**الأول:** من رجحت حسناتهم على سيئاتهم، فهم في الجنة.

**الثاني:** من رجحت سيئاتهم على حسناتهم من عصاة الموحدين، فهم تحت مشيئة الله.

**الثالث:** من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم أصحاب الأعراف، ومآلهم إلى الجنة، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد يفعل مع سيئاته حسناتٍ توازيها

---

(١) فتح الباري (١٣/ ٥٣٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٧١٢)، ومسلم (ح١٩٤).
(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧١٩).

وتقابلها، فينجو بذلك من النار، ولا يستحق الجنة، بل يكون من أصحاب الأعراف، وإن كان مآلهم إلى الجنة، فليسوا ممن أزلفت لهم الجنة، أي: قربت لهم؛ إذ كانوا لم يأتوا بخشية الله والإنابة إليه»(١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «يحاسَبُ الناس يوم القيامة، فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة، ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار»، ثم قرأ قول الله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: ٨، ٩]، ثم قال: «إن الميزان يخف بمثقال حبة ويرجح، قال: فمن استوت حسناته وسيئاته كان من أصحاب الأعراف»(٢).

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْ﴾ [الأعراف: ٤٦]، وقال سبحانه: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمْ قَالُوا۟ مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝٤٨ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۝٤٩﴾ [الأعراف: ٤٨، ٤٩].

قال الإمام ابن القيم: «الأعراف جمع عَرْف، وهو المكان المرتفع، وهو: سورٌ عالٍ بين الجنة والنار»(٣).

وقد اختلف في تعيينهم على أقوال كثيرة، ساقها الإمام ابن القيم رحمه الله أصحها وهو الثابت عن الصحابة رضي الله عنهم: أنهم «قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم، فقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة، وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، فوقفوا هناك حتى يقضي الله فيهم ما يشاء، ثم يدخلهم الجنة بفضل رحمته»(٤).

(١) مجموع الفتاوى (١٦/ ١٧٧).
(٢) تفسير الطبري (١٠/ ٢١٣).
(٣) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٨٢)، وانظر: فتح القدير (٢/ ٢٣٦).
(٤) طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص٣٨٢)، وانظر: التذكرة للقرطبي (ص٧٣٦-٧٣٨).

وقال الإمام ابن كثير: «اختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف، مَنْ هم؟ وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف، رحمهم الله»[١].



(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٨).



# المبحث الثالث عشر

## الحوض

### ۞ أولًا: تعريف الحوض:

**الحوض في اللغة:** مجتمع الماء[(١)].

«**وشرعًا:** حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ»[(٢)]، أو هو: حوض عظيم يرده المؤمنون في أرض المحشر، جعله الله إكرامًا لنبيه ﷺ وغياثًا لأمته.

### ۞ ثانيًا: صفة الحوض:

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل زاوية من زواياه مسيرة شهر»[(٣)].

❊ ❊ ❊

(١) انظر: لسان العرب (٧/ ١٤١).

(٢) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص١٢٣).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٨٠-٢٨١).

## ۞ ثالثًا: الأدلة على الحوض:

الأحاديث الواردة في الحوض كثيرة، رواها من الصحابة بضعة وثلاثون صحابيًّا، بل قال السيوطي: «ورد ذكر الحوض من رواية بضعة وخمسين صحابيًّا»(١)، ونص جمع من أهل العلم على أنها متواترة(٢)، وأجمع أهل السنة على ثبوته.

**ومن هذه الأحاديث:** حديث جندب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**أنا فرطكم على الحوض**»(٣)، قال الحافظ ابن حجر: «(أنا فَرَطكم) -بفتح الفاء والراء-، أي: السابق إليه»(٤).

وعن سهل بن سعد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يقول: سمعت النبي ﷺ، يقول: «**أنا فرطكم على الحوض، فمن ورده شرب منه، ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبدًا، لَيَرِدَنَّ عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفوني، ثم يُحال بيني وبينهم**»(٥).

وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**»(٦).

## ۞ رابعًا: الرد على المخالفين إجمالًا:

ينسب إنكار الحوض للخوارج وبعض المعتزلة، وممن كان ينكره عبيد الله ابن زياد أحد أمراء العراق لمعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وولده، ثم رجع عنه(٧)، ونسب

---

(١) البدور السافرة في أحوال الآخرة، للسيوطي (ص٢٤١).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٣٤٠)، شرح الطحاوية، لابن أبي العز (١/ ٢٧٧)، فتح الباري، لابن حجر (١/ ٢٠٣)، قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة، للسيوطي (ص٢٩٧).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٨٩)، ومسلم (ح٢٢٨٩).

(٤) فتح الباري (١١/ ٢٤٥).

(٥) أخرجه البخاري (ح٧٠٥٠)، ومسلم (ح٢٢٩٠).

(٦) أخرجه البخاري (ح٦٥٨٠)، ومسلم (ح٢٣٠٣).

(٧) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٦٧-٤٦٨).

الأشعري إنكاره إلى قوم لم يسمهم، فقال: «قال أهل السنة والاستقامة: إن للنبي ﷺ حوضًا يسقي منه المؤمنين، ولا يسقي منه الكافرين، وأنكر قوم الحوض ودفعوه»[(١)].

### والرد عليهم من وجوه:

**الأول:** أن الحوض ثابت بالسنة المتواترة، فمنكره زائغ عن الحق، قال الإمام ابن حزم: «وأما الحوض فقد صحت الآثار فيه، وهو كرامة للنبي ﷺ ولمن ورد عليه من أمته، ولا ندري لمن أنكره متعلَّقًا، ولا يجوز مخالفة ما صح عن النبي ﷺ في هذا وغيره»[(٢)].

وقد ذكر الحافظ ابن كثير عددًا كثيرًا من الصحابة الذين رووا أحاديث الحوض، فقال: «ذكر ما ورد في الحوض النبوي المحمدي -سقانا الله منه يوم القيامة- من الأحاديث المتواترة المتعددة من الطرق الكثيرة المتضافرة، وإن رغمت أنوف كثير من المبتدعة النافرة المكابرة القائلين بجحوده، المنكرين لوجوده، وأَخْلِقْ بهم أن يحال بينهم وبين وروده، كما قال بعض السلف: من كَذَّب بكرامة لم ينلْها. ولو اطلع المنكر للحوض على ما سنورده من الأحاديث قبل مقالته لم يقُلْها. روى أحاديث الحوض جماعة من الصحابة رضي الله عنهم»، ثم ذكر سبعة وثلاثين من الصحابة رووا أحاديث الحوض[(٣)].

**الثاني:** إجماع السلف على إثبات الحوض والإيمان به، ولم يخالف في ذلك إلا بعض أهل الأهواء، وخلافهم لا يعتد به.

**الثالث:** ذكر أهل السنة في عقائدهم وجوب الإيمان بالحوض، قال السفاريني: «والحوض والكوثر ثابت بالنص وإجماع أهل السنة والجماعة حتى عده أهل السنة في العقائد الدينية لأجل الرد على أهل البدع والضلال»[(٤)].

---

(١) مقالات الإسلاميين (ص٤٧٣). (٢) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٥٥).
(٣) البداية والنهاية (١٩/ ٤٢٣-٤٢٤).
(٤) شرح ثلاثيات مسند الإمام أحمد، للسفاريني (١/ ٥٣٧).

وقال القاضي عياض: «حديث الحوض صحيح، والإيمان به واجب، والتصديق به من الإيمان، وهو على وجهه عند أهل السنة والجماعة، لا يتأول ولا يحال عن ظاهره، خلافًا لمن لم يقل به من المبتدعة النافين له، والمحرفين له بالتأويل عن ظاهره. وهو حديث ثابت متواتر النقل، رواه جماعة من الصحابة»(١).

وقال الإمام أبو العباس القرطبي: «ومما يجب على كل مكلف أن يعلمه ويصدق به، أن الله تعالى قد خص نبيَّه محمدًا ﷺ بالكوثر الذي هو الحوض المصرح باسمه وصفته وشرابه وآنيته في الأحاديث الكثيرة الصحيحة الشهيرة، التي يحصل بمجموعها العلم القطعي واليقين التواتري؛ إذ قد روى ذلك عن النبي ﷺ من الصحابة نيف على الثلاثين؛ في «الصحيحين» منهم نيف على العشرين، وباقيهم في غيرهما مما صح نقله واشتهرت روايته، ثم قد رواها عن الصحابة من التابعين أمثالهم، ثم لم تزل تلك الأحاديث مع توالي الأعصار، وكثرة الرواة لها في جميع الأقطار، تتوفر همم الناقلين لها على روايتها وتخليدها في الأمهات وتدوينها، إلى أن انتهى ذلك إلينا، وقامت به حجة الله علينا، فلزمنا الإيمان بذلك، والتصديق به كما أجمع عليه السلف، وأهل السنة من الخلف»(٢).

## ۞ خامسًا: خصوصية أمة النبي ﷺ بالورود على حوضه وكثرتهم وسيماهم:

هذا الحوض الذي أكرم الله به نبينا محمدًا ﷺ خاص بأمته، لما ورد أن الرسول ﷺ يذود الناسَ عن حوضه كما تذاد الإبل الغريبة، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن حوضي أبعد من أيلة من عدن لهو أشد بياضًا من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد الناس عنه،**

---

(١) إكمال المعلم بفوائد مسلم (٧/ ٢٦٠).

(٢) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم (٦/ ٩٠).

**كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه»** قالوا: يا رسول الله، أتعرفنا يومئذ؟ قال: «**نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون عليَّ غرًّا، محجَّلين من أثر الوضوء**»[(١)].

قال الحافظ ابن حجر: «والحكمة في الذَّوْد المذكور أنه ﷺ يريد أن يرشد كل أحد إلى حوض نبيه على ما تقدم أن لكل نبي حوضًا، وأنهم يتباهون بكثرة من يتبعهم، فيكون ذلك من جملة إنصافه ورعاية إخوانه من النبيين، لا أنه يطردهم بخلًا عليهم بالماء، ويحتمل أنه يطرد من لا يستحق الشرب من الحوض، والعلم عند الله تعالى»[(٢)].

وقال الإمام ابن أبي العز الحنفي: «وقد ورد في أحاديث: أن لكل نبي حوضًا، وإن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا، جعلنا الله منهم بفضله وكرمه»[(٣)].

## ۞ سادسًا: الفرق بين الحوض والكوثر:

**الفرق بينهما -كما جاء في النصوص- من وجهين:**

**الأول:** أن الحوض في أرض المحشر، أما الكوثر فهو في الجنة.

**الثاني:** أن الحوض فرع عن الكوثر؛ لأن ماءه من نهر الكوثر في الجنة؛ لحديث أبي ذر رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله، ما آنية الحوض؟ قال: «**والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها، أَلَا في الليلة المظلمة المصحية**[(٤)] **آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يشخب فيه ميزابان من الجنة، من شرب منه لم يظمأ، عرضه مثل طوله، ما بين عمان إلى أيلة، ماؤه**

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٤٧).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٤).

(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٨١).

(٤) «بتخفيف ألا وهي التي للاستفتاح... **والمراد بالمظلمة:** التي لا قمر فيها مع أن النجوم طالعة؛ فإن وجود القمر يستر كثيرًا من النجوم» (شرح النووي على مسلم ١٥/ ٦٠).

**أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل»**[(١)(٢)].

وقد يطلق الكوثر على الحوض من باب التغليب، كما جاء في حديث المختار بن فلفل عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا، فقلنا: ما أضحكك يا رسول الله؟ قال: «**أنزلت علي آنفًا سورة**»، فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ٣﴾ [الكوثر]، ثم قال: «**أتدرون ما الكوثر؟**» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه نهر وعدنيه ربي عَزَّوَجَلَّ، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم...**» الحديث[(٣)].

قال الحافظ ابن حجر: «وجاء إطلاق الكوثر على الحوض في حديث المختار بن فلفل عن أنس في ذكر الكوثر: هو حوض ترد عليه أمتي[(٤)]»[(٥)].

## ۞ سابعًا: أول الناس ورودًا الحوض:

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن أول من يشرب من حوض النبي ﷺ هم فقراء المهاجرين، فعن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا، أول الناس ورودًا عليه فقراء المهاجرين، الشُّعْثُ رؤوسًا، الدُّنْسُ ثيابًا، الذين لا ينكحون المتنعمات، ولا تفتح لهم أبواب السدد**»[(٦)].

---

(١) **يَشخُب**: يسيل. انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٦٠).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٣٠٠).
(٣) أخرجه مسلم (ح٤٠٠).
(٤) هو الحديث السابق.
(٥) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٤٦٧).
(٦) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٥٠-٥١)، والترمذي (ح٢٤٤٤)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢٠٦٠).

## ۞ ثامنًا: المحرومون من ورود الحوض، وأسباب حرمانهم:

أخبر النبي ﷺ أن هناك من يحرم ويذاد عن الشرب من حوضه ﷺ، **ومنهم:**

**١- المرتدون الذين ارتدوا على أدبارهم القهقرى**، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه كان يحدِّث أن رسول الله ﷺ قال: «**يرد عليَّ يوم القيامة رهط من أصحابي، فَيُحَلَّئُون عن الحوض، فأقول: يا رب أصحابي، فيقول: إنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك، إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى**»(١)، وقد اختلف في حقيقة الردة المذكورة في الحديث، فقيل: هم الذين ارتدوا على عهد أبي بكر رضي الله عنه، فقاتلهم أبو بكر حتى قتلوا وماتوا على الكفر، فهو على ظاهره، والمراد بـ(أمتي): أمة الدعوة، لا أمة الإجابة، وقيل: يحتمل أن يكونوا منافقين، أو من مرتكبي الكبائر(٢).

**٢- المبتدعة الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه**، كما جاء في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن معي رجال منكم ثم ليختلجن دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»(٣)، وحديث أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة، فقال: «**السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنَّا قد رأينا إخواننا**» قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟ قال: «**أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد**» فقالوا: كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: «**أرأيت لو أن رجلًا له خيل غرٌّ محجَّلة بين ظهري خيل دُهْم بُهْم ألا يعرف خيله؟**» قالوا: بلى يا رسول الله قال: «**فإنهم يأتون غرًّا محجَّلين من الوضوء، وأنا فرَطهم على الحوض ألا ليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال، أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدَّلوا بعدك، فأقول: سُحْقًا سُحْقًا**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٨٥).

(٢) انظر: فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٨٥).

(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٧٦)، ومسلم (ح٢٢٩٧).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٤٩). وقد ذكر الإمام النووي أقوال العلماء في المراد بهذا الحديث، =

قال الإمام ابن عبد البر: «كل من أحدث في الدين ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، والله أعلم»[(١)][(٢)].

وقال القرطبي: «قال علماؤنا -رحمة الله عليهم أجمعين: فكل من ارتد عن دين الله أو أحدث فيه ما لا يرضاه الله ولم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبعدين عنه، وأشدهم طردًا مَن خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم؛ كالخوارج على اختلاف فِرَقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدِّلون، وكذلك الظَّلَمة المسرفون في الجَوْر والظلم وتطميس الحق، وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفِّون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع. ثم البعد قد يكون في حال ويقربون بعد المغفرة إن كان التبديل في الأعمال ولم يكن في العقائد، وعلى هذا التقدير يكون نور الوضوء يعرفون به، ثم يقال لهم: سحقًا، وإن كانوا من المنافقين الذين كانوا على

---

= فقال: «**هذا مما اختلف العلماء في المراد به على أقوال:**

**أحدها:** أن المراد به المنافقون والمرتدون، فيجوز أن يحشروا بالغرة والتحجيل، فيناديهم النبي ﷺ للسيما التي عليهم فيقال: ليس هؤلاء مما وعدت بهم، إن هؤلاء بدلوا بعدك، **أي:** لم يموتوا على ما ظهر من إسلامهم.

**والثاني:** أن المراد من كان في زمن النبي ﷺ ثم ارتد بعده فيناديهم النبي ﷺ، وإن لم يكن عليهم سيما الوضوء لما كان يعرفه ﷺ في حياته من إسلامهم، فيقال: ارتدوا بعدك.

**والثالث:** أن المراد به أصحاب المعاصي والكبائر الذين ماتوا على التوحيد، وأصحاب البدع الذين لم يخرجوا ببدعتهم عن الإسلام، وعلى هذا القول لا يقطع لهؤلاء الذين يذادون بالنار، بل يجوز أن يذادوا عقوبة لهم، ثم يرحمهم الله سبحانه وتعالى، فيُدخلهم الجنة بغير عذاب، قال أصحاب هذا القول: ولا يمتنع أن يكون لهم غرة وتحجيل، ويحتمل أن يكون كانوا في زمن النبي ﷺ وبعده، لكن عرفهم بالسيما» (شرح النووي على مسلم ٣/ ١٣٦-١٣٧).

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٠/ ٢٦٢).

(٢) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٣٦-١٣٧).

عهد رسول الله ﷺ يظهرون الإيمان ويسرون الكفر، فيأخذهم بالظاهر، ثم يكشف لهم الغطاء فيقول لهم: سحقًا سحقًا، ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد مبطل ليس في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان. وقد يقال: إن من أنفذ الله عليه وعيده من أهل الكبائر إنه وإن ورد الحوض وشرب منه فإنه إذا دخل النار بمشيئة الله تعالى لا يعذَّب بعطش، والله أعلم»[(١)].

## ۞ تاسعًا: وجود الحوض الآن والأدلة على ذلك:

الحوض موجود الآن، ومما يدل على ذلك حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه أن النبي ﷺ خرج يومًا، فصلى على أهل أحُدٍ صلاتَه على الميت، ثم انصرف إلى المنبر، فقال: «**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن...**»[(٢)].

قال الإمام النووي: «قوله ﷺ: (وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن) هذا تصريح بأن الحوض حوض حقيقي على ظاهره كما سبق، وأنه مخلوق موجود اليوم»[(٣)].

وقال الحافظ ابن حجر: «قوله: (والله إني لأنظر إلى حوضي الآن) يحتمل أنه كشف له عنه لما خطب، وهذا هو الظاهر، ويحتمل أن يريد رؤية القلب»[(٤)].



(١) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧١٠-٧١١).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٤٤)، ومسلم (ح٢٢٩٦).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٥٩).

(٤) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٧٥).



# المبحث الرابع عشر

## الصراط

### أولًا: تعريفه:

**الصراط هو:** الجسر الممدود على متن جهنم، قال الإمام البخاري: «باب الصراط جسر جهنم»، قال الحافظ ابن حجر: «أي: الجسر المنصوب على جهنم»(١).

وقال الإمام النووي: «هو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم، أي: منازلهم، والآخرون يسقطون فيها، أعاذنا الله الكريم منها»(٢).

وقال الإمام ابن أبي العز: «هو جسر على جهنم، إذا انتهى الناس بعد مفارقتهم مكان الموقف إلى الظُّلْمة التي دون الصراط»(٣).

### ثانيًا: أدلته:

قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾ [البلد: ١١]، قال أبو إسحاق الثعلبي: «قال مجاهد والضحاك والكلبي: هي الصراط يضرب على جهنم»(٤)، وهو

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٤٤٦).
(٢) شرح النووي على مسلم (٣/ ٢٠)، وانظر: الواسطية (ص٩٩).
(٣) انظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٥).
(٤) الكشف والبيان (١٠/ ٢١٠).

أحد الأقوال في تفسير الآية.

وقد روى الإمام البخاري في «صحيحه» في «باب الصراط جسر جهنم» حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل، وفيه: «...ويضرب جسر جهنم» قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذ: اللهم سلِّم سلِّم**»[١].

وفي حديث أبي هريرة في «الصحيحين»: «**... ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ: اللهم سلم سلم...**»[٢].

## ثالثًا: الرد على المخالفين إجمالًا:

أنكر بعض المعتزلة الصراط، وقالوا: «هو الأدلة الدالة على هذه الطاعات التي من تمسك بها نجا وأفضى إلى الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من ركبها هلك، واستحق من الله تعالى النار»[٣].

وأنكره أيضًا بعض الجهمية، قال الإمام أبو الحسين الملطي: «ومنهم صنف أنكروا الصراط؛ أن يكون الله عَزَّ وَجَلَّ يجيز على الصراط أحدًا»[٤].

### ويرد عليهم من وجوه:

**الأول:** أن قولهم مبتدع محدَث، مخالف لإجماع سلف الأمة وأئمتها.

**الثاني:** أنه تأويل للنصوص عن ظاهرها بلا دليل.

**الثالث:** أن الأحاديث الصحيحة صريحة في إثبات صراط حسي يمر عليه جميع الخلق، وما جاء في وصفه في هذه الأحاديث من أن فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة، وأنه مدحضة مزلة يبطل تأويله بالأدلة الدالة على الطاعات والمعاصي، كما ذهب إليه بعض المعتزلة، ففي حديث أبي هريرة

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤٣٧)، ومسلم (ح١٨٢).

(٣) شرح الأصول الخمسة (ص٧٣٨)، وانظر: مقالات الإسلاميين (ص٤٧٢).

(٤) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع (ص٩٨).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الطويل: «**وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم**»(١)، وفي حديث حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**... وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به، فمخدوش ناج، ومكدوس في النار**»(٢).

### ۞ رابعًا: صفة الصراط:

**جاء في السنة النبوية وصف الصراط بعددٍ من الأوصاف، منها:**

١- أنه أدق من الشعر.

٢- أنه أحَدُّ من السيف.

٣- أنه مدحضة مزلة، وعليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله.

٤- أن الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم، فناج مسلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم.

وقد دل على هذه الصفات أحاديث كثيرة، منها ما جاء عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ قال: «**...لجهنم جسر أدق من الشعر، وأحَدُّ من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والرِّكاب، والملائكة يقولون: رب سلِّم، رب سلم، فناج مسلَّم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه**»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النبي ﷺ قال: «**... ثم يؤتى بالجسر، فيُجعل بين ظهري جهنم**»، قلنا: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: «**مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء، تكون بنجد، يقال لها: السعدان، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب،**

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٧٣). (٢) أخرجه مسلم (ح١٩٥).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٤١/ ٣٠٣)، قال الهيثمي: «رواه أحمد، وفيه ابن لهيعة، وهو ضعيف، وقد وُثِّق، وبقية رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٥٩).

**فناج مسلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحبًا»**[١].

**واختلف العلماء في وصف الصراط بأنه أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف على قولين:**

**الأول**: أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، فهو وصف معنوي لا حسي، قال القرطبي: «ذهب بعض من تكلم على أحاديث هذا الباب في وصف الصراط بأنه أدق من الشعر وأحد من السيف، أن ذلك راجع إلى يسره وعسره على قدر الطاعات والمعاصي، ولا يعلم حدود ذلك إلا الله تعالى لخفائها وغموضها، وقد جرت العادة بتسمية الغامض الخفي: (دقيقًا)، فضرب المثل له بدقة الشعر، فهذا والله أعلم من هذا الباب.

**ومعنى قوله: «وأحَدُّ من السيف»**: أن الأمر الدقيق الذي يصعد من عند الله تعالى إلى الملائكة في إجازة الناس على الصراط يكون في نفاذ حَدِّ السيف ومضيه إسراعًا منهم إلى طاعته وامتثاله، ولا يكون له مرد كما أن السيف إذا نفذ بحدة وقوة ضاربه في شيء لم يكن له بعد ذلك مردٌّ»[٢].

**الثاني**: أن الصراط نفسَه أحَدُّ من السيف وأدق من الشعر، وهذا -كما يقول القرطبي: «مدفوع بما وصف من أن الملائكة يقومون بجنبيه، وأن فيه كلاليب وحسكًا، أي: أن من يمر عليه يقع على بطنه، ومنهم من يزل ثم يقوم، وفيه أن من الذين يمرون عليه من يعطى النور بقدر موضع قدميه، وفي ذلك إشارة إلى أن للمارِّين عليه موطئ الأقدام، ومعلوم أن دقة الشعر لا يحتمل هذا كله»[٣].

وقد أشار شيخنا ابن عثيمين إلى هذا الخلاف بين أهل العلم في معنى هذا

(١) أخرجه البخاري (ح٧٤٣٩).
(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧٥٨).
(٣) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٧٥٨)، وانظر: فيض القدير (٢/ ١٧١).

الوصف، فقال: «وقد اختلف العلماء في كيفيته؛ فمنهم من قال: طريق واسع يمر الناس على قدر أعمالهم؛ لأن كلمة الصراط مدلولها اللغوي هو هذا، ولأن رسول الله ﷺ أخبر بأنه دحض ومزلة، والدحض والمزلة لا يكونان إلا في طريق واسع؛ أما الضيق فلا يكون دحضًا ومزلة، ومن العلماء من قال: بل هو صراط دقيق جدًّا، كما جاء في حديث أبي سعيد الخدري: أنه أدق من الشعر وأحدُّ من السيف»[(١)].

**والراجح هو القول الأول؛ لوجهين:**

**الأول:** ما ورد في وصفه بأن الملائكة يقفون على جنبيه، وأنه دحض مزلة.

**الثاني:** أن كلمة الصراط في مدلولها اللغوي تعني: الطريق الواسع، والعلم عند الله جل وعلا.

## ۞ خامسًا: العبور على الصراط:

اختلف العلماء في العبور على الصراط، هل العبور عام للمؤمنين والكافرين؟ أم يختص بالمسلمين من الأولين والآخرين؟ **على قولين:**

**الأول:** أنه عام للناس كلهم، قال الإمام النووي: «هو جسر على متن جهنم يمر عليه الناس كلهم، فالمؤمنون ينجون على حسب حالهم؛ أي: منازلهم، والآخرون يسقطون فيها، أعاذنا الله الكريم منها»[(٢)].

**الثاني:** أن الكفار والمشركين لا يمرون على الصراط، بل يساقون من أرض المحشر إلى النار، قال الإمام ابن رجب: «فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، إنما يُقْمعون في النار قبل وضع الصراط»[(٣)]، ويدل عليه حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «... **فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق،**

---

(١) شرح الواسطية (٢/ ١٦٠-١٦١).

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٢٠).

(٣) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار، لابن رجب الحنبلي (ص٢٣٥-٢٣٦)، وانظر: المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي (١/ ٤٦٥).

**وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»**[(١)]، وهو اختيار ابن حجر[(٢)]، وابن باز[(٣)].

## ۞ سادسًا: صفة العبور على الصراط، وأحوال الناس في ذلك، وأدلته:

صفة عبور الناس على الصراط: هي أنهم يعبرون على قدر أعمالهم، **«فمنهم من يمر كلمح البصر، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يمر كركاب الإبل، ومنهم من يعدو عَدْوًا، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم؛ فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم، فمن مَرَّ على الصراط دخل الجنة»**[(٤)].

**وأما أحوالهم فهم على ثلاثة أقسام:** **(١)** ناجٍ مسلَّم. **(٢)** ومخدوش مسلَّم. **(٣)** ومكدوس في نار جهنم.

**وقد دل على ذلك أحاديث كثيرة، منها:** ما جاء عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: **«... فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق، وكالريح، وكالطير، وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس**[(٥)] **في نار جهنم»**[(٦)]، قال النووي: «معناه: أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلًا، وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص، وقسم يكردس ويلقى فيسقط في جهنم»[(٧)].

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٣). (٢) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٥٢).

(٣) انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، على هذا الرابط:
https//:2u.pw/G2ZPP.

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٦-١٤٧).

(٥) **المكدوس:** الملقى. انظر: الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ٢٤٨).

(٦) أخرجه مسلم (ح١٨٣). (٧) شرح النووي على مسلم (٣/ ٢٩).

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: «... **لجهنم جسر أدق من الشعر، وأحد من السيف، عليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله، والناس عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل، والركاب، والملائكة يقولون: رب سلم، رب سلم، فناج مسلم، ومخدوش مسلم، ومكور في النار على وجهه**»[(١)].

وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «... **وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله، ثم يطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة...**»[(٢)].

## ۞ سابعًا: المراد بالورود الوارد في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١]:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]، وقد اختلف المفسرون في معنى الورود في هذه الآية، ففسرها ابن مسعود رضي الله عنه وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط[(٣)]، وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالدخول في النار لكنَّ المؤمنين ينجون منها[(٤)].

**والصحيح** -وهو الذي رجحه الإمام النووي وشيخ الإسلام وغيرهما- أنه المرور على الصراط؛ لأن الرسول ﷺ فسر الورود بذلك، قال الإمام النووي: «الصحيح أن المراد بالورود في الآية المرور على الصراط، وهو جسر منصوب على جهنم فيقع فيها أهلها، وينجو الآخرون»[(٥)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الورود المذكور في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾، فقد فسره النبي ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم (ح١٩١).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٥٤، ٢٥٦).
(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٥٣).
(٥) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٥٨).

في صحيحه عن جابر[١]: بأنه المرور على الصراط، والصراط هو الجسر؛ فلا بد من المرور عليه لكل من يدخل الجنة، من كان صغيرًا في الدنيا ومن لم يكن»[٢].

وقال الإمام ابن أبي العز: «الأظهر والأقوى أنه المرور على الصراط»[٣].

## ۞ ثامنًا: القنطرة؛ تعريفها، والأدلة عليها:

**هي:** صراط خاص بالمؤمنين بين الجنة والنار، وقيل: هي طرف الصراط مما يلي الجنة، قال الحافظ ابن حجر: «واختلف في القنطرة المذكورة، فقيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: إنهما صراطان، وبهذا الثاني جزم القرطبي»[٤].

**ومن الأدلة عليها:** حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا بقنطرة بين الجنة والنار، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا نقوا وهذبوا، أذن لهم بدخول الجنة؛ فوالذي نفس محمد بيده، لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل بمنزله كان في الدنيا**»[٥].

وفي هذا الحديث دلالة على أن القنطرة غير الصراط، وليست من تتمته كما قيل؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «**إذا خلص المؤمنون**»، وقوله: «**حبسوا بقنطرة**».

## ۞ تاسعًا: حبس المؤمنين على القنطرة، والغرض من ذلك:

إذا خلص المؤمنون من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، والغرض من ذلك: أن يتقاصَّ المؤمنون ما بينهم من مظالم وقعت منهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أذن لهم في دخول الجنة.

---

(١) انظر: صحيح مسلم (ح١٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٧٩)، وانظر: شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٧).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦٠٦).

(٤) فتح الباري، لابن حجر (١١/ ٣٩٩).

(٥) أخرجه البخاري (ح٢٤٤٠).

قال القرطبي: «**اعلم -رحمك الله- أن في الآخرة صراطين:**

**أحدهما:** مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم، إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار.

فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه -ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم- حبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله؛ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه، وأربى على الحسنات بالقصاص جُرْمه»[(١)].

قال شيخنا ابن عثيمين: «وهذا القصاص غير القصاص الأول الذي في عرصات القيامة؛ لأن هذا قصاص أخص؛ لأجل أن يذهب الغل والحقد والبغضاء التي في قلوب الناس، فيكون هذا بمنزلة التنقية والتطهير، وذلك لأن ما في القلوب لا يزول بمجرد القصاص»[(٢)].



(١) التذكرة (ص٧٦٧-٧٦٨).

(٢) شرح العقيدة الواسطية، للعثيمين (٢/ ١٦٣).



# المبحث الخامس عشر

## الشفاعة

### أولًا: تعريفها:

**الشفاعة لغة:** من الشفع، وهو ضد الوتر، قال ابن فارس: «الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين، من ذلك: الشفع خلاف الوتر»[(١)]، وقال الراغب الأصفهاني: «الشفاعة: الانضمام إلى آخر ناصرًا له وسائلًا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى، ومنه: الشفاعة في القيامة»[(٢)].

**واصطلاحًا:** «التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة»[(٣)].

### ثانيًا: أدلتها:

دل على ثبوت الشفاعة الكتاب والسنة والإجماع.

**أما الكتاب:** فقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةٗ لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩]، والجمهور على أن المراد بالمقام المحمود

(١) مقاييس اللغة (٣/ ٢٠١).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٤٥٧-٤٥٨)، وانظر: تفسير القرطبي (١/ ٣٧٨)، التحرير والتنوير (١/ ٤٨٦)، الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد (ص٢٩٣).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ٣٣٠)، وانظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٥/ ١٤٣).

الشفاعة، حتى نقل الواحدي الإجماع على ذلك[(١)].

**والمقام المحمود هو ما ثبت في السنة** من شفاعته ﷺ في أهل الموقف عند الله ليقضي بينهم، حين يلحقهم من الكرب والغم ما لا يطيقون، فيذهبون إلى آدم، فنوح، فإبراهيم، فموسى، فعيسى، وكلهم يعتذرون فيأتون إلى النبي ﷺ، فيشفع فيهم إلى الله فيأتي سبحانه وتعالى للقضاء بين عباده[(٢)].

قال القاضي عياض: «مذهب أهل السنة جواز الشفاعة عقلًا ووجوبها بصريح قوله تعالى: ﴿لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [طه: ١٠٩]، ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وأمثالها، وبخبر الصادق سمعًا، وقد جاءت الآثار التي بلغت بمجموعها التواتر بصحتها في الآخرة لمذنبي المؤمنين، **وأجمع السلف الصالح ومن بعدهم من أهل السنة عليها**، ومنعت الخوارج وبعض المعتزلة منها»[(٣)].

## ۞ ثالثًا: الشفاعة المثبتة، والشفاعة المنفية:

### الشفاعة المثبتة:

**هي: الشفاعة الشرعية المقبولة، وهي: ما اجتمعت فيها ثلاثة شروط:**

١- رضا الله عن الشافع.

٢- إذنه له.

٣- رضاه عن المشفوع له.

ويدل على هذه الشروط الثلاثة قوله تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: ٢٦]، فتضمنت هذه الآية الشروط الثلاثة، إذن الله للشافع في قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ﴾،

---

(١) انظر: التفسير البسيط (١٣/ ٤٤٣).

(٢) انظر: صحيح البخاري (ح٧٥١٠)، وصحيح مسلم (ح١٩٣).

(٣) إكمال المعلم بفوائد مسلم (١/ ٥٦٥).

ورضاه عن الشافع والمشفوع له في قوله: ﴿وَيَرْضَىٰٓ﴾.

وقوله جل وعلا: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

### الشفاعة المنفية:

**وهي**: الشفاعة الشركية الباطلة، وهي: ما يعتقده المشركون في آلهتهم أنها تشفع لهم عند الله، وهي شفاعة غير مقبولة عند الله، وتسميتها شفاعة من باب التنزل، فهم يقولون كما حكى القرآن عنهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وإلا فهي في الحقيقة شرك[(١)].

## رابعًا: وقت الشفاعة لمن دخل النار من الموحدين:

وقت الشفاعة لمن دخل النار من الموحدين لا يعلمه إلا الله، فلم يرد في النصوص ما يبينه؛ **ذلك أن عصاة الموحدين ثلاثة أقسام:**

١- قسم يغفر الله له، ولا يدخل النار أصلًا، إما بالشفاعة، أو برحمة الله وعفوه.

٢- وقسم آخر يدخل النار، ويعذَّب بقدر ذنوبه، ثم يخرج.

٣- وقسم يدخل النار ويعذب ما شاء الله، ثم يخرج من النار قبل أن يستكمل ما يستحقه من العذاب بشفاعة الشفعاء، أو برحمة الله سبحانه[(٢)].

وهذا القدر الذي يعذب به العصاة لا يعلم شدته ولا مدته إلا الله تعالى؛ «فإن أحوالهم في التعذيب تختلف بحسب أعمالهم، وأما الكفار فإنهم في الغمرات»[(٣)].

---

(١) انظر: شرح السفارينية (ص٤٨٧).

(٢) انظر: فتاوى نور على الدرب (٤/ ٢) ترقيم المكتبة الشاملة.

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٩٤).

فعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع نبي الله ﷺ، يقول: «**إن منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى حجزته، ومنهم من تأخذه إلى عنقه**»(١).

قال الحافظ ابن رجب: «تفاوت عذاب عصاة الموحدين في النار، بحسب أعمالهم»(٢).

## ۞ خامسًا: شفاعات سيد المرسلين ﷺ:

**الشفاعات الخاصة بالرسول ﷺ ثلاث:**

١- **الشفاعة العظمى في أهل الموقف يوم القيامة**، فيشفع لهم حتى يُقْضَى بينهم، وقد تكاثرت النصوص في إثباتها، وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: ٧٩](٣)، وهي مجمع عليها لم ينكرها أحد(٤).

٢- **الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها**، فعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة**»(٥).

٣- **شفاعته في عمه أبي طالب حتى يخفف العذاب عنه**، ودليله حديث العباس ابن عبد المطلب، قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم، هو في ضحضاح من نار، لولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»(٦). قال القرطبي: «فإن قيل: فقد قال الله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمۡ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ٤٨﴾ [المدثر: ٤٨]. قيل له: لا تنفع في الخروج من النار؛ كعصاة الموحدين الذين يخرجون منها ويدخلون الجنة»(٧).

---

(١) أخرجه مسلم (ح٢٨٤٥).

(٢) التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار (ص١٨٢).

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٠٤)، وراجع: صحيح البخاري (ح٤٧١٨، ح٧٤٤٠)،

(٤) انظر: لوامع الأنوار، للسفاريني (٢/ ٢١١)، لكن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن بعض الوعيدية من الخوارج والمعتزلة أنكر الشفاعة مطلقًا. انظر: مجموع الفتاوى (١/ ٣١٤).

(٥) أخرجه مسلم (ح١٩٦).

(٦) أخرجه البخاري (ح٦٢٠٨)، ومسلم (ح٢٠٩).

(٧) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٦٠٨).

### ۞ سادسًا: الشافعون، وأنواع الشفاعات:

**الشافعون هم:** النبيون، والملائكة، والمؤمنون، كما جاء في حديث الشفاعة الطويل: «**فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون، ولم يبق إلا أرحم الراحمين**»(١).

**والشفاعة نوعان:**

**الأولى:** الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ، وسبق ذكرها.

**الثانية:** الشفاعة العامة لجميع الخلق من الأنبياء والصالحين، **وهي أنواع:**

١- **الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها**، وهي خاصة بعصاة الموحدين، وقد نص عليها جمع من أهل العلم؛ كالنووي(٢)، وابن تيمية(٣)، وابن حجر(٤)، وابن باز(٥)، واستُدِلَّ عليها بحديث حذيفة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ، وفيه: «... **ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب سلِّمْ سلِّمْ**»(٦)، وليس فيه دلالة صريحة على الشفاعة، ولذا توقف الإمام ابن القيم في إثباتها(٧).

لكن يمكن الاستدلال على هذا النوع، بحديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(٨)؛ لدخوله في عموم هذا الحديث؛ حيث يشمل الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ومن دخلها

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨٣).

(٢) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٣/ ٣٥).

(٣) انظر: الواسطية (ص١٠١). (٤) انظر: فتح الباري (١١/ ٤٢٨).

(٥) انظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ ابن باز، على هذا الرابط:

https//:2u.pw/7MOXI.

(٦) أخرجه مسلم (ح١٩٥).

(٧) انظر: حاشية ابن القيم (تهذيب سنن أبي داود)، ضمن كتاب: عون المعبود شرح سنن أبي داود، للعظيم آبادي (١٣/ ٥٦).

(٨) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/ ٤٣٩)، وأبو داود (ح٤٧٣٩)، والترمذي (ح٢٤٣٥)، وقال: «حسن صحيح»، وصححه الحافظ ابن كثير (تفسير ابن كثير ٢/ ٢٨٤).

أن يخرج منها، والله أعلم.

٢- **الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها**، والأحاديث فيها متواترة عنه ﷺ، ومنها حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج قوم من النار بعد ما مسهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة: الجهنميين**»[(١)]، وقد أجمع عليها سلف الأمة وأئمتها، وبدَّعوا من أنكرها[(٢)].

٣- **الشفاعة لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم**، وهذه الشفاعة متفق عليها، لم ينازع فيها أحد[(٣)]، قال الإمام ابن القيم: «وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة، وقوله: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين**»[(٤)]، وقوله في حديث أبي موسى: «**اللهم اغفر لعُبَيدٍ أبي عامر، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك**»[(٥)]»[(٦)].

٤- **الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم**، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة. قال الحافظ ابن حجر: «ومستندها ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «السابق يدخل الجنة بغير حساب، والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله، والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلونها بشفاعة النبي ﷺ»[(٧)]»[(٨)].

٥- **الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب**، قال الحافظ ابن كثير: «ولم أر لهذا شاهدًا فيما علمت... ثم تذكرتُ حديث عكاشة بن محصن حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير

---

(١) أخرجه مسلم (ح٦٥٥٩).
(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨).
(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١/ ١٤٨).
(٤) أخرجه مسلم (ح٩٢٠).
(٥) أخرجه البخاري (ح٢٨٨٤)، ومسلم (ح٢٤٩٨).
(٦) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود (تهذيب سنن أبي داود)، مطبوع بحاشية: عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٣/ ٥٦).
(٧) أخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ١٨٩)، لكن قال الهيثمي: «فيه موسى بن عبد الرحمن الصنعاني، وهو وضَّاع». مجمع الزوائد (١٠/ ٣٧٨).
(٨) فتح الباري (١١/ ٤٢٨).

حساب، والحديث مخرَّج في «الصحيحين». . . وهو يناسب هذا المقام»[(١)]،
وقال الإمام ابن أبي العز: «ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عُكاشة بن محصن، حين دعا له رسول الله ﷺ أن يجعله من السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حساب[(٢)]»[(٣)].

وأصرح منه حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**سألت الله عز وجل الشفاعة لأمتي، فقال: لك سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب. قلت: زدني، قال: لك مع كل ألف سبعون ألفًا. قلت: زدني، قال: فإن لك هكذا وهكذا وهكذا**»، فقال أبو بكر: حسبنا، فقال عمر: يا أبا بكر، دع رسول الله ﷺ، فقال أبو بكر: يا عمر، إنما نحن حفنة من حفنات الله[(٤)].

ويُخرج الله من النار أقوامًا بغير شفاعة، بل بفضله ورحمته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

## ۞ سابعًا: موجبات[(٥)] حصول الشفاعة:

١- **تحقيق التوحيد:** عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قيل: يا رسول الله، من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: «**لقد ظننت يا أبا هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة، من قال: لا إله إلا الله، خالصًا من قلبه، أو نفسه**»[(٦)]،

(١) النهاية في الفتن والملاحم (٢/ ٢٠٧).
(٢) سبق تخريجه.
(٣) شرح الطحاوية (١/ ٢٨٩).
(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١١/ ٤٨٢)، والآجري في الشريعة (ح٧٩٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (ح١٨٧٩).
(٥) كذا في المنهج المعتمد، وتكرر استعماله في مواضع أخرى، والأَوْلَى التعبير بالأسباب؛ وذلك لأنه يوهم الوجوب على الله، ولا يجب على الله تعالى إلا ما أوجبه على نفسه.
(٦) أخرجه البخاري (ح٩٩).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئًا**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الشفاعة: سببها توحيد الله وإخلاص الدين والعبادة بجميع أنواعها له، فكل من كان أعظم إخلاصًا كان أحق بالشفاعة كما أنه أحق بسائر أنواع الرحمة؛ فإن الشفاعة من الله مبدؤها وعلى الله تمامها، فلا يشفع أحد إلا بإذنه، وهو الذي يأذن للشافع، وهو الذي يقبل شفاعته في المشفوع له، وإنما الشفاعة سبب من الأسباب التي بها يرحم الله من يرحم من عباده، وأحق الناس برحمته هم أهل التوحيد والإخلاص له، فكل من كان أكمل في تحقيق إخلاص (لا إله إلا الله) علمًا وعقيدةً وعملًا وبراءة وموالاة ومعاداة، كان أحقَّ بالرحمة»(٢).

٢- **قراءة القرآن:** عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**اقرؤوا القرآن؛ فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه**»(٣).

٣- **الصيام:** عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أن رسول الله ﷺ قال: «**الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة، يقول الصيام: أي رب، منعته الطعام والشهوات بالنهار، فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل، فشفِّعني فيه**»، قال: «**فيُشفَّعان**»(٤).

٤- **الدعاء بما ورد عند الأذان:** عن جابر بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة آت محمدًا**

(١) أخرجه مسلم (ح١٩٩).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٤١٤).
(٣) أخرجه مسلم (ح٨٠٤).
(٤) أخرجه أحمد في مسنده (١١/ ١٩٩)، والطبراني في الكبير (١٨/ ٣٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٧٤٠) وصححه ووافقه الذهبي، قال الهيثمي: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال الطبراني رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٣/ ١٨١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٣٨٨٢).

**الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة»**[١].

**٥- سكنى المدينة والصبر على شدتها والموت بها:** عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يصبر أحدٌ على لأْوَائِهَا**[٢] [يعني المدينة]، **فيموت، إلا كنتُ له شفيعًا -أو شهيدًا- يوم القيامة إذا كان مسلمًا»**[٣].

**٦- من صلى على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله:** عن عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**ما من رجل مسلم يموت، فيقوم على جنازته أربعون رجلًا، لا يشركون بالله شيئًا، إلا شفعهم الله فيه»**[٤]، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عن النبي ﷺ قال: «**ما من ميت تصلي عليه أمة من المسلمين يبلغون مائة، كلهم يشفعون له، إلا شفعوا فيه»**[٥].

**٧- الإكثار من الصلاة:** عن زياد بن أبي زياد، مولى بني مخزوم، عن خادم للنبي ﷺ، رجل أو امرأة، قال: كان النبي ﷺ مما يقول للخادم: «**ألك حاجة؟**» قال: حتى كان ذات يوم فقال: يا رسول الله، حاجتي، قال: «**وما حاجتك؟**» قال: حاجتي أن تشفع لي يوم القيامة، قال: «**ومن دلك على هذا؟**»، قال: ربي، قال: «**إمَّا لا**[٦]، **فأعِنِّي بكثرة السجود»**[٧].

**٨- مصاحبة أهل الإيمان والصلاح:** جاء في حديث أبي سعيد الخدري الطويل في الشفاعة: «**... فما أنتم بأشد لي مناشدة في الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ**

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦١٤).

(٢) **اللأواء:** الشدة والجوع. (شرح النووي على مسلم ٩/ ١٣٦).

(٣) أخرجه مسلم (ح١٣٧٤).

(٤) أخرجه مسلم (ح٩٤٨).

(٥) أخرجه مسلم (ح٩٤٧).

(٦) قال السندي: «أي: لا تترك هذه الحاجة» (مسند أحمد ٢٥/ ٤٨٠).

(٧) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥/ ٤٧٩)، وقال الهيثمي: «رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ٢/ ٢٤٩).

**للجبار، وإذا رأوا أنهم قد نجوا، في إخوانهم**[(١)]**، يقولون: ربنا إخواننا، كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا، فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه، ويحرم الله صورهم على النار، فيأتونهم وبعضهم قد غاب في النار إلى قدمه، وإلى أنصاف ساقيه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا، ثم يعودون، فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا»** قال أبو سعيد: فإن لم تصدقوني فاقرؤوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا﴾ [النساء: ٤٠][(٢)].

## ۞ ثامنًا: موجبات الحرمان من الشفاعة:

١- **الشرك:** فلا ينال الشفاعة إلا أهل التوحيد، وقد سبق.

٢- **كثرة اللعن:** عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سمعت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول: «**إن اللعانين لا يكونون شهداء، ولا شفعاء يوم القيامة**»[(٣)].

٣- **إنكار الشفاعة والتكذيب بها:** عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**من كذَّب بالشفاعة فليس له فيها نصيب**»[(٤)].



(١) **معناه:** «أن المؤمنين إذا نجوا من الصراط يناشدون الله فى إخوانهم، ويشفعون فيهم» (شرح صحيح البخاري، لابن بطال ١٠/ ٤٦٧).

(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤٣٩).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٥٩٨).

(٤) أخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١٢١١)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦/ ١١٨٢)، وصححه الحافظ ابن حجر (فتح الباري ١١/ ٤٢٦).



# المبحث السادس عشر

## الجنة

### ۞ أولًا: تعريفها وأسماؤها:

**الجنة هي:** «الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين»[١].

**وللجنة أسماء كثيرة، منها[٢]:**

١- **دار السلام:** قال تعالى: ﴿لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢٧]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، وسميت بذلك؛ لأنها سالمة من كل بلية وآفة ومكروه.

٢- **دار الخلد:** وسميت بذلك؛ لأن أهلها لا يظعنون عنها أبدًا، كما قال تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]، وقال: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

٣- **دار المقامة:** قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥] أي: أنزلنا دار الإقامة الدائمة، فلا يموتون ولا يتحولون

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد، لابن عثيمين (ص١٣١).
(٢) انظر: حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٩٤) وما بعدها.

منها أبدًا.

٤- **جنة المأوى:** قال تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥﴾ [النجم: ١٥] والمأوى مفعل من أوى يأوي، إذا انضم إلى المكان، وصار إليه، واستقر به.

٥- **جنات عدن:** قيل: هو اسم جنة من جملة الجنات، والصحيح: أنه اسم لجملة الجنات، وكلها جنات عدن، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ﴾ [مريم: ٦١]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ ٣٣﴾ [فاطر: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ﴾ [التوبة: ٧٢]، والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن؛ فإنه من الإقامة والدوام، يقال: عَدَنَ بالمكان، إذا أقام به، وعدَنْتُ البلدَ: توطنته، وعَدَنَتِ الإبل مكان كذا: لزمته فلم تبرح منه.

٦- **دار الحيوان:** قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ لَهِيَ ٱلۡحَيَوَانُۚ﴾ [العنكبوت: ٦٤]، والمراد الجنة عند أهل التفسير، أي: لهي دار الحياة الدائمة الحقيقية التي لا موت فيها.

٧- **الفردوس:** قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ١١﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧]، والفردوس اسم يقال على جميع الجنة، ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات، وأصل الفردوس البستان.

٨- **المقام الأمين:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١﴾ [الدخان: ٥١]، والمقام الأمين موضع الإقامة، والأمين: الآمن من كل سوء وآفة ومكروه، وهو الذي قد جمع صفاتِ الأمن كلَّها، فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص، وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد.

٩- **مقعد الصدق:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] فسمى الجنة مقعد صدق؛ لحصول كل ما يراد من المقعد

الحسن فيها.

**١٠- جنات النعيم:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [لقمان: ٨] وهذا اسم جامع لجميع الجنات؛ لما تضمنته من الأنواع التي يتنعَّم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة، وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

## ۞ ثانيًا: الأدلة على الجنة:

الأدلة على الجنة كثيرة جدًّا في الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨٢﴾ [البقرة: ٨٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٢١]، وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٤٢﴾ [آل عمران: ١٤٢].

والآيات في ذلك كثيرة جدًّا، فقد ورد ذكر الجنة في القرآن بصيغة المفرد في (٦٦) موضعًا، وجاءت بصيغة الجمع في (٦٩) موضعًا في كتاب الله تعالى[(١)].

كما استفاضت الأحاديث في ذلك، فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار**»، ثم يقول الله تعالى: «**أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان...**» الحديث[(٢)].

وعن أسماء، قالت: أتيت عائشة وهي تصلي فقلت: ما شأن الناس؟ فأشارت إلى السماء، فإذا الناس قيام، فقالت: سبحان الله، قلت: آية؟ فأشارت برأسها: أي نعم، فقمت حتى تجلاني الغشي، فجعلت أصب على رأسي الماء، فحمد الله عز وجل النبي ﷺ وأثنى عليه، ثم قال: «**ما من شيء لم أكن أريته إلا رأيته في مقامي، حتى الجنة والنار...**» الحديث[(٣)].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص١٨٠-١٨١).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (ح٨٦).

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**» قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**»(١).

وغيرها كثير.

## ۞ ثالثًا: وجود الجنة الآن، ومكانها، والأدلة على ذلك:

دلت نصوص الكتاب والسنة وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الجنة مخلوقة وموجودة الآن، **أما الكتاب** فقوله تعالى عن الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٣-١٥]، وكذا قوله تعالى عن امرأة فرعون أنها قالت: ﴿رَبِّ ٱبْنِ لِي عِندَكَ بَيْتًا فِي ٱلْجَنَّةِ﴾ [التحريم: ١١]، وهذه الآيات وغيرها صريحة الدلالة على أن الجنة موجودة الآن.

قال الشيخ السعدي: «وفي قوله: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ ونحوها من الآيات، دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، أن الجنة والنار مخلوقتان خلافًا للمعتزلة»(٢).

**وأما السنة**، فقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى، ورأى عندها جنة المأوى، كما في حديث أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قصة الإسراء، وفي آخره: «... **ثم انطلق بي جبرائيل، حتى أتى سدرة المنتهى، فغشيها ألوان لا أدري ما هي، قال: ثم دخلت الجنة، فإذا هي جنابذ اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك**»(٣).

وفي حديث عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن**

(١) أخرجه مسلم (ح٤٢٦).
(٢) تفسير السعدي (ص٤٦).
(٣) أخرجه البخاري (ح٣٤٩)، ومسلم (ح١٦٣).

**كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة»**[(١)] .

**أما الإجماع**، فقد قال الإمام ابن أبي العز: «اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله! وأنه ينبغي أن يفعل كذا! ولا ينبغي له أن يفعل كذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم؛ فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة!! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم»[(٢)] .

## ۞ رابعًا: أبدية الجنة مع ذكر الأدلة:

أجمع أهل السنة على أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد، وهذا مما يعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به، ودلت عليه الأدلة من الكتاب والسنة.

**أما الكتاب** فقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [النساء: ٥٧].

وقوله جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾﴾ [الكهف: ١٠٧، ١٠٨].

**وأما الأدلة** من السنة على أبدية الجنة ودوامها فكثيرة، منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول:**

(١) أخرجه البخاري (ح١٣٧٩)، ومسلم (ح٢٨٦٦).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦١٤-٦١٥).

**وهل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح. ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت»**(١).

وأما قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هود: ١٠٨]؛ أي: غير مقطوع، فقد اختلف السلف في المراد بهذا الاستثناء.

قال الإمام ابن أبي العز: «واختلف السلف في هذا الاستثناء؛ فقيل: معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لكلهم. وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف. وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف. وقيل: هو استثناء استثناه الرب ولا يفعله، كما تقول: والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه. وقيل: (إلا) بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف... وقيل: الاستثناء لإعلامهم، بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لا أنهم يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيْنَا وَكِيلًا ﴿٨٦﴾﴾ [الإسراء: ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ [الشورى: ٢٤]، وقوله: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ﴾ [يونس: ١٦]. ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن. وقيل: إن (ما) بمعنى (من) أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء. وقيل غير ذلك. وعلى كل تقدير، فهذا الاستثناء من المتشابه، وقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ محكم، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤]، وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٧٣٠)، ومسلم (ح٢٨٤٩).

(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٢٢-٦٢٣)، وانظر: حادي الأرواح (ص٣٤٥-٣٤٧).

### والراجح أحد قولين:

١- إما أن الاستثناء يعود إلى المدة التي شاء الله جل وعلا ألا يكونوا في الجنة قبل دخولها، وهي مدة البرزخ والموقف، ويدل على ذلك أنه ختم الآية بقوله: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾، يعني: غير مقطوع، وهو تأكيد لدوام نعيمها.

٢- أو المراد بالاستثناء بيان عموم مشيئة الله تعالى، وأنه لا يخرج شيء عن مشيئته، قال شيخنا البراك: «وأحسن ما قيل: إن المراد بيان أن بقاءهم إنما هو بمشيئة الله، كما أن بقاء أهل الجنة في الجنة إنما هو بمشيئة الله، فبقاء الرب تعالى ودوام وجوده ذاتي، أما بقاء أهل الجنة أبد الآباد فبإبقائه سبحانه وتعالى ومشيئته»(١).

«وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وذاك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها»(٢).

### خامسًا: صفة الجنة:

**ورد في الكتاب والسنة بعض صفات الجنة، ومن ذلك:**

١- **مكانها: الجنة في السماء**، أي: في العلو، وليس المقصود السماوات، بل عرضها كعرض السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم: ١٣ - ١٥].

قال الإمام ابن القيم: «وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء، وسميت بذلك؛ لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند الله فيقبض منها، وما يصعد إليه

(١) شرح العقيدة الطحاوية، للبراك (ص٣١٨).
(٢) شرح الطحاوية (٢/ ٦٢٣-٦٢٤).

فيقبض منها»(١)، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا سألتم الله، فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة** -أراه- **فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»(٢)، قال الإمام ابن القيم: «قال شيخنا أبو الحجاج المزي: والصواب رواية من رواه (وفوقُه) بضم القاف على أنه اسم لا ظرف، أي: وسقفه عرش الرحمن»(٣).

٢- **أبوابها:** قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، وقال جل وعلا: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: ٥٠]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة**»(٤)، كما ثبت أن عددها ثمانية، ففي حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله، وابن أمته، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق، أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**»(٥)، ومن هذه الأبواب باب يسمى الريان لا يدخل منه إلا الصائمون، كما في حديث سهل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**إن في الجنة بابًا يقال له: الريان، يدخل منه الصائمون يوم القيامة، لا يدخل منه أحد غيرهم، يقال: أين الصائمون؟ فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد**»(٦).

٣- **عددها:** قال جل وعلا: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦]، ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢]، قال الإمام ابن القيم: «فهذه

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٧٩٠).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٦٧).

(٤) أخرجه البخاري (ح١٨٩٨)، ومسلم (ح١٠٧٩).

(٥) أخرجه البخاري (ح٣٤٣٥)، ومسلم (ح٢٨).

(٦) أخرجه البخاري (ح١٨٩٦)، ومسلم (ح١١٥٢).

أربع، وقد اختلف في قوله: ﴿وَمِن دُونِهِمَا﴾ هل المراد به أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين»[(١)]، وعن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حارثة بن سراقة أتت النبي ﷺ، فقالت: يا نبي الله، ألا تحدثني عن حارثة، وكان قتل يوم بدر أصابه سَهْمٌ غَرْبٌ، فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك، اجتهدت عليه في البكاء، قال: «**يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى**»[(٢)]، وعن عبد الله بن قيس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**جنتان من فضة، آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن**»[(٣)].

٤- **بناؤها:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قلنا: يا رسول الله، حدثنا عن الجنة، ما بناؤها؟ قال: «**لبنة ذهب ولبنة فضة، ومِلاطها**[(٤)] **المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا ييأس، ويخلد ولا يموت، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**»[(٥)].

٥- **غرفها:** قال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الزمر: ٢٠]، وقال جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ۝٧٥﴾ [الفرقان: ٧٥]، وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**إن في الجنة غرفًا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها**»، فقام أعرابي فقال: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «**لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام،**

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص١٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٨٠٩).

(٣) أخرجه البخاري (ح٤٨٧٨)، ومسلم (ح١٨٠).

(٤) **الملاط:** الطين يجعل بين ساقتي البناء، يملط به الحائط أي: يصلح (جامع الأصول، لابن الأثير ١٠/ ٤٩٨).

(٥) أخرجه الترمذي (ح٢٥٢٦)، وأحمد في المسند (١٣/ ٤١٠)، والطيالسي في المسند (ح٢٧٠٦)، وقال الهيثمي: «رجاله رجال الصحيح» (مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٦).

**وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام»**[١].

٦- **آنيتها:** آنية طعام أهل الجنة التي يأكلون منها هي الذهب والفضة، قال سبحانه: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾ [الزخرف: ٧١]، وقال جل وعلا: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨]، وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**لا تلبسوا الحرير ولا الديباج، ولا تشربوا في آنية الذهب والفضة، ولا تأكلوا في صحافها، فإنها لهم في الدنيا ولنا في الآخرة**»[٢].

٧- **طعامها:** في الجنة ما تشتهيه الأنفس من المآكل والمشارب، قال سبحانه: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الطور: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢٠، ٢١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الطور: ١٧ - ١٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ [البقرة: ٢٥]، عن ابن عباس، قال: «ليس في الدنيا من الجنة شيء إلا الأسماء»[٣]، وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، يقول: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يأكل أهل الجنة فيها ويشربون، ولا يتغوطون، ولا يمتخطون، ولا يبولون، ولكن طعامهم ذلك جُشاء كرشح المسك، يلهمون التسبيح والحمد، كما تلهمون النفس**»[٤].

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الترمذي (ح١٩٨٤)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٢١٢٣).
(٢) أخرجه البخاري (ح٥٤٢٦)، ومسلم (ح٢٠٦٧).
(٣) تفسير الطبري (١/ ٤١٦).
(٤) أخرجه مسلم (ح٢٨٣٥).

### ۞ سادسًا: صفة أهلها:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، ثم الذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبولون ولا يتغوَّطون، ولا يتفلون، ولا يمتخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة**(١) **الألنجوج عود الطيب**(٢)**، وأزواجهم الحور العين، على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء**»(٣).

❊ وأكثر أهل الجنة من أمة محمد ﷺ، عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال لنا رسول الله ﷺ: «**أما ترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟**» قال: فكبرنا، ثم قال: «**أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟**» قال: فكبرنا، ثم قال: «**إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، أو كشعرة سوداء في ثور أبيض**»(٤).

❊ وأما زوجاتهم فقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ﴾ [النساء: ٥٧]، قال الإمام ابن القيم: «المطهرة مَن طَهُرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق، وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا، فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها، وطهرت أثوابها من أن

---

(١) **هي** -بضم اللام وفتح الهمزة وضمها: العود يتبخر به، وهي لفظة فارسية معربة. انظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٠).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: «الأَلَنْجُوج -بفتح الهمزة واللام وسكون النون، بجيمين الأولى مضمومة والواو ساكنة- هو العود الذي يتبخر به، ولفظ (الألنجوج) هنا تفسير (الألوة) و(العود) تفسير التفسير» (فتح الباري ٦/ ٣٦٧).

(٣) أخرجه البخاري (ح٣٣٢٧)، ومسلم (ح٢٨٣٤).

(٤) أخرجه البخاري (ح٦٥٢٨)، ومسلم (ح٢٢١).

يعرض لها دنس أو وسخ»[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الطور: ٢٠]، و«الحور: جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين»[(٢)]، وقال سبحانه في وصفهن: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩]، «والمفسرون كلهم على أن المعنى قصَرْنَ طرْفَهنَّ على أزواجهنَّ، فلا يطمحن إلى غيرهم»[(٣)]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ: «**لكل امرئ زوجتان من الحور العين، يرى مخ سوقهن من وراء العظم واللحم**»[(٤)]، وجاء في أحاديث أخرى الزيادة على زوجتين، قال الإمام ابن القيم: «الأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين، وليس في الصحيح زيادة على ذلك؛ فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة؛ فإما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري زيادة على الزوجتين، ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان»[(٥)].

## ❁ سابعًا: درجات الجنة:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «الجنة درجات متفاضلة تفاضلًا عظيمًا، وأولياء الله المؤمنون المتقون في تلك الدرجات بحسب إيمانهم وتقواهم»[(٦)]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما**

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٢١٧).

(٢) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٢١٨).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٢٢٠).

(٤) أخرجه البخاري (ح٣٢٥٤).

(٥) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (ص٢٣٢).

(٦) مجموع الفتاوى (١١/ ١٨٨).

**بين الدرجتين كما بين السماء والأرض»**[(١)].

## ۞ ثامنًا: موجبات دخول الجنة:

❋ جاء في القرآن آيات كثيرة فيها بيان الأعمال التي يستحق فاعلها دخول الجنة، **ومنها:**

١- **الإيمان والعمل الصالح**، قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٥].

٢- **الإخلاص**: قال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾﴾ [الصافات: ٤٠ - ٤٣].

٣- **الصبر والتوكل**: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٨، ٥٩].

٤- **الاستقامة على العمل الصالح**: قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

٥- **الخوف من الله**: قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦].

❋ كما ورد في السنة أحاديث كثيرة فيها أيضًا بيان للأعمال التي توجب دخول الجنة، **ومنها:**

عن جابر، أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ، فقال: أرأيت إذا صليت الصلوات المكتوبات، وصمت رمضان، وأحللت الحلال، وحرمت الحرام، ولم أزد على ذلك شيئًا، أأدخل الجنة؟ قال: «**نعم**»، قال: والله لا أزيد على ذلك شيئًا[(٢)].

قال الحافظ ابن رجب: «هذا الحديث يدل على أن من قام بالواجبات،

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٧٩٠).

(٢) أخرجه مسلم (ح١٥).

وانتهى عن المحرمات دخل الجنة، وقد تواترت الأحاديث عن النبي ﷺ بهذا المعنى، أو ما هو قريب منه»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أعرابيًّا أتى النبي ﷺ، فقال: دُلَّني على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: «**تعبد الله لا تشرك به شيئًا، وتقيم الصلاة المكتوبة، وتؤدي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان**» قال: والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا، فلما ولى، قال النبي ﷺ: «**من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة، فلينظر إلى هذا**»[(٢)].

وعن طلحة بن عبيد الله، أن أعرابيًّا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس، فقال: يا رسول الله، أخبرني ماذا فرض الله عليَّ من الصلاة؟ فقال: «**الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئًا**»، فقال: أخبرني ما فرض الله عليَّ من الصيام؟ فقال: «**شهر رمضان إلا أن تطوع شيئًا**»، فقال: أخبرني بما فرض الله عليَّ من الزكاة؟ فقال: فأخبره رسول الله ﷺ شرائع الإسلام، قال: والذي أكرمك، لا أتطوع شيئًا، ولا أنقص مما فرض الله عليَّ شيئًا، فقال رسول الله ﷺ: «**أفلح إن صدق، أو دخل الجنة إن صدق**»[(٣)].

## ۞ تاسعًا: موجبات الحرمان من دخول الجنة:

الأعمال التي يستحق فاعلها الحرمان من دخول الجنة[(٤)] كثيرة، **منها ما يلي:**

١- **الشرك:** قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢- **قتل النفس،** عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٥١٤).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٩٧)، ومسلم (ح١٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح١٨٩١).

(٤) هذا يشمل أسباب الحرمان الدائم كالشرك، والحرمان المنقطع كالنميمة.

**«كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح، فجزع، فأخذ سكينًا فحز بها يده، فما رقأ الدم حتى مات، قال الله تعالى: بادرني عبدي بنفسه، حرمت عليه الجنة»**(١).

**٣- الزنا:** عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة لا يدخلون الجنة: الشيخ الزاني، والإمام الكذاب، والعائل المزهوُّ(٢)»**(٣).

**٤- شرب الخمر:** عن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة مدمن خمر»**(٤).

**٥- قطع الأرحام:** عن جبير بن مطعم، أخبره أنه سمع النبي ﷺ يقول: **«لا يدخل الجنة قاطع»**(٥)، أي: قاطع رحم.

**٦- النميمة:** عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«لا يدخل الجنة قَتَّات»**(٦)، أي: نمام.

**٧- أذى الجار:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»**(٧).

**٨- الكبر:** عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: **«لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»** قال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا ونعله حسنة، قال: **«إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بَطَرُ الحق، وغمط الناس»**(٨).

---

(١) أخرجه البخاري (ح٣٤٦٣). (٢) **أي:** الفقير المتكبر على الناس.

(٣) أخرجه البزار في مسنده (البحر الزخار ٦/ ٤٩٣)، وقال الهيثمي: «رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير العباس بن أبي طالب، وهو ثقة» (مجمع الزوائد ٦/ ٢٥٥)، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة ح٣٤٦١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (ح٣٣٧٦)، وقال البوصيري: «هذا إسناد حسن» (مصباح الزجاجة ٤/ ٣٩).

(٥) أخرجه البخاري (ح٥٩٨٤)، ومسلم (ح٢٥٥٦).

(٦) أخرجه البخاري (ح٦٠٥٦)، ومسلم (ح١٠٥).

(٧) أخرجه مسلم (ح٤٦).

(٨) أخرجه مسلم (ح٩١).

٩- **التبرج**، عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما، قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[١].



(١) أخرجه مسلم (ح٢١٢٨).



# المبحث السابع عشر

## رؤية الله في الجنة، أدلتها وصفتها

«رؤية الله سبحانه في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع السلف»(١)، وقد تنوعت الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية، **ومن أظهرها ثلاثة أنواع:**

**الأول**: التصريح بالنظر، **والثاني**: نفي الإدراك، **والثالث**: حجب أعداء الله عن رؤية الله(٢).

### ۞ النوع الأول: التصريح بالنظر:

١- **ومن أدلة هذا النوع**: قوله جل وعلا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وذكر الإمام ابن أبي العز أنها من أظهر أدلة الرؤية(٣).

٢- ومنها قوله تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: ٣٥]، قال علي ابن أبي طالب وأنس بن مالك رضي الله عنهما: هو النظر إلى وجه الله تعالى(٤).

٣- ومن الأدلة أيضًا قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فالحسنى: الجنة، والزيادة: هي النظر إلى وجهه الكريم، فسرها بذلك رسول الله ﷺ والصحابة من بعده، كما روى مسلم في «صحيحه» عن صهيب، عن النبي ﷺ قال: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك**

---

(١) شرح السفارينية (ص٥١٣).

(٢) انظر: شرح السفارينية (ص٥١٤).

(٣) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢٠٨).

(٤) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٠).

**وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم** ﷻ»[1] ورواه غيره بأسانيد متعددة وألفاظ أخر، معناها أن الزيادة: النظر إلى وجه الله تعالى، وكذلك فسرها الصحابة رضي الله عنهم.

## ۞ النوع الثاني: نفي الإدراك:

١- قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، **ووجه الاستدلال بها على ثبوت رؤيته من وجوه:**

**أحدها:** أنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم وأعلم الناس بربه في وقته أن يسأل ما لا يجوز عليه، بل هو عندهم من أعظم المحال.

**الثاني:** أن الله لم ينكر عليه سؤاله، ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر سؤاله، وقال: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦].

**الثالث:** أنه تعالى قال: ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾، ولم يقل: إني لا أُرَى، أو لا تجوز رؤيتي، أو لست بمرئي، والفرق بين الجوابين ظاهر، ألا ترى أن من كان في كمه حجر فظنه رجل طعامًا، فقال: أطعمنيه، فالجواب الصحيح: أنه لا يؤكل، أما إذا كان طعامًا صح أن يقال: إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه سبحانه مرئي، ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار؛ لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى، **يوضحه:**

**الرابع:** وهو قوله: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار، فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟

**الخامس:** أن الله سبحانه قادر على أن يجعل الجبل مستقرًّا، وذلك ممكن،

---

(١) أخرجه مسلم (ح١٨١).

وقد علق به الرؤية.

**السادس:** قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾، فإذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب، فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله وأوليائه في دار كرامته؟ ولكن الله تعالى أعلم موسى عليه السلام أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار، فالبشر أضعف.

**السابع:** أن الله كلم موسى وناداه وناجاه، ومن جاز عليه التكلم والتكليم، وأن يسمع مخاطبه كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز، ولهذا لا يتم إنكار رؤيته إلا بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما. وبهذا يتبين أن من احتج بهذه الآية على نفي الرؤية فحجته داحضة، وأنه ما من مبطل يستدل بدليل صحيح صريح إلا وهو حجة عليه لا له[(١)].

**٢-** ومن الأدلة قوله تعالى: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، والاستدلال بها على الرؤية من وجه حسن لطيف، وهو: أن الله تعالى إنما ذكرها في سياق التمدح، ومعلوم أن المدح إنما يكون بالصفات الثبوتية، وأما العدم المحض فليس بكمال فلا يمدح به، وإنما يمدح الرب تعالى بالنفي إذا تضمن أمرًا وجوديًّا، كمدحه بنفي السِّنة والنوم، المتضمن كمال القيومية، ونفي الموت المتضمن كمال الحياة، ونفي اللغوب والإعياء، المتضمن كمال القدرة، ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير، المتضمن كمال ربوبيته وإلهيته وقهره، ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال صمديته وغناه، ونفي الشفاعة عنده إلا بإذنه، المتضمن كمال توحده وغناه عن خلقه، ونفي الظلم، المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه، ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه، المتضمن كمال علمه وإحاطته، ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته؛ ولهذا لم يتمدح بعدم محض لم يتضمن أمرًا ثبوتيًّا، فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم، ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه،

---

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٣-٢١٤).

فإن المعنى: أنه يُرَى ولا يُدْرك ولا يُحَاط به، فقوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾، يدل على كمال عظمته، وأنه أكبر من كل شيء، وأنه لكمال عظمته لا يدرك بحيث يحاط به، فإن الإدراك هو: الإحاطة بالشيء، وهو قدر زائد على الرؤية، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢]، فلم ينف موسى الرؤية، وإنما نفى الإدراك، فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه، فالرب تعالى يرى ولا يدرك، كما يعلم ولا يحاط به علمًا، وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية، كما ذكرت أقوالهم في تفسير الآية، بل هذه الشمس المخلوقة لا يتمكن رائيها من إدراكها على ما هي عليه[(١)].

### ۞ النوع الثالث: حجب أعداء الله عن رؤيته:

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] احتج الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من الأئمة بهذه الآية على الرؤية لأهل الجنة، ذكر ذلك الطبري وغيره عن المزني عن الشافعي، وقال الحاكم: حدثنا الأصم، حدثنا الربيع بن سليمان قال: حضرت محمد بن إدريس الشافعي، وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها: ما تقول في قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾؟ فقال الشافعي: لما أن حجب هؤلاء في السخط، كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا[(٢)].

* وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه، الدالة على الرؤية فمتواترة، رواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن.

**فمنها:** حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن ناسًا قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله، قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا،

(١) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٣-٢١٤).

(٢) انظر: شرح الطحاوية (١/ ٢١٢).

قال: «**فإنكم ترونه كذلك...**»، الحديث(١).

وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، ومن أحاط بها معرفة يقطع بأن الرسول قالها(٢).

**وقد نقل الإجماع على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة** جماعة من أهل العلم، منهم الإمام أبو الحسن الأشعري، قال: «وقد روي عن أصحاب رسول الله ﷺ أن الله تعالى تراه العيون في الآخرة، وما روى عن أحد منهم أن الله تعالى لا تراه العيون في الآخرة، فلما كانوا على هذا مجتمعين، وبه قائلين، وإن كانوا في رؤيته تعالى في الدنيا مختلفين، ثبتت في الآخرة إجماعًا»(٣).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أجمع سلف الأمة وأئمتها على أن المؤمنين يرون الله بأبصارهم في الآخرة»(٤).

وقال ابن القيم: «إن الصحابة والتابعين، وجميع أهل السنة والحديث، والأئمة الأربعة، وأهل الاستقامة من أتباعهم متفقون على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة»(٥).

### صفتها:

جاء في حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا عند النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة -يعني البدر- فقال: «**إنكم سترون ربكم، كما ترون هذا القمر، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا**» ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩](٦).

قال شيخنا عبد الرحمن البراك: «يعني: ترون ربكم رؤية كرؤيتكم للشمس

---

(١) أخرجه البخاري (ح٨٠٦)، ومسلم (ح١٨٢).
(٢) شرح الطحاوية (١/ ٢١٥-٢١٨).
(٣) الإبانة (ص٥١).
(٤) مجموع الفتاوى (٦/ ٥١٢).
(٥) مختصر الصواعق المرسلة (ص٤١٢).
(٦) سبق تخريجه.

والقمر، **ووجه الشبه بين الرؤيتين:**

**أولًا:** أنها رؤية بصرية لا علمية، ونفاة الرؤية يفسرون هذه الرؤية بالرؤية العلمية، أي: يزداد علمهم بالله يوم القيامة، لا أنهم يرونه بأبصارهم.

**ثانيًا:** أنهم يرونه في العلو كما يُرى القمران في العلو.

**ثالثًا:** أنها رؤية من غير إحاطة، فالمؤمنون يرون ربهم يوم القيامة من غير إحاطة، كما أن الناس في الدنيا يرون الشمس والقمر من غير إحاطة»[(١)].



(١) شرح الطحاوية (ص١١٦).



# المبحث الثامن عشر

## النار

### ۞ أولًا: تعريف النار:

**هي**: «الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين»(١).

### ۞ ثانيًا: أسماؤها:

١- **الهاوية**: قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٨ - ١١]، قال القرطبي: «وسميت النار هاوية، لأنه يهوى فيها مع بعد قعرها»(٢).

٢- **الجحيم**: قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦﴾ [الدخان: ٥٦]، وقال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٣٩﴾ [النازعات: ٣٧ - ٣٩]، قال القرطبي: «الجحيم: النار الشديدة الاتقاد. يقال: جحم فلان النار إذا شدد إيقادها»(٣).

٣- **جهنم**: قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ۝١٢﴾ [آل عمران: ١٢]، وقال جل وعلا: ﴿قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ ۝١٨﴾ [الأعراف: ١٨]، قال ابن منظور:

---

(١) تعليق مختصر على لمعة الاعتقاد للعثيمين (ص١٣١).
(٢) تفسير القرطبي (٢٠/ ١٦٧).
(٣) تفسير القرطبي (٦/ ٢٦٠).

«سميت جهنم؛ لبُعْدِ قعرها»[(١)].

٤- **الحُطَمة**: قال تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي ٱلۡحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ ۝٦﴾ [الهمزة: ٤ - ٦]، قال الحافظ ابن كثير: «وهي [أي: الحطمة] اسم من أسماء النار صفة؛ لأنها تحطم من فيها»[(٢)].

٥- **اللَّظى**: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ۝١٥ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾ [المعارج: ١٥، ١٦]، قال الشوكاني: «(لظى) عَلَمٌ لجهنم، واشتقاقها من التلظي في النار وهو التلهب، وقيل: أصله: لظظ بمعنى دوام العذاب، فقلبت إحدى الظاءين ألفًا»[(٣)].

٦- **سقر**: قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨﴾ [القمر: ٤٨]، وقال جل وعلا: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ۝٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾ [المدثر: ٢٦ - ٢٨]، قال القرطبي: «وإنما سميت سقر من سَقَرَتْه الشمس: إذا أذابته ولوحته، وأحرقت جلدة وجهه»[(٤)].

٧- **السعير**: قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠ فَٱعۡتَرَفُواْ بِذَنۢبِهِمۡ فَسُحۡقٗا لِّأَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١١﴾ [الملك: ١٠، ١١]، قال الشوكاني: «السعير: أشد الحريق، يقال: سعرت النار، فهي مسعورة»[(٥)].

٨- **سجِّين**: قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ ۝٧ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ۝٩﴾ [المطففين: ٧-٩]، قال الراغب الأصفهاني: «السجِّين: اسم لجهنم، بإزاء عليِّين، وزيد لفظه تنبيهًا على زيادة معناه»[(٦)].

---

(١) لسان العرب (١٢/ ١١٢).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٨١).
(٣) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣٤٧).
(٤) تفسير القرطبي (١٩/ ٧٧).
(٥) فتح القدير للشوكاني (٥/ ٣١٠).
(٦) المفردات في غريب القرآن (ص٣٩٩)، وانظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٣٤٩).

## ۞ ثالثًا: الأدلة على النار:

دل على وجود النار الكتاب والسنة، فقد بلغت المواضع التي ورد فيها ذكر النار في القرآن ١٤٥ موضعًا، منها ١٤ موضعًا في «سورة البقرة»، و١١ موضعًا في «سورة آل عمران»[(١)]، **ومن ذلك:**

قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَاتَّقُواْ النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤]، وقال سبحانه: ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [الأعراف: ٤٤]، وقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُواْ السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُوْلَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس: ٢٧].

كما جاءت الأدلة على النار في أحاديث كثيرة، منها حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا، أو الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية**»[(٢)].

وعن ابن عباس، قال: قال النبي ﷺ: «**أريت النار فإذا أكثر أهلها النساء، يكفرن**» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر، ثم رأت منك شيئًا، قالت: ما رأيت منك خيرًا قطُّ**»[(٣)].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن شعيرة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن برة من خير، ويخرج من النار من قال: لا إله إلا الله، وفي قلبه وزن ذرة من خير**»[(٤)].

---

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (ص٧٢٣) وما بعدها.

(٢) أخرجه البخاري (ح٢٢)، ومسلم (١٨٤).

(٣) أخرجه البخاري (ح٢٩).

(٤) أخرجه البخاري (ح٤٤)، ومسلم (ح١٩٢).

### ۞ رابعًا: وجود النار الآن، ومكانها، والأدلة على ذلك:

وقد دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على أن النار موجودة الآن.

**فمن الكتاب:** قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾، قال الحافظ ابن كثير: «وقد استدل كثير من أئمة السنة بهذه الآية على أن النار موجودة الآن لقوله: ﴿أُعِدَّتْ﴾ أي: أرصدت وهيئت»[(١)]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّاغِينَ مَآبًا ﴿٢٢﴾﴾ [النبأ: ٢١، ٢٢].

**ومن السنة:** حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أحدكم إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة**»[(٢)].

**وأما الإجماع** فقد قال الإمام ابن أبي العز: «اتفق أهل السنة على أن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، ولم يزل على ذلك أهل السنة، حتى نبغت نابغة من المعتزلة والقدرية فأنكرت ذلك، وقالت: بل ينشئهما الله يوم القيامة!! وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة لما يفعله الله، وأنه ينبغي أن يفعل كذا، ولا ينبغي له أن يفعل كذا!! وقاسوه على خلقه في أفعالهم؛ فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم، فصاروا مع ذلك معطلة! وقالوا: خلق الجنة قبل الجزاء عبث؛ لأنها تصير معطلة مددًا متطاولة!! فردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها، وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم»[(٣)].

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٢).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٣٧٩)، ومسلم (ح٢٨٦٦).

(٣) شرح الطحاوية (٢/ ٦١٤-٦١٥)، وقد سبق نقله.

## ۞ خامسًا: أبدية النار:

**ذكر الله تعالى أبدية النار في ثلاثة مواضع في حق الكفار**، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ۝١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝١٦٩﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥]، وقال جل وعلا: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣]، ولو ذكر الله جل وعلا التأبيد في موضع واحد لكفى، فكيف بثلاثة مواضع؟!

**وأما الأدلة من السنة على أبدية النار فكثيرة، منها:** حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: إن رسول الله ﷺ قال: «**يدخل الله أهل الجنة الجنة، ويدخل أهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه**»(١).

وحديث أنس رضي الله عنه الطويل في الشفاعة، وفيه أن النبي ﷺ قال: «**... ثم أرجع فأقول: يا رب، ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود**»(٢).

وحديث أبي سعيد رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم** -أو قال: **بخطاياهم- فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحمًا، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضبائر ضبائر، فبثوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل**»(٣).

**وقد أجمع سلف الأمة وأئمتها على ذلك**، قال الإمام ابن حزم: «اتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن

---

(١) أخرجه البخاري (ح٦٥٤٤)، ومسلم (ح٢٨٥٠).
(٢) أخرجه البخاري (ح٧٤١٠)، ومسلم (ح١٩٣).
(٣) أخرجه مسلم (ح١٨٥).

صفوان، وأبا الهذيل العلاف، وقومًا من الروافض»[١].

وقال القرطبي: «أجمع أهل السنة على أن أهل النار مخلدون فيها غير خارجين منها؛ كإبليس، وفرعون، وهامان، وقارون، وكل من كفر وتكبر وطغى، فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيا»[٢].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها، وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية؛ كالجنة والنار والعرش وغير ذلك، ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين، كالجهم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع سلف الأمة وأئمتها»[٣].

## ۞ سادسًا: الرد على المخالفين إجمالًا:

ليعلم أن القول الذي يبدع قائله هو القول بفناء الجنة، أو بفناء الجنة والنار، أما القول بفناء النار فقط فهو «قول مرجوح، لكن لا يقال بأنه بدعة، ولا يبدع من قال به»[٤]، قال الإمام ابن أبي العز: «وقال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة من السلف[٥] والخلف»[٦].

ولهذا قال الإمام ابن القيم -بعد أن أفاض القول في مسألة أبدية النار: «فإن قيل: فإلى أين انتهى قدمكم في هذه المسألة العظيمة الشأن التي هي

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤/ ٦٩-٧٠).
(٢) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٩٢٠).
(٣) مجموع الفتاوى (١٨/ ٣٠٧).
(٤) شرح الطحاوية، للبراك (ص٣١٧).
(٥) قال الشيخ الألباني: «لم يثبت القول بفناء النار عن أحد من السلف، وإنما هي آثار واهية لا تقوم بها حجة، وبعض أحاديثه موضوعة، لو صحت لم تدل على الفناء المزعوم، وإنما على بقاء النار، وخروج الموحدين منها» (شرح الطحاوية، بتعليق وتخريج الألباني ص: ٤٢٤).
(٦) شرح الطحاوية (٢/ ٦٢١).

أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل: إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾»[(١)].

**وقد استدل من قال بفناء النار** بالاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧].

## وقد أجيب عن استدلالهم بالاستثناء المذكور بعدة أجوبة[(٢)]:

١- أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين.

٢- أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم.

٣- أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ فيه إجمال، وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبدًا، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات فالظاهر مقدم على المجمل، كما تقرر في الأصول.

قال شيخنا عبد الرحمن البراك: «وقد أجيب بأجوبة كثيرة عن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾، وقوله: ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَـٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾، وأحسن ما قيل: إن المراد بيان أن بقاءهم إنما هو بمشيئة الله، كما أن بقاء أهل الجنة في الجنة إنما هو بمشيئة الله، فبقاء الرب تعالى ودوام وجوده ذاتي، أما بقاء أهل الجنة أبد الآباد فبإبقائه ومشيئته»[(٣)].

وقد حاول الإمام الشنقيطي الجمع بين الأدلة، فقال: «الذي يظهر لي

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم (٢/ ٧٩١)، وينظر: شفاء العليل، لابن القيم (ص٢٦٤).

(٢) انظر: دفع إيهام الاضطراب (ص٩٣)، وانظر: فتاوى الشيخ عبد الرزاق عفيفي، قسم العقيدة (ص٢٤٦).

(٣) شرح الطحاوية، للبراك (ص٣١٨) بتصرف يسير.

-والله أعلم- أن هذه النار التي لا يبقى فيها أحد يتعين حملها على الطبقة التي كان فيها عصاة المسلمين، كما جزم به البغوي في «تفسيره»[(١)]؛ لأنه يحصل به الجمع بين الأدلة، وإعمال الدليلين أولى من إلغاء أحدهما، وقد أطبق العلماء على وجوب الجمع إذا أمكن، أما ما يقوله كثير من العلماء من الصحابة ومن بعدهم من أن النار تفنى وينقطع العذاب عن أهلها، فالآيات القرآنية تقتضي عدم صحته»[(٢)].

## ۞ سابعًا: صفة النار:

١- **مكانها**، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين: ٧]، وفي حديث البراء بن عازب: «**فيقول الله عَزَّوَجَلَّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى، فتطرح روحه طرحًا**»[(٣)]، وهذا يدل على أن مكانها الأرض السفلى، والظاهر أنها الأرض المبدلة، واختار بعضهم التوقف في تعيين مكانها منهم السيوطي[(٤)].

٢- **أبوابها، للنار سبعة أبواب**، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝٤٤﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤]، وعندما يساق الكفار إلى النار تفتح أبوابها، كما قال سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ [الزمر: ٧١]، وأبواب النار مغلقة على الكافرين، قال جل وعلا: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝١٩ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ۝٢٠﴾ [البلد: ١٩، ٢٠]، قال ابن عباس: «عليهم مغلقة»[(٥)]، وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: «**إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة،**

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٠٠).
(٢) دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب (ص٩٤).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) انظر: يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار، لصديق حسن خان (ص٤٥-٤٨).
(٥) تفسير الطبري (٢٤/ ٦٢٣).

**وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين»**[(١)].

**٣- شدة حرها**، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ، قال: «**ناركم جزء من سبعين جزءًا من نار جهنم**»، قيل: يا رسول الله، إن كانت لكافية، قال: «**فضلت عليهن بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها**»[(٢)].

**٤- سلاسلها وأغلالها**، قال تعالى: ﴿إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [غافر: ٧١، ٧٢]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾﴾ [الإنسان: ٤]، وقال جلَّ وعلا: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٣٠ - ٣٢].

**٥- طعام أهل النار**: الضريع والزقوم والغسلين، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦]، وقال جل وعلا: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾﴾ [الغاشية: ٦، ٧]، وقال سبحانه: ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [الصافات: ٦٢ - ٦٦]، وقال جل جلاله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ ﴿٥٥﴾﴾ [الواقعة: ٥١ - ٥٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٣٦، ٣٧]، قال ابن زيد: «الغسلين والزقوم: شيء لا يعرفه أهل الدنيا»[(٣)]، وعن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**لو أن قطرة من الزقوم قطرت، لأمَرَّت على أهل الأرض عيشهم، فكيف من ليس لهم طعام إلا**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (ح٣٢٦٥)، ومسلم (ح٢٨٤٣). (٣) تفسير الطبري (١٦/ ١٩٤).

**الزقوم؟!»**[(١)].

٦- **شراب أهلها:** الحميم والغساق وطينة الخبال والمهل، أما الحميم فهو الماء الحار الذي اشتد حره، قال تعالى: ﴿وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]، وقال سبحانه: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ: ٢٤، ٢٥]، قال الإمام ابن كثير: «أما الحميم فهو: الحار الذي قد انتهى حره، وأما الغساق فهو: ضده، وهو البارد الذي لا يستطاع من شدة برده المؤلم»[(٢)]، وقيل: «الغساق: الصديد الذي يخرج من جلودهم، مما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه»[(٣)]، أما طينة الخبال فيدل عليه حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «**كل مسكر حرام، إن على الله** عَزَّ وَجَلَّ **عهدًا لمن يشرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال**» قالوا: يا رسول الله، وما طينة الخبال؟ قال: «**عرق أهل النار**» أو «**عصارة أهل النار**»[(٤)]، وأما المهل فيدل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، قال الإمام ابن كثير: «قال ابن عباس: المهل: ماء غليظ مثل دردي الزيت. وقال مجاهد: هو كالدم والقيح. وقال عكرمة: هو الشيء الذي انتهى حره: وقال آخرون: هو كل شيء أذيب. وقال قتادة: أذاب ابن مسعود شيئًا من الذهب في أخدود، فلما انماع وأزبد قال: هذا أشبه شيء بالمهل. وقال الضحاك: ماء جهنم أسود، وهي سوداء وأهلها سود. وهذه الأقوال ليس شيء منها ينفي الآخر، فإن المهل يجمع هذه الأوصاف الرذيلة كلها، فهو أسود منتن غليظ حار»[(٥)].

٧- **كسوة أهلها ولباسهم**، يفصل لهم ثياب من نار وقمصان من قطران، قال

---

(١) أخرجه الترمذي (ح٢٥٨٥)، وابن ماجه (ح٤٣٢٥)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٥٢٥٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٧٨).

(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٣٠).

(٤) أخرجه مسلم (ح٢٠٠٢).

(٥) تفسير ابن كثير (٥/ ١٥٤-١٥٥).

تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾﴾ [الحج: ١٩]، وقال جل وعلا: ﴿وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴿٥٠﴾﴾ [إبراهيم: ٤٩، ٥٠]، قال الإمام ابن كثير: «كان ابن عباس يقول: القطران هو: النحاس المذاب»(١).

٨- **صفة عذاب أهلها:** أهل النار متفاوتون في العذاب، فعن سمرة بن جندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**منهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه النار إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه النار إلى حجزته، ومنهم من تأخذه النار إلى ترقوته**»(٢). وعن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إن أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة لرجلٌ توضع في أخمص قدميه جمرة، يغلي منها دماغه**»(٣).

قال القرطبي: «ولا شك في أن الكفار في عذاب جهنم متفاوتون، كما قد علم من الكتاب والسنة، ولأنا نعلم على القطع والثبات أنه ليس عذاب من قتل الأنبياء والمسلمين وفتك فيهم وأفسد في الأرض وكفر، مساويًا لعذاب من كفر فقط وأحسن للأنبياء والمسلمين»(٤).

### ۞ ثامنًا: صفات أهلها:

جاء بيان صفة أهل النار المستحقين لدخولها في حديث حارثة بن وهب الخزاعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: سمعت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**ألا أخبركم بأهل النار: كل عتل جواظ مستكبر**»(٥)، قال الإمام النووي: «أما العُتُلُّ -بضم العين والتاء- فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل: الجافي الفظ الغليظ، وأما

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٢٢)، وانظر: فتح القدير (٣/ ١٤٢).
(٢) أخرجه مسلم (ح٢٨٤٥).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٦١)، ومسلم (ح٢١٣).
(٤) التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة (ص٨٨٦).
(٥) أخرجه البخاري (ح٤٩١٨)، ومسلم (ح٢٨٥٣).

الجَوَّاظ -بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة- فهو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين، . . . وأما المتكبر والمستكبر فهو صاحب الكبر، وهو بَطَر الحق وغمط الناس»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار: فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قط قط، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله عَزَّوَجَلَّ من خلقه أحدًا، وأما الجنة: فإن الله عَزَّوَجَلَّ ينشئ لها خلقًا**»(٢).

وأما صفة أجسادهم بعد دخولها، فعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**ما بين منكبي الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب المسرع**»(٣).

وعن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**ضرس الكافر، أو ناب الكافر مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث**»(٤).

### ۞ تاسعًا: دركاتها:

قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]، قال القرطبي: «النار دركات سبعة، أي: طبقات ومنازل، إلا أن استعمال العرب لكل ما تسافل أدراك، يقال: للبئر أدراك، ولما تعالى درج، فللجنة درج، وللنار أدراك. . . فالمنافق في الدرك الأسفل وهي الهاوية، لغلظ كفره وكثرة غوائله وتمكنه من أذى المؤمنين، وأعلى الدركات: جهنم، ثم لظى، ثم

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٨٧-١٨٨).
(٢) أخرجه البخاري (ح٤٨٥٠)، ومسلم (ح٢٨٤٦).
(٣) أخرجه البخاري (ح٦٥٥١)، ومسلم (ح٢٨٥٢).
(٤) سبق تخريجه.

الحطمة، ثم السعير، ثم سقر، ثم الجحيم، ثم الهاوية[١]، وقد يسمى جميعها باسم الطبقة الأولى، أعاذنا الله من عذابها بمنه وكرمه»[٢].

وأما قعرها، فقد جاء عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ، إذ سمع وجبة، فقال النبي ﷺ: «**تدرون ما هذا؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «**هذا حجر رمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن، حتى انتهى إلى قعرها**»[٣].

## ۞ عاشرًا: موجبات دخول النار:

### موجبات دخول النار كثيرة جدًّا، منها:

١- **الشرك**: قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [المائدة: ٧٢].

٢- **النفاق**، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ١٤٥﴾ [النساء: ١٤٥].

٣- **عدم القيام بفرائض الإسلام**، قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢ قَالُواْ لَمۡ نَكُ مِنَ ٱلۡمُصَلِّينَ ٤٣ وَلَمۡ نَكُ نُطۡعِمُ ٱلۡمِسۡكِينَ ٤٤ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلۡخَآئِضِينَ ٤٥ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤٦ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلۡيَقِينُ ٤٧﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٧].

٤- **قتل النفس**، قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدٗا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمٗا ٩٣﴾ [النساء: ٩٣].

٥- **أكل مال اليتيم**، قال جل وعلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا ١٠﴾ [النساء: ١٠].

٦- **أكل أموال الناس بالباطل**، قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا

---

(١) **والصحيح** أنها أسماء لجهنم كما مر، وليست دركات لها.

(٢) تفسير القرطبي (٥/ ٤٢٥).

(٣) أخرجه مسلم (ح٢٨٤٤).

تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ [النساء: ٢٩، ٣٠].

٧- **عدم رجاء لقاء الله والركون إلى الدنيا:** قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس: ٧، ٨].

٨- **أكل الربا،** قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥].

٩- **الركون إلى الظالمين،** قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

## ۞ حادي عشر: موجبات الوقاية من النار:

### موجبات الوقاية من النار كثيرة جدًّا، منها:

١- **التوحيد:** عن عتبان بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**فإن الله قد حرم على النار من قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجه الله**»[(١)].

٢- **الصيام:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ، قال: «**الصيام جُنَّة فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم**- مرتين»[(٢)]، قال الإمام النووي: «معناه: سترة ومانع من الرفث والآثام، ومانع أيضًا من النار»[(٣)].

٣- **الجهاد في سبيل الله:** عن عبد الرحمن بن جبر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن رسول الله ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري (ح٤٢٥)، ومسلم (ح٣٣).

(٢) أخرجه البخاري (ح١٨٩٤)، ومسلم (ح١١٥١).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (٨/ ٣٠-٣١).

قال: «**ما اغبرت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار**»[(١)].

**٤- من مات له ثلاثة أبناء:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قال: «**لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار، إلا تحلَّة القسم**»[(٢)].

**٥- الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها:** عن عمارة بن رؤيبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يلج النار من صلى قبل طلوع الشمس، وقبل غروبها**»[(٣)].

**٦- البكاء من خشية الله:** عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**لا يلج النارَ أحدٌ بكى من خشية الله، حتى يعود اللبن في الضرع، ولا يجتمع غبار في سبيل الله، ودخان جهنم في منخري امرئ أبدًا**»[(٤)].

**سئل شيخ الإسلام** رَحِمَهُ اللَّهُ**: ما عمل أهل الجنة؟ وما عمل أهل النار؟**

**فأجاب:** «الحمد لله رب العالمين، **عمل أهل الجنة:** الإيمان والتقوى، وعمل أهل النار: الكفر والفسوق والعصيان، فأعمال أهل الجنة: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، والشهادتان: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وأن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. ومن أعمال أهل الجنة: صدق الحديث، وأداء الأمانة، والوفاء بالعهد، وبر الوالدين، وصلة الأرحام، والإحسان إلى الجار واليتيم والمسكين والمملوك من الآدميين والبهائم.

ومن أعمال أهل الجنة: الإخلاص لله، والتوكل عليه، والمحبة له ولرسوله ﷺ، وخشية الله ورجاء رحمته والإنابة إليه والصبر على حكمه والشكر لنعمه. ومن أعمال أهل الجنة: قراءة القرآن وذكر الله ودعاؤه

---

(١) أخرجه البخاري (ح٢٨١١). (٢) أخرجه مسلم (ح٢٦٣٢).

(٣) أخرجه مسلم (ح٦٣٤).

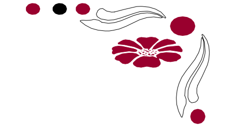
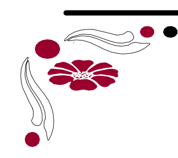
(٤) أخرجه الترمذي (ح١٦٣٣) وقال: «حسن صحيح»، والنسائي (ح٣١٠٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع ح٧٧٧٨).

ومسألته والرغبة إليه. ومن أعمال أهل الجنة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والجهاد في سبيل الله للكفار والمنافقين. ومن أعمال أهل الجنة: أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ فإن الله أعد الجنة للمتقين، ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ومن أعمال أهل الجنة: العدل في جميع الأمور، وعلى جميع الخلق حتى الكفار، وأمثال هذه الأعمال.

**وأما عمل أهل النار:** فمثل الإشراك بالله، والتكذيب بالرسل، والكفر، والحسد، والكذب، والخيانة، والظلم، والفواحش، والغدر، وقطيعة الرحم، والجبن عن الجهاد، والبخل، واختلاف السر والعلانية، واليأس من رَوْح الله، والأمن من مكر الله، والجزع عند المصائب، والفخر والبطر عند النعم، وترك فرائض الله، واعتداء حدوده، وانتهاك حرماته، وخوف المخلوق دون الخالق، ورجاء المخلوق دون الخالق، والتوكل على المخلوق دون الخالق، والعمل رياء وسمعة، ومخالفة الكتاب والسنة، وطاعة المخلوق في معصية الخالق، والتعصب بالباطل، والاستهزاء بآيات الله، وجحد الحق، والكتمان لما يجب إظهاره من علم وشهادة، ومن عمل أهل النار: السحر، وعقوق الوالدين، وقتل النفس التي حرم الله بغير الحق، وأكل مال اليتيم، وأكل الربا، والفرار من الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وتفصيل الجملتين لا يمكن؛ لكن أعمال أهل الجنة كلها تدخل في طاعة الله ورسوله، وأعمال أهل النار كلها تدخل في معصية الله ورسوله؛ ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء: ١٣، ١٤]، والله أعلم»[(١)].

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/ ٤٢٢).

## ملخص الفصل الرابع

❊ **اليوم الآخر:** هو ما يكون بعد الموت من أحوال البرزخ، وأحوال القيامة، والجنة والنار، **ومعنى الإيمان به:** التصديق الجازم بإتيانه لا محالة، والعمل بموجب ذلك، **والإيمان باليوم الآخر يتضمن الإيمان بخمسة أمور:** (١) فتنة القبر ونعيمه وعذابه. (٢) أشراط الساعة. (٣) البعث. (٤) أهوال يوم القيامة. (٥) الجنة وما فيها من نعيم مقيم، والنار وما فيها من عذاب أليم.

❊ الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان، لا يصح إيمان عبد إلا به، والأدلة على إثباته كثيرة جدًّا لا تكاد تحصى، فقد دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة السليمة.

❊ **لليوم الآخر أسماء كثيرة، منها:** (١) اليوم الآخر. (٢) يوم الفصل. (٣) يوم الحساب. (٤) يوم الخلود، ودار الخلد. (٥) الواقعة. (٦) التغابن. (٧) الغاشية. (٨) الصاخَّة. (٩) الطامَّة. (١٠) يوم التناد.

❊ **منازل الآخرة ثلاثة:** (١) القبر. (٢) أرض المحشر التي يكون فيها أحوال القيامة وأهوالها. (٣) الجنة والنار.

❊ **من ثمرات الإيمان باليوم الآخر ما يلي:** (١) الحرص على طاعة الله تعالى رغبة في ثواب ذلك اليوم، والبعد عن معصيته خوفًا من عقاب ذلك اليوم. (٢) تسلية المؤمن عما يفوته من نعيم الدنيا ومتاعها بما يرجوه من نعيم الآخرة وثوابها. (٣) عِظَم الأجر وجَزالة المثوبة لمن آمن باليوم الآخر. (٤) استشعار كمال عدل الله وحكمته وقدرته في ذلك اليوم.

❊ **أشراط الساعة هي:** العلامات التي يعقبها قيام الساعة، والأشراط منها: (١) صغار وقد مضى أكثرها، ومنها: (٢) كبار ستأتي، وقسمها القرطبي

بحسب مخالفتها للعادة إلى نوعين: (١) نوع معتاد، (٢) ونوع غير معتاد، ومنهم من قسمها بحسب قربها من الساعة وحصولها إلى قسمين: (١) أشراط دالة على قربها (٢) أشراط دالة على حصولها، ومنهم من قسمها بحسب مكان وقوعها إلى قسمين: (١) أشراط أرضية، (٢) أشراط سماوية، ومنهم من قسمها بحسب وقت ظهورها إلى ثلاثة أقسام: (١) قسم مضى، (٢) وقسم ما زال يأتي، (٣) وقسم أكبر وهو الأشراط القريبة منها، وهي الأشراط الكبار.

❋ وقت قيام الساعة من الغيب الذي لا يعلمه إلا الله، وهو مما استأثر الله بعلمه، فلم يطلع عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، فضلًا عما سواهما، فلا يعلم متى تقوم الساعة إلا علَّامُ الغيوب جل وعلا، والحكمة في إخفاء وقتها وتقدُّم أشراطها: حث العباد على الاستعداد لها بالتوبة والعمل الصالح.

❋ **أشراط الساعة الصغرى هي:** الأشراط المعتادة التي تسبق الأشراط الكبرى، ومنها: (١) فتح بيت المقدس. (٢) ظهور الفتن من المشرق. (٣) ضياع الأمانة. (٤) قبض العلم وظهور الجهل. (٥) انتشار الزنا. (٦) كثرة القتل. (٧) كثرة الزلازل. (٨) قتال اليهود. (٩) ظهور المهدي.

❋ **أشراط الساعة الكبرى هي:** العلامات التي جاء النص عليها في حديث حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولم يرد نص في ترتيبها، وقد ورد في بعض الأحاديث ذكر أولها خروجًا، ورجح طائفة من أهل العلم من مجموع الروايات أن خروج الدابة هو أول الآيات الأرضية، وطلوع الشمس من مغربها هو أول الآيات السماوية، وأشراط الساعة الكبرى هي: (١) طلوع الشمس من مغربها. (٢) خروج الدابة. (٣) المسيح الدجال. (٤) نزول المسيح عيسى ابن مريم. (٥) خروج يأجوج ومأجوج. (٦) الدخان. (٧، ٨، ٩) الخسوفات الثلاثة. (١٠) النار التي تحشر الناس.

❋ **لا يجوز تنزيل نصوص أشراط الساعة على الواقع إلا بضوابط، منها:**

(١) التحقق من ثبوت النص وصحته. (٢) التحقق من فهم معناه على الوجه الصحيح بالرجوع إلى الراسخين في العلم من سلف الأمة وأئمتها. (٣) جمع الروايات الصحيحة في المسألة؛ لأن روايات الحديث يفسر بعضها بعضًا. (٤) ما أشكل فهمه من أحاديث الفتن وأشراط الساعة يرد إلى عالمه. (٥) أن يكون النص هو الأصل في الحكم على الواقع، ولا يجعل الواقع أصلًا والنص فرعًا. (٦) الحذر من تأويلها قبل اكتمال صفاتها. (٧) كون الشيء من أشراط الساعة لا يعني أنه بدعة، أو مكروه، أو محرم.

❁ **للإيمان بأشراط الساعة ثمرات عديدة، منها:** (١) تحقيق الإيمان باليوم الآخر. (٢) أشراط الساعة تعد من دلائل النبوة؛ لأن كثيرًا منها وقع مطابقًا لخبر الصادق المصدوق ﷺ. (٣) في ذكر أشراط الساعة دافع للمسارعة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ، وللمزيد من العمل الصالح المثمر. (٤) تنبيه الناس من غفلتهم، وحثهم على التوبة استعدادًا ليوم الحساب.

❁ **الاحتضار:** احتُضِرَ المريض وحُضِرَ: إذا حضره الموت ونزل به، وقد ذكر الله جل وعلا أقسام الناس عند حصول الاحتضار، وأنهم ثلاثة أقسام: (١) المقربون. (٢) أصحاب اليمين. (٣) المكذبون الضالون. والناس عند خروج الروح قسمان: (١) المؤمن، وتخرج روحه بيسر وسهولة ورفق. (٢) الكافر، وتخرج روحه بعسر وشدة وألم.

❁ **الموت هو:** مفارقة الأرواح للأجساد، وهو صفة وجودية، يعني أنه ليس بعدم محض؛ لأن الروح باقية لا تموت، وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته.

❁ **يجب الإيمان بالموت وهو داخل ضمن الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالموت يتناول أمورًا:** (١) الإيمان بتحتُّمه على من كان في الدنيا من أهل السماوات والأرض. (٢) الإيمان بأن كل مخلوق له أجل محدود وأمد ممدود. (٣) الإيمان بأن ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل

عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به. (٤) ذكر العبد الموت وجعله على باله، والتأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله. (٥) أنه لا حرج في كراهية الموت والخوف منه.

❊ **البرزخ في اللغة:** هو الحاجز بين الشيئين، والمراد بالحياة البرزخية: ما بين الموت إلى يوم القيامة، وهي محل عذاب القبر ونعيمه.

❊ **الروح هي:** ما به حياة الأبدان؛ لأنها إذا فارقت البدن ذهبت عنه الحياة، وما دامت في البدن فهو حي، أما ماهيتها فعلمها عند الله، وقد دلت النصوص على أن الروح عين موجودة قائمة بنفسها، ليست هي البدن ولا جزءًا من أجزائه، وأجمعت الرسل على أن الروح مخلوقة، وهذا معلوم بالضرورة من دينهم، وأجمع أهل السنة على ذلك.

❊ **اختلف الناس:** هل تموت الروح أم لا؟ فقالت طائفة: تموت؛ لأنها نفس، وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان.

❊ **الروح لها بالبدن خمسة أنواع من التعلق:** (١) تعلقها به في بطن الأم جنينًا. (٢) تعلقها به بعد خروجه إلى وجه الأرض. (٣) تعلقها به في حال النوم، فلها به تعلق من وجه، ومفارقة من وجه. (٤) تعلقها به في البرزخ. (٥) تعلقها به يوم بعث الأجساد، وهو أكمل أنواع تعلقها بالبدن.

❊ **مستقر الأرواح بعد الموت:** أرواح المؤمنين في الجنة، وأرواح الكفار في النار، أما منازل المؤمنين في الجنة فهي متفاوتة، (١) فمنها أرواح في أعلى عليين في الملأ الأعلى، وهي أرواح الأنبياء -صلوات الله وسلامه عليهم- (٢) ومنها: أرواح في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت، وهي أرواح الشهداء، (٣) ومنها أرواح تكون في أجواف طير تعلق في شجر الجنة، وهي أرواح المؤمنين.

❊ **اختلف الناس في الفرق بين الروح والنفس، فمن قائل:** إن مسماهما واحد،

وهم الجمهور، **ومن قائل:** إنهما متغايران، **والصحيح:** أنه لا فرق بينهما، فالروح التي بها حياة البدن هي النفس.

❋ **التناسخ في الاصطلاح:** انتقال الأرواح من جسد إلى آخر، حيث يزعم أصحاب هذا الاعتقاد أن الأرواح تنتقل بعد مفارقتها الأجساد (بالموت) إلى أجساد أخرى، وقد اختلف أهل العلم في نشأته، **(١)** فقيل بأنها ظهرت في زمن فرعون موسى، **(٢)** وقيل: إن نشأتها ترجع إلى صابئة حران، **(٣)** وقيل: إنها انبثقت من النِّحْلة الهندية، وقد انتقلت هذه العقيدة إلى بعض الغلاة من الفرق الباطنية المنتسبة إلى التشيع، وبعض غلاة المعتزلة، ودعوى التناسخ دعوى باطلة، ويكفي في بيان بطلانها مناقضتها لعقيدة الإيمان باليوم الآخر الذي اتفقت عليه الرسالات، وجاء بتقريرها جميع الرسل والأنبياء، وإنما ذهب إليها من لم يؤمن بما جاء به الأنبياء من المعاد واليوم الآخر.

❋ **دعوى تحضير الأرواح هي:** محاولات ترمي إلى الاتصال بأرواح الموتى عن طريق بعض الوسطاء، وحقيقتها: استخدام الجني واستحضاره بأدعية وتعويذات يقوم بها مستحضره، وهي دعوى باطلة؛ لأنه لم يثبت أن أرواح الأموات تتصل بالأحياء في غير المنام، وهي خرافة كانت منتشرة عند المصريين القدماء والآشوريين والهنود والرومان والإسرائيليين، ثم ساهم في انتشارها ما يسمى بـ(الروحية الحديثة).

❋ **فتنة القبر هي:** الاختبار الذي يحصل للميت في قبره، وذلك حينما يأتيه ملكان، فيقعدانه، ويسألانه عن ربه ودينه ونبيه، وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع.

❋ **ضغطة القبر هي:** التقاء جانبيه على جسد الميت، ولم يرد في تحديد وقتها دليل، ولكن قيل: إن ذلك قبل سؤال الملكين، والفرق بين ضغطة المؤمن وضغطة الكافر من وجهين: **(١)** أن ضغطة المؤمن منقطعة، وضغطة الكافر مستمرة. **(٢)** أن ضمة القبر تكون للمؤمن الصالح ضمة رفق وحنان، وأما

الكافر فضغطة شدة وعذاب، وقيل: إن ضمة القبر للمؤمن فيها شدة وتتفاوت شدتها بحسب حاله، وهو الذي تؤيده ظاهر النصوص.

❁ أنكر عذابَ القبر الخوارج، والجهمية، وبعض المعتزلة، وهو قول باطل؛ لأن عذاب القبر ثابت بالقرآن والسنة المتواترة، فلا يجوز معارضة هذه النصوص بالأوهام، وما ثبت في الكتاب والسنة وجب تصديقه والإيمان به، سواء أدركته عقولنا وحواسنا أم لا؛ لأنه لا يعارَض الشرع بالعقل، لا سيما في الأمور التي لا مجال للعقل فيها.

❁ العذاب والنعيم يقعان على النفس والبدن جميعًا باتفاق أهل السنة والجماعة، فيكون النعيم والعذاب عليهما مجتمعَين، كما يكون للروح منفردة عن البدن، واختلف هل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة.

❁ **عذاب القبر باعتبار دوامه وانقطاعه نوعان:** (١) عذاب دائم، وهو للكفار. (٢) عذاب منقطع، وهو عذاب العصاة.

❁ **أسباب عذاب القبر كثيرة، منها:** (١) عدم الاستتار من البول، (٢) النميمة، (٣) الغلول، وهو الخيانة في الغنيمة. (٤) من مات وعليه دَين. (٥) البكاء بنياحة على الميت إذا أوصى بذلك. (٦) الكِبْر والخيلاء. (٧) الكذب. (٨) أكل الربا. (٩) الزنا.

❁ **فتنة القبر ليست عامة لكل أحد، بل يستثنى منها من شاء الله، ومنهم:** (١) الأنبياء. (٢) الصِّدِّيقون. (٣) الشهداء. (٤) المرابطون. (٥) الصغار والمجانين.

❁ **عرض المقعد على الميت، معناه:** أن الميت يعرض عليه في قبره بالغداة والعشي مقعده من الجنة إن كان من أهلها، أو مقعده من النار إن كان من أهلها، ويقال له: هذا مقعدك، وهذا العرض يقع على الروح حقيقة وعلى ما يتصل به من البدن.

❊ **أسباب النجاة من عذاب القبر كثيرة، منها:** (١) الاستقامة على طاعة الله. (٢) التقوى. (٣) الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال. (٤) المرابطة في سبيل الله. (٥) الشهادة في سبيل الله. (٦) الموت بمرض في البطن. (٧) الاستعاذة بالله من عذاب القبر. (٨) الموت يوم الجمعة أو ليلتها. (٩) قراءة «سورة الملك» والعمل بمقتضاها. (١٠) الأعمال الصالحة.

❊ **اختلف العلماء في قراءة القرآن عند القبور، على ثلاثة أقوال:** (١) الكراهة، وهو قول أبي حنيفة ومالك وأحمد في رواية. (٢) الجواز، وهو قول محمد ابن الحسن وأحمد في رواية، (٣) الجواز وقت الدفن فقط، وهو رواية عن أحمد، والصحيح أن قصد المقابر لتلاوة القرآن عندها بدعة، ولا يجوز أخذ الأجرة على ذلك.

❊ **معنى زيارة القبور شرعًا:** قصد القبور للسلام على أهلها والدعاء لهم وتذكر الآخرة واتباع السنة، ثم صار هذا اللفظ في عرف كثير من المتأخرين يتناول الزيارة الشرعية (بالمعنى المذكور) كما يتناول الزيارة البدعية الشركية، وهو الغالب عند المتأخرين، والزيارة ثلاثة أنواع: (١) الزيارة الشرعية، وهي: زيارة القبور على الوجه المشروع. (٢) الزيارة البدعية، وهي: زيارتها للدعاء عندها، والصلاة عندها، والقراءة عندها، وهي بدعة. (٣) الزيارة الشركية، وهي: أن يزوروها للذبح للميت والتقرب إليه بذلك، أو لدعاء الميت من دون الله، أو لطلب المدد منه، أو الغوث، أو النصر، فهذا شرك أكبر.

❊ **اتفق أهل السنة على أن الأموات ينتفعون بسعي الأحياء بأمرين:** (١) ما تسبب إليه الميت من أعمال صالحة في حياته. (٢) انتفاع الميت بغير ما تسبب به في حياته مما ورد النص عليه، كالدعاء، والاستغفار، والصدقة، واختلف العلماء فيما عدا هذين الأمرين على قولين: (١) أي قربة فعلها الحي وأهداها للميت نفعه ذلك، وهو مذهب الحنفية والحنابلة. (٢) عدم جواز إهداء ثواب الأعمال إلى الميت إلا بما ورد به الشرع، وهو مذهب المالكية والشافعية،

والراجح الاقتصار على ما ورد؛ لأن العبادات توقيفية، ولأن الأصل في أفعال العباد أن ثوابها لفاعلها، ولا يخص من هذا العموم إلا ما دل عليه الدليل من الدعاء والصدقة ونحوهما، وأما ما سوى ذلك من العبادات فيبقى على الأصل، ويختص بفاعله ولا يتعداه.

❊ **الصور:** قرن يُنفَخ فيه نفختان -على الصحيح؛ النفخة الأولى للفناء، والثانية للإنشاء، وهو يقع عند نهاية الحياة الدنيا وبدء الحياة الآخرة، حيث يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخ في الصور، فلا يبقى أحد من الخلق إلَّا مات إلَّا من استثناه الله، واشتهر أن الملك الموكل بالنفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام، ونقل بعضهم الإجماع عليه، ووقع التصريح به في بعض الأحاديث، وكلها لا تخلو من ضعف.

❊ **اختلف في عدد النفخات على قولين: القول الأول:** أن النفخ في الصور نفختان: **(١)** نفخة الصعق (الإفناء)، **(٢)** نفخة البعث والنشور (الإنشاء).
**القول الثاني:** أنها ثلاث نفخات: **(١)** نفخة الفزع. **(٢)** نفخة الصعق (الموت). **(٣)** نفخة البعث. والصحيح أنهما نفختان فقط.

❊ **الصعق:** هو موت الأحياء من أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله بعد النفخة الأولى، واختلف العلماء في المراد بالمستثنى في قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، على أقوال كثيرة، منها: **(١)** أنهم الأنبياء. **(٢)** وقيل: موسى وحده، **(٣)** وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت. **(٤)** وقيل: الملائكة كلهم. **(٥)** وقيل: الولدان الذين في الجنة والحور العين. والراجح: تفويض من استثناه الله من الصعق إلى علمه جل وعلا؛ لأنه لم يرد نص صحيح صريح في تعيين من استثناه الله تعالى من نفخة الصعق.

❊ **معنى البعث:** الإحياء بعد الموت، وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة، والقول الذي عليه السلف: أن الأجسام تنقلب من حال إلى حال، فتستحيل

ترابًا، ثم ينشئها الله نشأة أخرى، والأجسام التي تعود للبعث ليست على هيئة أجسام الناس في الدنيا، بل ينشئها الله نشأة أخرى تناسب الحياة الآخرة ونعيمها وعذابها، فالبعث إعادة، وليس تجديدًا.

❁ تأكل الأرض أجساد جميع الموتى ويستثنى من ذلك الأنبياء، كما أن الأرض تأكل جميع جسد بني آدم ويستثنى من ذلك عَجْب الذَّنَب، أما الشهداء والصديقون والصالحون فهؤلاء قد لا تأكل الأرض بعضهم كرامة لهم.

❁ تعود الأرواح إلى أجسادها عند البعث عودة لا يقبل البدن معها موتًا ولا نومًا ولا فسادًا، وأول من يبعث هو نبينا محمد ﷺ، ويبعث كل إنسان على ما مات عليه من إيمان أو كفر، ومن طاعة أو معصية.

❁ **المنكرون للبعث والنشور طوائف كثيرة، منهم:** **(١)** المنكرون للبعث بالكلية، وهم طوائف من الكفار والمشركين. **(٢)** المنكرون لبعث الأجساد، وهم الفلاسفة. **(٣)** المؤولون لنصوص المعاد بالرجعة، وهم الإثنا عشرية.

❁ **الحشر معناه:** جمع الخلق بعد إحيائهم من قبورهم وسَوْقهم إلى الموقف للحساب، وقد دل على إثبات الحشر الكتاب والسنة والإجماع، والحشر عام يشمل جميع الخلق حتى البهائم، وقد دلت نصوص القرآن والسنة على أن السماوات والأرض تبدل ويخلق الله غيرهما. واختلف أهل العلم في حقيقة هذا التبديل، هل هو تبديل ذات؟ أم تبديل صفات؟ والأحاديث نصٌّ في أنها تبديل ذات، فالأرض والسموات تبدل وتزال، ويخلق الله أرضًا وسماواتٍ أخرى.

❁ **جاء في القرآن والسنة هيئات وصفات لحشر الخلق يوم القيامة، ومن ذلك:**

**(١)** حشر المتقين إلى الرحمن وفدًا، وحشر المجرمين إلى جهنم وردًا.
**(٢)** حشر الناس حفاة عراة غُرْلًا، وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام.
**(٣)** حشر الكافر على وجهه. **(٤)** حشر المتكبرين أمثال الذرِّ. **(٥)** حشر من

يسأل الناس ليس في وجهه مزعة لحم. (٦) حشر الغالِّ يحمل ما غل يوم القيامة. (٧) حشر هذه الأمة غرًّا محجلين. (٨) حشر الشهيد وجرحه يسيل دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك.

❁ يجيء الرب تبارك وتعالى -كما يليق بجلاله ويختص بعظمته- يوم القيامة للفصل بين العباد، وقد دل على ذلك الكتاب والسنة، فإذا جاء الله جل وعلا أشرقت الأرض بنور ربها، ووضع الكتاب، وقضى بين الناس بالحق.

❁ **يرى المؤمنون ربهم في عرصات القيامة، أما رؤية الكفار لله يوم القيامة فقد اختلف أهل السنة في هذه المسألة على ثلاثة أقوال:** (١) أن الكفار لا يرون ربهم بحال، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين. (٢) أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه. (٣) أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب - كاللص إذا رأى السلطان - ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم.

❁ **العرض له معنيان:** (١) معنى عام: وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، ويدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب. (٢) معنى خاص: وهو عرض معاصي المؤمنين عليهم، وتقريرهم بها، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم.

❁ **معنى الحساب:** تعريف الله عباده مقادير الجزاء على أعمالهم وإِطْلاعهم على أعمالهم يوم القيامة، والحساب يوم واحد مقداره خمسون ألف سنة من أيام الدنيا، وأقسام الناس بالنسبة إلى الحساب ثلاث درجات: (١) من يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب. (٢) من يحاسب حسابًا يسيرًا. (٣) من يحاسب حسابًا شديدًا.

❁ **الفرق بين العرض والحساب من وجوه:** (١) أن العرض خاص بالمؤمنين، بخلاف الحساب فهو عام للمؤمن والكافر. (٢) أن العرض جاءت تسميته بالحساب اليسير، بخلاف الحساب فلا يسمى بذلك. (٣) أن حقيقة العرض

هو عرض أعمال المؤمن عليه حتى يعرف مِنَّة الله عليه في سترها عليه في الدنيا وفي عفوه عنها في الآخرة، أما الحساب فهو مناقشة العبد على سيئاته وأعماله. (٤) أن العرض عاقبته النجاة، أما الحساب فعاقبته العذاب.

❁ الله سبحانه هو الذي يتولى حساب العباد، وقد نفى الله سبحانه قيام أحد غيره بمحاسبة الخلق، والمستثنون من الحساب هم الذين جاء ذكرهم في حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما، وصفاتهم كما يلي: (١) أنهم لا يسترقون، (٢) ولا يتطيرون، (٣) ولا يكتوون. وأما عددهم فلا يحصيه إلا الله.

❁ **عدد الدواوين ومنزلتها عند الله من حيث العقوبة والمغفرة يوم القيامة ثلاثة دواوين:** (١) ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وهو الشرك. (٢) ديوان لا يترك الله منه شيئًا، وهو المظالم بين العباد. (٣) ديوان لا يعبأ الله به، وهو تحت مشيئته، وهو المعاصي التي بين العبد وبين ربه.

❁ **يوقف الله جل وعلا العباد يوم القيامة للحساب فيسألهم، ومن أمثلة المساءلات التي دلت عليها النصوص:** (١) سؤال العباد عن الرسل، هل بلغوا رسالات ربهم؟ وسؤال الله الرسل، هل أجابهم العباد؟ (٢) سؤال المشركين عن افترائهم على الله وإشراكهم مع الله غيره. (٣) سؤال العبد عن السمع والبصر والفؤاد، هل استعملها في طاعة الله أم في معصيته؟ (٤) السؤال عن الأعمال. (٥) سؤال العبد يوم القيامة عن ذنوبه. (٦) سؤال العبد يوم القيامة عن إنكار المنكرات. (٧) سؤال العبد عن وفائه بالعهود. (٨) سؤال العبد عن النعيم الذي أنعم الله به عليه في الدنيا. (٩) سؤال العبد عن صحته وعمره وماله وعلمه. (١٠) سؤال كل راع عن رعيته.

❁ **الجزاء هو:** الثواب على الأعمال الصالحة، والعقاب على ضدها من الكفر والفسوق والعصيان، وهو الغاية من البعث والنشور، وجزاء الحسنات مبنيٌّ على الفضل والزيادة والمضاعفة، وجزاء السيئات مبني على العدل، ويجزى الكافر على حسناته في الدنيا، أما في الآخرة فليس له فيها نصيب،

وقد أجمع العلماء على أن الكفار لا تنفعهم أعمالهم، ولا يثابون عليها بنعيم ولا بتخفيف عذابٍ، لكنهم يتفاوتون في العذاب بقدر ما أحدثوه من الفساد، وأول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، وأول ما يقضى فيه بين الناس الدماء.

❊ **يتعدد الشهود على ابن آدم يوم القيامة، ومنهم:** (١) الأنبياء. (٢) الملائكة. (٣) الأرض التي يعيش عليها ابن آدم، (٤) الجوارح.

❊ من الناس من يمتحن في عرصات القيامة، وهم الذين لم تبلغهم دعوة الإسلام، كأهل الفترة، وهم من عاش في زمن لم يأتهم فيه رسول، أو كانوا في مكان لم تصلهم فيه الدعوة، ومن في حكمهم كأطفال المشركين، والهرم، والمجنون، ونحوهم.

❊ **القصاص يوم القيامة هو:** تتبع ما بين العباد من المظالم، وإسقاط بعضها ببعض، وله ثلاثة أنواع: (١) اقتصاص المؤمنين بعضهم من بعض. (٢) اقتصاص جميع الخلق بعضهم من بعض. (٣) اقتصاص البهائم بعضها من بعض.

❊ **صحائف الأعمال هي:** الكتب التي كتبتها الملائكة، وأحصَوا فيها ما فعله كل إنسان في الحياة الدنيا من الأعمال القولية والفعلية، ومن صفاتها: (١) أنها تنشر وتفتح يوم القيامة. (٢) أنه قد كتب فيها كل كبير وصغير من أعمال العبد. (٣) أن كل إنسان سيقرأ صحيفته التي هي ديوان عمله. (٤) أن المؤمن يسر بما يجد في صحيفته من حسنات، والكافر يساء بما يجد في صحيفته من الكفر.

❊ **أخذ الناس صحفهم يوم القيامة على هيئتين:** (١) أخذ الكتاب باليمين، وهي لأهل الإيمان. (٢) أخذ الكتاب بالشمال، وهي لأهل الكفر.

❊ **الميزان هو:** ما يوزن به الأعمال لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها، والذي دلَّت عليه السنة من صفته: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان

مشاهدتان، ومعنى الإيمان بالميزان: هو التصديق بأنه ميزان حقيقي، كما وردت به النصوص، وليس مجازًا عن العدل كما يقوله بعض أهل البدع، ودلت النصوص على أن الأعمال توزن، وصحف الأعمال توزن، والعامل يوزن.

❊ أنكر الميزان بعض المبتدعة كالجهمية، وأما المعتزلة فقد أنكروا تأويل الميزان بالعدل، وأثبتوا أنه ميزان حقيقي، لكنهم يرون أن الحسنات والسيئات أعراضٌ لا يتصور فيها الوزن، وتأويل الميزان بالعدل تأويل فاسد ليس عليه دليل، بل الأدلة من الكتاب والسنة على بطلانه، وإنكار كونه ميزانًا حقيقيًّا أو إنكار وزن الحسنات والسيئات مخالف لما دلت عليه النصوص الصريحة.

❊ **المستثنون من الوزن طائفتان:** **(١)** الكفار؛ لأنهم لا حسنات لهم فتوزن، وذهب بعض العلماء إلى أن الكفار توزن أعمالهم، والراجح: الجمع بين القولين، وهو أنه إن أريد بالوزن موازنة الحسنات بالسيئات فلا وزن لهم، وإن أريد بالوزن إظهار خفة موازينهم وإقامة الحجة عليهم فهذا حق. **(٢)** المؤمنون الذين يدخلون الجنة بغير حساب.

❊ **ينقسم الناس بعد الميزان ثلاثة أقسام:** **(١)** من رجحت حسناتهم على سيئاتهم، فهم في الجنة. **(٢)** من رجحت سيئاتهم على حسناتهم من عصاة الموحدين، فهم تحت مشيئة الله. **(٣)** من تساوت حسناتهم وسيئاتهم، وهم أصحاب الأعراف، ومآلهم إلى الجنة.

❊ **الحوض لغة:** مجتمع الماء، وشرعًا: حوض الماء النازل من الكوثر في عرصات القيامة للنبي ﷺ، والذي يتلخص من الأحاديث الواردة في صفة الحوض: أنه حوض عظيم، ومورد كريم، يمد من شراب الجنة، من نهر الكوثر، الذي هو أشد بياضًا من اللبن، وأبرد من الثلج، وأحلى من العسل، وأطيب ريحًا من المسك، وهو في غاية الاتساع، عرضه وطوله سواء، كل

زاوية من زواياه مسيرة شهر، وينسب إنكار الحوض للخوارج وبعض المعتزلة، وإنكاره باطل؛ لأن الحوض ثابت بالسنة المتواترة، فمنكره مبتدع زائغ عن الحق.

❊ هذا الحوض الذي أكرم الله به نبينا محمدًا ﷺ خاص بأمته، لما ورد أن الرسول ﷺ يذود الناسَ عن حوضه كما تذاد الإبل الغريبة، وقد ورد في بعض الأحاديث أن لكل نبي حوضًا، وأن حوض نبينا ﷺ أعظمها وأحلاها وأكثرها واردًا. والفرق بين الحوض والكوثر من وجهين: (١) أن الحوض في أرض المحشر، أما الكوثر فهو في الجنة. (٢) أن الحوض فرع عن الكوثر؛ لأن ماءه من نهر الكوثر في الجنة.

❊ ثبت في الأحاديث الصحيحة أن أول من يشرب من حوض النبي ﷺ هم فقراء المهاجرين، وأخبر النبي ﷺ أن هناك من يحرم ويذاد عن الشرب من حوضه ﷺ، ومنهم: (١) المرتدون الذين ارتدوا على أدبارهم القَهْقَرى. (٢) المبتدعة الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه.

❊ **الصراط:** هو الجسر الممدود على متن جهنم، وأنكره الجهمية وبعض المعتزلة، وأولوه بأنه الأدلة الدالة على الطاعات التي من تمسك بها دخل الجنة، والأدلة الدالة على المعاصي التي من فعلها دخل النار، وهو قول مبتدع محدَث، مخالف لإجماع سلف الأمة وأئمتها، وهو تأويل مصرف للنصوص عن ظاهرها بلا دليل.

❊ **جاء في السنة النبوية وصف الصراط بعددٍ من الأوصاف، منها:** (١) أنه أدق من الشعر. (٢) أنه أحَدُّ من السيف. (٣) أنه مدحضة مزلة، وعليه كلاليب وحسك يأخذون من شاء الله. (٤) أن الناس يمرون عليه على قدر أعمالهم، فناج مسلَّم، وناج مخدوش، ومكدوس في نار جهنم.

❊ اختلف العلماء في العبور على الصراط، هل العبور عام للمؤمنين والكافرين؟ أم يختص بالمسلمين من الأولين والآخرين؟ **على قولين:** (١) أنه

عام للناس كلهم. (٢) أن الكفار والمشركين لا يمرون على الصراط، بل يساقون من أرض المحشر إلى النار.

❊ **يكون الناس على الصراط ثلاثة أقسام بحسب أعمالهم:** (١) ناجٍ مسلَّم، (٢) ومخدوش مسلَّم، (٣) ومكدوس في نار جهنم.

❊ اختلف المفسرون في معنى الورود في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتۡمٗا مَّقۡضِيّٗا ٧١﴾ [مريم: ٧١]، ففسرها ابن مسعود رضي الله عنه وقتادة وزيد بن أسلم بالمرور على الصراط، وفسرها ابن عباس رضي الله عنهما بالدخول في النار لكنَّ المؤمنين ينجون منها، والصحيح أنه المرور على الصراط؛ لأن الرسول ﷺ فسر الورود بذلك.

❊ **القنطرة:** صراط خاص بالمؤمنين بين الجنة والنار، وقيل: هي طرف الصراط مما يلي الجنة، والراجح: أن القنطرة غير الصراط، فإذا خلص المؤمنون من الصراط حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، والغرض من ذلك: أن يتقاصَّ المؤمنون ما بينهم من مظالم وقعت منهم في الدنيا، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أذن لهم في دخول الجنة.

❊ **الشفاعة لغة:** من الشفع، وهو ضد الوتر، **واصطلاحًا:** التوسط للغير بجلب منفعة، أو دفع مضرة، وقد دل على ثبوت الشفاعة الكتاب والسنة والإجماع.

❊ **الشفاعة من حيث ثبوتها قسمان: الأول:** الشفاعة المثبتة، وهي: الشفاعة الشرعية المقبولة، وهي: ما اجتمعت فيها ثلاثة شروط: (١) رضا الله عن الشافع. (٢) إذنه له. (٣) رضاه عن المشفوع له. **الثاني:** الشفاعة المنفية: وهي: الشفاعة الشركية الباطلة، وهي: ما يعتقده المشركون في آلهتهم أنها تشفع لهم عند الله، وهي شفاعة غير مقبولة عند الله.

❊ **وقت الشفاعة لمن دخل النار من الموحدين لا يعلمه إلا الله، فلم يرد في النصوص ما يبينه؛ ذلك أن عصاة الموحدين ثلاثة أقسام:** (١) قسم يغفر الله له، ولا

يدخل النار أصلًا، إما بالشفاعة، أو برحمة الله وعفوه. (٢) قسم آخر يدخل النار، ويعذَّب بقدر ذنوبه، ثم يخرج. (٣) قسم يدخل النار ويعذب ما شاء الله، ثم يخرج من النار قبل أن يستكمل ما يستحقه من العذاب بشفاعة الشفعاء، أو برحمة الله سبحانه.

❊ **الشفاعات الخاصة بالرسول ﷺ ثلاث:** (١) الشفاعة العظمى في أهل الموقف يوم القيامة. (٢) الشفاعة في أهل الجنة أن يدخلوها. (٣) شفاعته في عمه أبي طالب حتى يخفف العذاب عنه.

❊ **الشفاعة من حيث تعدد الشافعين نوعان: الأول:** الشفاعة الخاصة بالنبي ﷺ، وسبق ذكرها. **الثاني:** الشفاعة العامة لجميع الخلق من الأنبياء والصالحين، وهي أنواع: (١) الشفاعة فيمن استحق النار ألا يدخلها، وهي خاصة بعصاة الموحدين. (٢) الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها. (٣) الشفاعة لقوم من أهل الجنة في زيادة ثوابهم ورفع درجاتهم، وهذه الشفاعة متفق عليها، لم ينازع فيها أحد. (٤) الشفاعة في قوم تساوت حسناتهم وسيئاتهم، فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة. (٥) الشفاعة في أقوام أن يدخلوا الجنة بغير حساب.

❊ **موجبات حصول الشفاعة:** (١) تحقيق التوحيد. (٢) قراءة القرآن. (٣) الصيام. (٤) الدعاء بما ورد عند الأذان. (٥) سكنى المدينة والصبر على شدتها والموت بها. (٦) من صلى على جنازته أربعون رجلًا لا يشركون بالله. (٧) الإكثار من الصلاة. (٨) مصاحبة أهل الإيمان والصلاح.

❊ **موجبات الحرمان من الشفاعة:** (١) الشرك. (٢) كثرة اللعن. (٣) إنكار الشفاعة والتكذيب بها.

❊ **الجنة هي:** الدار التي أعدها الله في الآخرة للمتقين، ولها أسماء كثيرة، منها: (١) دار السلام. (٢) دار الخلد. (٣) دار المقامة. (٤) جنة المأوى. (٥) جنات عدن. (٦) دار الحيوان. (٧) الفردوس. (٨) المقام الأمين.

(٩) مقعد الصدق. (١٠) جنات النعيم، وقد دلت نصوص الكتاب والسنة وأجمع سلف الأمة وأئمتها على أن الجنة مخلوقة وموجودة الآن.

❁ **أجمع أهل السنة على أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد**، واختلف السلف في المراد بالاستثناء في قوله سبحانه: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ۝١٠٨﴾ [هود: ١٠٨]؛ أي: غير مقطوع، (١) فقيل: معناه: إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أخرج منها، لا لِكُلِّهم. (٢) وقيل: إلا مدة مقامهم في الموقف. (٣) وقيل: إلا مدة مقامهم في القبور والموقف. (٤) وقيل: هو استثناء استثناه الرب ولا يفعله. (٥) وقيل: (إلا) بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف. (٦) وقيل: الاستثناء لإعلامهم، بأنهم مع خلودهم في مشيئة الله، لا أنهم يخرجون عن مشيئته. (٧) وقيل: إن (ما) بمعنى (مَن) أي: إلا من شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء. وقيل غير ذلك. والراجح أحد قولين: (١) إما أن الاستثناء يعود إلى المدة التي شاء الله جل وعلا ألا يكونوا في الجنة قبل دخولها، وهي مدة البرزخ والموقف. (٢) أو المراد بالاستثناء بيان عموم مشيئة الله تعالى، وأنه لا يخرج شيء عن مشيئته.

❁ الأعمال التي يستحق فاعلها دخول الجنة كثيرة، ومنها: (١) الإيمان والعمل الصالح. (٢) الإخلاص. (٣) الصبر والتوكل. (٤) الاستقامة على العمل الصالح. (٥) الخوف من الله.

❁ **الأعمال التي يستحق فاعلها الحرمان من دخول الجنة كثيرة، ومنها:** (١) الشرك. (٢) قتل النفس. (٣) الزنا. (٤) شرب الخمر. (٥) قطع الأرحام. (٦) النميمة. (٧) أذى الجار. (٨) الكبر. (٩) التبرج.

❁ رؤية الله سبحانه في الآخرة ثابتة في الكتاب والسنة وإجماع السلف، وقد تنوعت الأدلة من القرآن على إثبات الرؤية، ومن أظهرها ثلاثة أنواع:

(١) التصريح بالنظر. (٢) نفي الإدراك. (٣) حجب أعداء الله عن رؤية الله، وقد روى أحاديث الرؤية نحو ثلاثين صحابيًّا، فهي متواترة، ونقل الإجماع على ثبوت رؤية المؤمنين ربهم في الآخرة كثير من أهل العلم، ومن صفاتها: (١) أنها رؤية بصرية لا عِلْمية. (٢) أن المؤمنين يرونه في العلو كما يُرى القمران في العلو. (٣) أنها رؤية من غير إحاطة.

❋ **النار هي: الدار التي أعدها الله في الآخرة للكافرين، ولها أسماء كثيرة، منها:** (١) الهاوية. (٢) الجحيم. (٣) جهنم. (٤) الحُطَمة. (٥) اللَّظى. (٦) سقر. (٧) السعير. (٨) سجِّين.

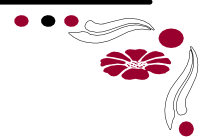
❋ دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على أن النار موجودة الآن، وأنها أبدية لا تفنى ولا تبيد، واتفقت فرق الأمة كلها على أنه لا فناء للجنة ولا لنعيمها ولا للنار ولا لعذابها، إلا جهم بن صفوان، وأبا الهذيل العلاف، وقومًا من الروافض.

❋ القول الذي يبدع قائله هو القول بفناء الجنة، أو بفناء الجنة والنار، أما القول بفناء النار فقط فهو قول مرجوح، لكن لا يقال بأنه بدعة، ولا يبدع من قال به، وقد قال ببقاء الجنة وفناء النار جماعة من السلف والخلف مستدلين بالاستثناء الوارد في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٦، ١٠٧]، **وقد أجيب عن استدلالهم بالاستثناء المذكور بعدة أجوبة:** (١) أن قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ معناه: إلا من شاء الله عدم خلوده فيها من أهل الكبائر من الموحدين. (٢) أن المدة التي استثناها الله هي المدة التي بين بعثهم من قبورهم واستقرارهم في مصيرهم. (٣) أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ فيه إجمال وقد جاءت الآيات والأحاديث الصحيحة مصرحة بأنهم خالدون فيها أبدًا، وظاهرها أنه خلود لا انقطاع له، والظهور من المرجحات فالظاهر مقدم على المجمل، كما تقرر في الأصول.

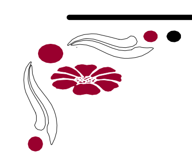
❊ **موجبات دخول النار كثيرة جدًّا، منها:** (١) الشرك. (٢) النفاق. (٣) عدم القيام بفرائض الإسلام. (٤) قتل النفس. (٥) أكل مال اليتيم. (٦) أكل أموال الناس بالباطل. (٧) عدم رجاء لقاء الله والركون إلى الدنيا. (٨) أكل الربا. (٩) الركون إلى الظالمين.

❊ **موجبات الوقاية من النار كثيرة جدًّا، منها:** (١) التوحيد. (٢) الصيام. (٣) الجهاد في سبيل الله. (٤) من مات له ثلاثة أبناء. (٥) الصلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها. (٦) البكاء من خشية الله.





## أسئلة تطبيقيـة



**س١:** ما هو مفهوم الإيمان باليوم الآخر. وما حكم منكره؟ بين ذلك بالأدلة.

**س٢:** اذكر ثلاثة من الأدلة العقلية القرآنية على إثبات المعاد.

**س٣:** عرف الروح، وهل هي مخلوقة أم لا؟ وكيف ترد على المخالفين في ذلك؟ وهل تموت الروح أم لا؟ بين ذلك بالأدلة ما أمكن.

**س٤:** تناسخ الروح عقيدة شاع أمرها بين الهنود وغيرهم من الأمم القديمة. فما معناها؟ وما أصل نشأتها؟ وهل هناك من المنتسبين إلى الإسلام من يعتقدها؟ وكيف ترد على القائلين بها؟ بين ذلك بالأدلة.

**س٥:** هناك من يدعي إحضار أرواح الموتى ومخاطبتها في اليقظة. بين حقيقة هذه الدعوى، موضحًا تاريخ نشأتها، وموقف علماء الإسلام منها.

**س٦:** ما هي فتنة القبر؟ وما الأدلة عليها من الكتاب والسنة؟ وهل السؤال في القبر للروح أم للبدن أم لهما معًا؟ وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع؟ اشرح ذلك بالأدلة.

**س٧:** ما حكم إهداء ثواب الأعمال إلى الأموات؟ وضح مذاهب الأئمة في ذلك، مع الترجيح، وذِكْر الأدلة من الكتاب والسنة.

**س٨:** اذكر ثلاثًا من أشراط الساعة الصغرى، وثلاثًا من أشراط الساعة الكبرى، مع ذكر الأدلة.

**س٩:** (أدلة البعث والمعاد كثيرة لا تكاد تحصى، فقد دل عليه الكتاب، والسنة، والعقل، والفطرة السليمة). اشرح هذه العبارة شرحًا وافيًّا.

**س١٠:** من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالنفخ في الصور. فما تعريفه؟ وكم

عدد النفخات فيه؟ بين الراجح في ذلك مع الاستدلال.

**س١١:** من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالميزان. فما حقيقة الميزان؟ وهل هو واحد أم متعدد؟ وما الذي يوزن؟ وضح ذلك كله بالأدلة.

**س١٢:** عرف الحساب لغة وشرعًا؟ وما الفرق بينه وبين العرض؟ مع ذكر أقسام الناس بالنسبة إلى الحساب.

**س١٣:** هل العبور على الصراط عام للمؤمنين والكافرين أم للمؤمنين فقط؟ وما الفرق بين الصراط والقنطرة؟ اشرح ذلك بالأدلة.

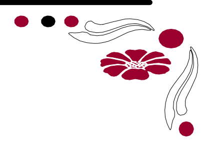
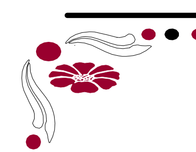
**س١٤:** الشفاعة قسمان: شفاعة ثابتة، وشفاعة منفية. وضح ذلك بالأدلة.

**س١٥:** من الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، وأنهما مخلوقتان لا تفنيان أبدًا ولا تبيدان. كيف ترد على القائلين بأن الجنة لم تخلق بعد؟ وبين أقوال الناس في أبدية النار ودوامها، وكيف ترد على القائلين بفنائها؟ وهل القول بفناء النار بدعة أم لا؟ بين ذلك.





# فهرس الموضوعات

## فهرس الموضوعات

